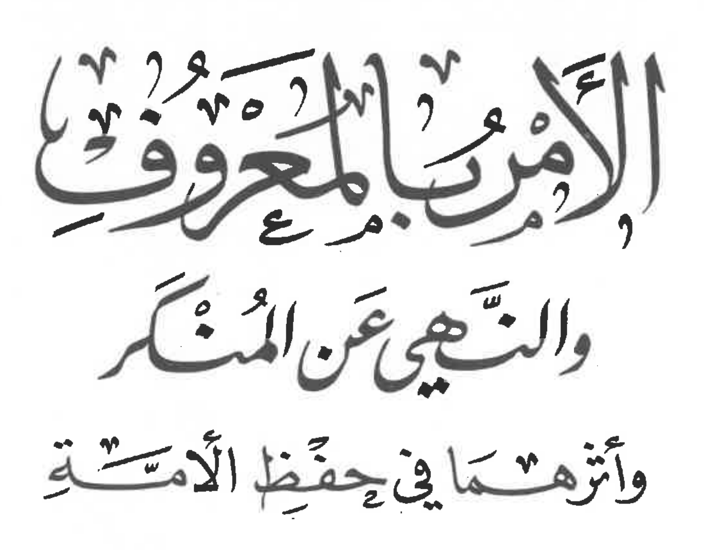


الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة

تأليف الدكتور

عبد العزيز بن أحمد المسعود

الجزء الثاني

دار الوطن

الرياض ـ شارع المعذر ـ ص.ب ٣٣١٠

٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع
في أعظم منكرات هذا العصر وخطرها وكيفية إنكارها

الفصل الأول
(التبرج والاختلاط والغش...)

١- التبرج والاختلاط:

قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع لابد من معرفة شيء من مكانة المرأة في الإسلام ضاربين صفحًا عن الحديث عن مكانة المرأة في الجاهلية وسوء الحالة التي مرت بها، فهذا أمر يعرفه ويعترف به البر والفاجر، وإنما نريد أن نعرف شيئاً من مكانتها في الإسلام بإيجاز شديد.

فنقول: لقد أكرم الله المرأة أشد الإكرام ورفع من مكانتها وساواها بالرجال في كثير من الأمور الأساسية المهمة، بل زاد على ذلك أن أمر الرجال باحترامها ورحمتها والعطف عليها، فالرجل والمرأة سواء من حيث إنسانيتهما، فلم يعتبر الإسلام المرأة شيطانًا ولا جرثومة ولا أي نوع من المخلوقات بل اعتبرها إنساناً كالرجل تماماً. من حيث الإنسانية والمصير إما إلى الجنة أو النار. يقول تعالى موضحاً هذا الجانب: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً** ﴾[1] الآية.

(١) سورة النساء جزء من الآية [١]

وإذا تبينا هذا النص نجد أنه جعل المرأة تشترك في أصل خلق الإنسان فالبشرية كلها أساسها آدم وحواء عليهما السلام. وهذا في غاية الشرف للمرأة. ويقول تعالى: **﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها)** [١] الآية

ويقول تعالى: **﴿يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. ﴾** [٢] الآية.

وورد عنه ﷺ أنه قال: **«إنما النساء شقائق الرجال»** [٣].

ـ إن الله سبحانه وتعالى توعد من يؤذي المؤمنات كما توعد من يؤذي الرجال فسوء العذاب لمن يتعرض للرجال والنساء على حد سواء. يقول تعالي: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثماً مبيناً﴾** [٤]

وقال تعالى: **﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾** [٥]

ـ ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يستغفر للمؤمنات كما أمره أن يستغفر للمؤمنين على حد سواء.

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية (١٨٩).

(٢) سورة الحجرات جزء من الآية (١٣)

(٣) رواه أبو داود في سننه. كتاب الطهارة. باب في الرجل يجد البلة في منامه جـ ١ ص ٦١ حديث ٢٣٦.

(٤) سورة الأحزاب الآية (٥٨).

(٥) سورة البروج الآية (١٠).

يقول تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾[1] الآية.

ومن الأمور العظيمة التي تتضح فيها مكانة المرأة في الإسلام مساواتها مع الرجل في الجزاء في الآخرة وهذا أهم أمر فلو لم يكن للمرأة إلا هذا لكفاها. يقول تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾[4].

ويقول سبحانه: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً﴾[5].

فهذه النصوص الكريمة تبين ماوعد الله به المؤمنين والمؤمنات على حد سواء من الدخول في الجنة والحصول على النعيم المقيم فيها، وهذا من أسمى الغايات، بل ليس بعده غاية.

---

(١) سورة محمد جزء من الآية (١٩).

(٢) سورة غافر الآية (٤٠).

(٣) سورة التوبة الآية (٧٢).

(٤) سورة النحل الآية (٩٧)

(٥) سورة النساء آية (١٢٤).

فليفطن لذلك من يحاول أن يثبت أن الإسلام هضم المرأة حقها، بل أعطاها حقها بتمامه.

ومن إكرام المرأة في الإسلام أن الرسول ﷺ وصى بالرفق بهن وعدم ضربهن.

وقد طبق هذا المبدأ بنفسه ﷺ أولاً: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ماضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط، ولا امرأة، ولاضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط»[1].

وعن عبدالله بن زمعة قال: وعظ النبي ﷺ في النساء فقال: «يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها آخر النهار»[2].

ويكفي من ذلك كله قوله ﷺ «اتقوا الله في النساء» «واستوصوا بالنساء خيراً»[3]

وقوله «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[4].

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الفضائل. باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته م٤ جـ٧ ص٨٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٤ ص ١٧.

(٣) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب الأنبياء. باب خلق آدم وذريته جـ٢ ص ٤٥١ حديث ٣٣٣١.

(٤) رواه الدارمي في سننه. كتاب النكاح. باب في حسن معاشرة النساء م١ جـ٢ ص ١٥٩. وورواه ابن ماجة في سننه. كتاب النكاح. باب حسن معاشرة النساء جـ١ ص ٦٣٧ حديث ١٩٧٧.

هذه لمحة موجزة عن مكانة المرأة في الإسلام ولانريد الاستطراد في هذا الموضوع خشية الإطالة وإلا ففيه جوانب كثيرة أعطاها الإسلام للمرأة لم نتحدث عنها؛ لأن القصد من ذلك الإشارة فقط.

مشروعية الحجاب وصفته:

زيادة في إكرام المرأة واحترامها والمحافظة عليها وعلى كرامتها وعرصها فإنه شرع لها الحجاب حتى لاتمتد إليها أيدي وأعين مرضى القلوب.

تعريف الحجاب:

الحجاب لغة: الستر. حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً وحجبه ستره. وقد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب. وامرأة محجوبة: قد سترت بستر.

والحجاب اسم ماحتجب به وكل ماحال بين شيئين: حجاب والجمع حُجُب لاغير وقوله تعالى: ﴿**ومن بيننا وبينك حجاب**﴾[1] معناه «ومن بيننا وبينك حاجز في النحلة والدين»[2].

تعريف الحجاب شرعاً:

وأما تعريفه شرعاً: فقيل مايمنع الفتنة بين الرجال والنساء من الناحية الجنسية[3]

---

(١) سورة فصلت جزء من الآية (٥).

(٢) ذكر ذلك كله ابن منظور في لسان العرب جـ٢ ص ٧٧٧.

(٣) الأسرة تحت رعاية الإسلام. عطية صقر جـ٢ص٥٦ طبعة مؤسسة الصباح بالكويت. الطبعة الأولى.

قلت: والأولى أن يقال: هو تغطية أو ستر المرأة لجميع بدنها ومحاسنها عن الرجال الأجانب.

أدلة الحجاب وصفته:

١- يقول الله تعالى: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾[١].

ففي هذه الآية الكريمة ثلاث مواضع استدل بها على وجوب الحجاب:

الأول: قوله تعالى: ﴿**ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها**﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾.

الثالث: قوله تعالى: ﴿**ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن**﴾.

أقوال العلماء في ذلك:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ قال ابن عطية[٢]: «ويظهر لي بحكم ألفاظ

---

(١) سورة النور آية (٣١).

(٢) هو عبد الحق بن غالب الغرناطي. كان فقيها لغوياً وغاية في توقد الذهن، له المحرر الوجيز، روى عن الغساني والصفدي، وأخذ عنه ابن مضاء توفي سنة ٥٤٦هـ. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ٢ ص ٧٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة ١٣٩٩هـ.

الآية أن المرأة مأمورة بأن لاتبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة. ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه مماتؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه. قال القرطبي معقباً على ذلك: هذا قول حسن إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما..»[1].

وقال ابن كثير - رحمه الله -: هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات ﴿ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾ أي لايظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود رضي الله عنه كالرداء والثياب. يعني على ماكان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها ومايبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها لأن هذا لايمكنها إخفاؤه..[2].

وقال الشنقيطي - رحمه الله - بعد ذكره لأقوال العلماء وأدلتهم: أظهر القولين عندي قول ابن مسعود رضي الله عنه إن الزينة الظاهرة: هي مالا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من بدن المرأة الأجنبية. وإنما قلنا إن هذا القول هو الأظهر لأنه أحوط الأقوال وأبعدها عن أسباب الفتنة، وأطهرها لقلوب الرجال والنساء ولايخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها كما هو معلوم، والجاري على قواعد الشرع الكريم هو تمام المحافظة والابتعاد من الوقوع فيما لا ينبغي[3]

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. م ٦ جـ١ ص ٢٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٣ ص٢٨٣.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي جـ٦ ص ٢٠٠.

وأقوال العلماء المتقدمة معتمدة على الآثار الصحيحة الواردة في ذلك.
فقد ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأوَل لما أنزل الله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ «شققن مروطهن فاختمرن بها»(١).

قال ابن حجر - رحمه الله - في قولها «فاختمرن بها» أي غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع»(٢).

وقال الإمام أحمد: الزينة الظاهرة الثياب ولكل شيء منها عورة حتى الظفر ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبيات لغير عذر، فلايجوز لا لشهوة ولا لغيرها. وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن(٣).

وقال أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - في قوله: **﴿ولا يبدين زينتهن﴾**: أي لايظهرن محاسن ملابسهن وحليهن ووجوههن وأيديهن وسائر أعضاء أجسادهن استثنى من هذا الحكم العام بكلمة **﴿إلا﴾** في جملة **﴿ماظهر منها﴾** أي ما كان ظاهراً لايمكن إخفاؤه أو ظهر بغير قصد الإظهار من هذه الزينة وهذه الجملة تدل على أن النساء لايجوز لهن أن يتعمدن إظهار هذه الزينة غير أن ماظهر منها دون قصد منهن - كأن يخف الرداء لهبوب الريح وتنكشف بعض الزينة مثلاً - أو ماكان ظاهراً بنفسه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** جـ٣ص٢٧٠ حديث ٤٧٥٨.

(٢) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني جـ٨ص٦٠٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي. جـ٦ص٣١.

لايمكن إخفاؤه كالرداء الذي تجلل به النساء ملابسهن؛ لأنه لايمكن إخفاؤه فلا مؤاخذة عليه من الله تعالى[1] .

وقال شيخنا عبد العزيز بن عبدالله بن باز حول قوله تعالى: ﴿ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه «ماظهر منها» يعني بذلك ماظهر من اللباس فإن ذلك معفو عنه. ومراده بذلك رضي الله عنه الملابس التي ليس فيها تبرج وفتنة. وأما ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه فسر ﴿ماظهر منها﴾ بالوجه والكفين فهو محمول على حالة النساء قبل نزول آية الحجاب، وأما بعد ذلك فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع كما سبق في الآيات الكريمات من سورة الأحزاب وغيرها ويدل على أن ابن عباس أراد ذلك، ماروا‌ه علي بن أبي طلحة عنه أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة[2] .

وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره من أهل العلم والتحقيق. وهو الحق الذي لاريب فيه. وأما ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة - رضي الله عنها - أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «**يأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا** «وأشار إلى وجهه وكفيه» فهو ضعيف الإسناد لايصح عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من رواية خالد بن دريك عن عائشة وهو لم يسمع منها فهو منقطع ولهذا قال أبو داود بعد روايته لهذا الحديث هذا مرسل، خالد لم يدرك عائشة

---

(١) تفسير سورة النور. المودودي ١٥٧، ١٥٨. مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٧٨هـ.

(٢) وانظر الحجاب. المودودي. ٢٩٦/٣٠٦. باختصار مؤسسة الرسالة بيروت.

ولأن في إسناده سعيد بن بشير وهو ضعيف لايحتج بروايته.. وفيه علة ثالثة وهي عنعنة قتادة عن خالد بن دريك وهو مدلس. ومعلوم مايترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة»[١].

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين حول قوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾: فإن الخمار ماتخمر به المرأة رأسها وتغطيه كالغرفة، فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها إما لأنه من لازم ذلك أو بالقياس فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب أولى؛ لأنه موضع الجمال والفتنة. فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لايسألون إلا عن الوجه فإذا كان جميلاً لم ينظروا إلى ماسواه نظراً ذا أهمية ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام إلا جمال الوجه فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلباً وخبراً فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه. ثم إن الله تعالى نهى عن إبداء الزينة مطلقاً إلا ماظهر منها وهي التي لابد أن تظهر كظاهر الثياب، ولذلك قال: إلا ماظهر منها لم يقل إلا ماأظهرن منها ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة إلا لمن استثناهم فدل هذا على الزينة الثانية غير الزينة الأولى فالزينة الأولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل أحد ولايمكن إخفاؤها. والزينة الثانية هي الباطنة التي يتزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الأولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة[٢].

---

(١) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور. جماعة من العلماء ص ٥٩، ٦٠.

(٢) رسالة الحجاب. الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص٧، ٨.

وبعد سياق الأدلة وأقوال السلف والخلف حول الآية الكريمة يتبين وجوب الحجاب وأن الحجاب الشرعي يعني أن تغطى المرأة المسلمة جميع أجزاء بدنها عند غير محارمها والله أعلم.

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿**والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم**﴾[1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ القواعد العجز اللواتي قعدن عن التصرف من السن وقعدن عن الولد والمحيض، هذا قول أكثر العلماء. وقال ربيعة: هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها ﴿**غير متبرجات بزينة**﴾ أي غير مظهرات ولامتعرضات بالزينة لينظر إليهن فإن ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحق. والتبرج والتكشف والظهور للعيون[2].

وقال الزمخشري في قوله تعالى ﴿**والقواعد من النساء**﴾المراد بالثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار ﴿**غير متبرجات بزينة**﴾ غير مظهرات زينة. يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ﴿**ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن**﴾ الآية أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن إليه. والاستعفاف من الوضع خير لهن.

لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها..[3].

---

(١) سورة النور آية (٦٠). (٢) الجامع لأحكام القرآن. م٦ جـ١٢ ص ٣٠٩.

(٣) تفسير الكشاف الزمخشري جـ ٣ ص٧٦.

وقال الرازي: لاشبهة أنه تعالى لم يأذن في أن يضعن ثيابهن أجمع لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون: المراد بالثياب هنا الجلباب والبرد والقناع الذي فوق الخمار وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قرأ ﴿**أن يضعن جلابيبهن**﴾ وعن السدي عن شيوخه: أن يضعن خمرهن عن رؤوسهن.. وإنما خصهن الله تعالى بذلك؛ لأن التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ، فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع الثياب ولذلك قال: ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾ وإنما جعل ذلك أفضل من حيث هو أبعد من المظنة وذلك يقتضي أن عند المظنة يلزمهن أن لايضعن ذلك كما يلزم مثله في الشابة[1].

وقال العلامة ابن باز: يخبر سبحانه وتعالى أن القواعد من النساء - وهن العجائز اللاتي لايرجون نكاحاً - لاجناح عليهن أن يضعن ثيابهن عن وجوههن وأيديهن إذا كن غير متبرجات بزينة فعلم بذلك أن المتبرجة بالزينة ليس لها أن تضع ثوبها عن وجهها ويديها وغير ذلك من زينتها وأن عليها جناحًا في ذلك ولو كانت عجوزًا؛ لأن لكل ساقطة لاقطة؛ ولأن التبرج يفضي إلى الفتنة بالمتبرجة ولو كانت عجوزاً فكيف يكون الحال بالشابة والجميلة إذا تبرجت؟! لاشك أن إثمها أعظم والجناح عليها أشد والفتنة بها أكبر. وشرط سبحانه في حق العجوز أن لاتكون ممن يرجون النكاح وماذلك - والله أعلم - إلا لأن رجاءها النكاح يدعوها إلى التجمل والتبرج بالزينة طمعاً في الأزواج فنهيت عن وضع ثيابها عن محاسنها صيانة لها ولغيرها من الفتنة. ثم ختم الآية سبحانه بتحريض القواعد على

---

(١) تفسير الفخر الرازي م٢ جـ ٢٣ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

الاستعفاف، وأوضح أنه خير لهن وإن لم يتبرجن. فظهر بذلك فضل التحجب والتستر بالثياب ولو من العجائز وأنه خير لهن من وضع الثياب فوجب أن يكون التحجب والاستعفاف عن إظهار الزينة خيراً للشابات من باب أولى وأبعد لهن عن أسباب الفتنة[1].

ووجه الدلالة من الآية واضح كما بينه العلماء من خلال أقوالهم السابقة ونزيد الأمر توضيحاً بكلام فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين حيث يقول: ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى نفى الجناح وهو الإثم عن القواعد وهن العواجز اللاتي لايرجون نكاحاً لعدم رغبة الرجال بهن لكبر سنهن. نفى الله الجناح عن هذه العجائز في وضع ثيابهن بشرط ألا يكون الغرض من ذلك التبرج بالزينة، ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات وإنما المراد وضع الثياب التي تكون فوق الدرع ونحوها مما لايستر ما يظهر غالباً كالوجه والكفين فالثياب المذكورة المرخص لهذه العجائز في وضعها هي الثياب السابقة التي تستر جميع البدن وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل على أن الشواب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم ولو كان الحكم شاملاً للجميع في جواز وضع الثياب ولبس درع ونحوه لم يكن لتخصيص القواعد فائدة. ومن قوله تعالى ﴿غير متبرجات بزينة﴾ دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التي ترجو النكاح لأن الغالب عليها إذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة وإظهار جمالها وتطلع الرجال إليها ومدحهم إياها ونحو ذلك»[2].

---

(١) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور. تأليف جماعة من العلماء ص ٥٤، ٥٥.

(٢) رسالة الحجاب. الشيخ محمد بن عثيمين ص ١٠، ١١.

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿يأأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيمًا﴾[1].

قال أبو بكر الجصاص[2] ـ رحمه الله ـ حدثنا عبدالله بن محمد قال حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي خيثم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية· ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾خرج نساء من الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها قال أبو بكر: في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن، وفيها دلالة على أن الأمة ليس عليها ستر وجهها وشعرها؛ لأن قوله تعالى: ﴿ونساء المؤمنين﴾ ظاهرة أنه أراد الحرائر[3] وكذا روي في التفسير لئلا يكن مثل الإماء اللاتي هنّ غير مأمورات بستر الرأس والوجه فجعل الستر فرقاً يعرف به الحرائر من الإماء[4].

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ وأما الفرق بين الحرة والأمة فدين الله تعالى واحد والخلقة والطبيعة واحدة، كل ذلك في الحرائر والإماء سواء حتى يأتي نص في الفرق بينهما في شيء فيوقف عنده[5].

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٩).

(٢) هو الإمام أبو بكر بن علي الرازي الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـ.

(٣) ظاهر النص أنه يشمل جميع المؤمنات والتخصيص لابد له من مخصص ولم أقف على مخصص.

(٤) أحكام القرآن. الجصاص. جـ٣ ص٣٧١، ٣٠٠.

(٥) المحلى لابن حزم م٢ جـ٣ص٢١٨، ولمزيد من القول في هذه المسألة انظر ص ٢١٩.

وقال **الطبري** حول هذه الآية: لايتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن؛ لئلا يعرض لهن فاسق إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول، ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به، فقال بعضهم: «هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عيناً واحدة..»[1].

وقال **الزمخشري**: معنى قوله **﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾** يرخينها ويغطين بها وجوههن وأعطافهن، يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك، وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن[2] في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لافصل بين الحرة والأمة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة، يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع..»[3].

وقيل في قوله تعالى **﴿جلابيبهن﴾** إن كان المراد القميص فإدناؤه إسباغه حتى يغطي بدنها وثيابها ورجليها، وإن كان مايغطي الثياب فإدناؤه وتطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها، وإن كان المراد مادون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين[4].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن. الإمام الطبري م١٠ جـ٢٢ص٣٣ وقد مد أقوال العلماء بعد ذلك انظر ص٣٣، ٣٤.

(٢) عادتهن في الجاهلية.

(٣) تفسير الكشاف الزمخشري م٣ جـ٥ ص٥٤.

(٤) السراج المنير. للشربيني جـ٣ص٢٢٠. طبعة المطبعة الخيرية.

ومعظم المفسرين على أن الإدناء معناه تغطية الوجه وجميع أجزاء البدن وعدم إظاهر شيء منها اللّهم إلا عيناً واحدة فقط للنظر منها.

ولقد قال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بعد أن ذكر أقوال المفسرين حول هذه الآية: هذا غيض من فيض في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب، وإلا لو تتبعنا تفسيرها في مظانه لضاق المجال بنا ومل القارئ منا مواصلة سرد الأدلة الصحيحة على فرضية النقاب فحسبنا ماوفقنا الله تعالى إليه من أقوال المفسرين التي تضافرت جميعها على أن المقصود منها هو إدناء الجلباب على الوجه بحيث لايظهر من المرأة إلا عينها اليسرى، ولو كان ثم دليل على فرضية النقاب لكانت الآية وكفى.

ويقول ـ وفقه الله ـ: وخلال بحثي لأقوال المفسرين لهذه الآية العزيزة الكريمة ما رأيت أحداً شذ عن الآخر في تفسيرها الذي بيناه حتى وقعت عيني على تفسير الشيخ «ناصر الدين الألباني» فهالني ما أتى به من التأويل الغريب العجيب الذي خالف به جمهور السلف وصادم به أيضاً فحول المفسرين أمثال: الطبري، وابن كثير، وابن الجوزي وأبي حيان وأبي السعود والنسفي والسدي والبيضاوي..[1].

هذه بعض الأدلة من الكتاب على وجوب الحجاب وتركنا البعض الآخر للاختصار.

الأدلة من السنة على وجوب الحجاب:

ورد أحاديث وآثار كثيرة جداً منها مايفيد مشروعية الحجاب إما صراحة أو مضموناً، ومنها مايفيد منع الرجال من النظر إلى الأجنبيات أو الخلوة بهن

---

(١) الحجاب والسفور في الكتاب والسنة. الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٩٨.

ومنها مايمنع النساء من إبداء شيء منهن، ونحو ذلك من الأدلة.

وسوف نقتصر على ذكر بعضها طلباً للاختصار:

١- ورد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته أني خطبت امرأة «فقال: **هل رأيتها؟** قلت: لا، قال: «**فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» قال: فأتيتهم فأخبرتهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها أبوها فسكتا، فقالت المرأة: إني أحرج عليك إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرك أن تنظر إليَّ. وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر إلي لما نظرت ورفعت السجف فنظرت إليها فتزوجتها، فما نزلت مني امرأة قط بمنزلتها، وقد تزوجت سبعون لمرأة أو بضعة وسبعين[١].

٢- وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى مايدعوه إلى نكاحها فليفعل**» فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها، حتى رأيت منها مادعاني إلى نكاحها وتزوجتها»[٢].

وقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب بقوله: باب النظر إلى المرأة قبل التزويج.

٣-وذكر حديث عائشة ولفظه قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرفة من حرير. فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن**

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه جـ١ ص١٤٥. باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها. وقد ذكر سعيد بن منصور بروايته أحاديث وآثار أخرى بهذا المعنى. انظر صفحة ٤٦، ٤٧، من المرجع نفسه.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ٣٣٤.

وجهك الثوب، فإذا أنت هي، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه»[1]

٤- وحديث سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ «فقالت يارسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه. فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: أي رسول الله إن لم تك لك بها حاجة فزوجنيها فقال: «وهل عندك من شيء؟»، قال: لا والله يارسول الله. قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟»، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ماوجدت شيئاً. قال: «انظر ولو كان خاتماً من حديد؟» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ولاخاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال: سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله ﷺ: «ماتصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء؟» فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول اللهﷺ مولياً فأمر به فدعي فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟» قال معي سورة كذا وسورة كذا قال أتقرؤهن عن ظهر قلب قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن»[2]

قال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: قال الجمهور: لابأس أن ينظر الخاطب إلى المخطوبة. قالوا: ولاينظر إلى غير وجهها وكفيها. وقال الأوزاعي: يجتهد وينظر إلى مايريد منها إلا العورة. وقال ابن حزم: ينظر إلى ما أقبل منها وما أدبر منها ...[3]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة قبل التزويج جـ٣ ص٣٦٩ حديث ٥١٢٥.

(٢) المرجع السابق، الكتاب والباب حديث٥١٢٦.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٩ ص ١٨٢.

والأحرى أنه لاينظر إلا إلى الوجه والكفين فقط تمشياً مع نصوص الشرع.

وقال ابن قدامة[1] :

فأما نظر الرجل إلى الأجنبية من غير سبب فإنه محرم إلى جميعها في ظاهر كلام أحمد.

قال أحمد:

لايأكل مع مطلقته. هو أجنبي لايحل له أن ينظر إليها. كيف يأكل معها وينظر إلى كفها لا يحل له ذلك[2].

ويقول الطحاوي[3] :

«وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين رجال، لأنه عورة لخوف الفتنة كمسه»[4].

---

(١) هو عبدالله بن أحمد بن قدامة الدمشقي، قرأ القراءات واشتغل في صغره بالعلم، وسمع من أبيه وبرع في الفقه والحديث. وله مؤلفات جليلة منها: المغني، وروضة الناظر في أصول الفقه. توفي ٦٢٠هـ.

انظر النجوم الزاهرة للأتابكي ٦/ ٢٥٦.

(٢) المغني. ابن قدامة جـ٦ ص٥٥٨، ٥٥٩.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي. فقيه حنفي سمع من ابن رفاعة ويونس بن عبدالأعلى والخولاني وغيرهم، وقد برز في الفقه والحديث. وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر. وله مؤلفات منها اختلاف العلماء. والشروط وأحكام القرآن ومعاني الآثار. توفي ٣٢١ هـ. سير أعلام النبلاء. الذهبي جـ١٥ ص ٢٩

(٤) حاشية الطحاوي على الدر المختار جـ١ ص١٩١. ط لاتوجد. موجودة في مكتبة الحرم النبوي.

فنقول إن هذه الأحاديث تدل على أن النساء كن قائمات بالتستر، بحيث لم يكن الرجل يقدر على أن يراهن إلا بالحيل والتصرفات أو بإذن أهلهن ولو كن يخرجن كاشفات عن وجوههن لم يحتج من يخطبهن إلى بذل جهود كبيرة للنظر إليهن.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين:

وجه الدلالة أن النبي ﷺ نفي الجناح عن الإثم عن الخاطب خاصة إذا نظر من مخطوبته بشرط أن يكون نظرة للخطبة، فدل هذا على أن غير الخاطب آثم بالنظر إلى الأجنبية بكل حال، وكذلك الخاطب إذا نظر لغير الخطبة مثل أن يكون غرضه من النظر التلذذ والتمتع به ونحو ذلك..[1]

٥- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه»[2].

٦- وقول فاطمة بنت المنذر[3] «كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما».

قال في بداية المجتهد: وأجمع العلماء على أن إحرام المرأة في وجهها[4]

---

(١) رسالة الحجاب. محمد العثيمين. ص١٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب المناسك. باب في المحرمة تغطي وجهها جـ٢ ص١٦٧ حديث ١٨٣٣. ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٦ ص ٣٠.

(٣) هي فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام الأسدية زوجة هشام بن عروة. روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر الصديق. وهي مدنية تابعية ثقة.

تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤٤.

(٤) بداية المجتهد. ابن رشد جـ١ ص٤٠١ مطبعة إحسان القاهرة.

وقال الشوكاني: استدل بهذا الحديث على أنه يجوز للمرأة إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريباً منها فإنها تسدل الثوب من فوق رأسها على وجهها؛ لأن المرأة تحتاج إلى ستر وجهها فلم يحرم عليها ستره مطلقاً كالعورة[1].

قلت: فإذا كان يجوز للمرأة أن تغطي وجهها في الإحرام، وهو محرم عليها بسبب الإحرام إلا أنه يجوز لها ذلك لمرور الرجال قريباً منها، فيكون تغطية الوجه في غير وقت الإحرام من باب أولى.

وقال الشيخ محمد بن عثيمين:

فيه دليل على وجوب ستر الوجه؛ لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى أمام الركبان. وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم والواجب لايعارضه إلا ماهو واجب، فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب ماساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام[2].

وهناك أدلة كثيرة تدل على وجوب الحجاب تركناها للاختصار ولوضوح الأمر بالأدلة المذكورة[3].

وهناك فريق من العلماء يجيزون للمرأة كشف الوجه والكفين ولهم أدلة في ذلك لكنها لاتقوى على معارضة الأدلة الموجبة للحجاب.

---

(١) نيل الأوطار. الشوكاني م ٣ جـ٥ ص٧. مطبعة الحلبي.

(٢) رسالة الحجاب. ابن عثيمين. ص١٨.

(٣) لمعرفة مزيد من الأدلة انظر كتاب عودة الحجاب محمد بن أحمد المقدم ج٣ من ص٣٠١ إلى ص٣٢٩.

١- قوله تعالى ﴿ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾.

قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: قال سعيد بن جبير: الوجه والكفان والثياب.

وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة: هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذارع والقرطة والفتخ ونحو هذا فمباح أن تبديه لكل من دخل عليها من الناس[1]

وقال القرطبي أيضاً:

لما كان الغالب في الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما[2]

وقال الفخر الرازي في تفسيره ﴿إلا ماظهر منها﴾ قال القَفَّال: إلا مايظهره الإنسان في العادة الجارية، وذلك في النساء الوجه والكفين وفي الرجل الأطراف من الوجه واليدين والرجلين، فأمروا بستر ما لاتؤدي الضرورة إلى كشفه ورخص لهم في كشف ماعتيد كشفه وأدت الضرورة إلى إظهاره؛ إذ كانت شرائع الإسلام حنيفية سهلة سمحة، ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروري لاجرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة.

وقال الفخر الرازي: « والسبب في تجويز النظر إليها أن تسترها فيه حرج؛ لأن المرأة لابد لها من مناولة الأشياء بيدها والحاجة إلى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة والنكاح»[3]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م٦ جـ١٢ ص٢٢٨.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) تفسير الفخر الرازي م١٢ جـ٢٣ ص٢٠٦، ٢٠٧

وقال الزمخشري في قوله ﴿إلا ماظهر منها﴾: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب... ؛ لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لاتجد بدأً من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات..[1]

وقال ابن حزم[2] - رحمه الله - قي قوله **﴿ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** فأمرهن الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب، وهذا نص على ستر العورة والعنق والصدر. وفيه نص على إباحة كشف الوجه لا يمكن غير ذلك أصلاً.

وقال الألباني: فالخمار هو مايغطي الرأس، والجيب: هو موضع القطع من الدرع والقميص، وهو من الجوب وهو القطع فأمر الله تعالى بِلَيّ الخمار على العنق والصدر فدل على وجوب سترهما، ولم يأمر بلبسه على الوجه فدل على أنه ليس بعورة[3].

رد القائلين بوجوب ستر الوجه واليدين:

---

(١) تفسير الكشاف. الزمخشري م٢جـ٤ص١٢٤.

(٢) هو علي بن محمد بن سعيد بن حزم. كان أديباً طبيباً شاعراً فصيحاً فقيهاً محدثاً كثير الوقيعة في العلماء « عفا الله عنه» له مصنفات كثيرة منها المحلى والإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والأهواء والنحل ت سنة.٤٥٦هـ.
انظر وفيات الأعيان. ابن خلكان جـ٣ ص٣٢٥. دار صادر بيروت.

(٣) حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة. الألباني ص٣٣.

١- ماذكره العلماء من أن الزينة الظاهرة والتي لابد من ظهورها كالثياب ونحوها أو ماخرج من غير قصد وقد سبق ذكر أقوالهم بالتفصيل[١].

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ مفصلاً القول في ذلك:

أ ـ إن قول من قال في معنى **﴿ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾** ان المراد بالزينة الوجه والكفان مثلاً، توجد في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول، وهي أن الزينة في لغة العرب، هي ماتتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها: كالحلى، والحلل. فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولايجوز الحمل عليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه. وبه تعلم أن قول من قال: الزينة الظاهرة: الوجه والكفان خلاف ظاهر لمعنى لفظ الآية، وذلك قرينة على عدم صحة هذا القول، فلا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه.

ب ـ وأما نوع البيان الثاني المذكور فإيضاحه: أن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها ولا يراد به بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها. كقوله تعالى **﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[٢].

وقوله تعالى **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾**[٣] وقوله تعالى

---

(١) انظر صفحة «٨ إلى ١٢» من هذا البحث. عند الحديث عن الآية **﴿وليضربن بخمرهن﴾**.

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية (٣١).

(٣) سورة الأعراف جزء من الآية (٣٢)

﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ [1] ... فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به مايزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته كما ترى[2].

٢- ومن أدلتهم أيضاً مارواه عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس - رضي الله عنهما - يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئاً، فوقف النبي ﷺ يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدّل وجهه على النظر إليها، فقالت يارسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده أَدْرَكَت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه قال: «**نعم**»[3].

قال ابن حزم:

فلو كان الوجه عورة يلزم ستره لما أقرها عليه السلام على كشفه بحضرة الناس، ولأمرها أن تسبل عليه من فوق. ولو كان وجهها مغطى ماعرف ابن عباس أحسناء هي أم شوهاء؟ فصح ماقلناه يقيناً. والحمدلله كثيراً [4].

---

(١) سورة الكهف جزء من الآية (٧).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن جـ٦ ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الاستئذان. باب قول الله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾** الآية جـ٤ ص ١٣٥، ١٣٦ حديث ٦٢٢٨.

(٤) المحلى. ابن حزم م٢ جـ٣ ص ٢١٨.

قال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: قال ابن بطال [1] : «في الحديث الأمر بغض البصر خشية الفتنة، ومقتضاه أنه إذا أمنت الفتنة لم يمتنع ويؤيده أنه ﷺ لم يحول وجه الفضل حتى أدمن النظر إليها لإعجابه بها فخشي الفتنة عليه. وفيه دليل على أن نساء المؤمنين ليس عليهن من الحجاب مايلزم أزواج النبي ﷺ إذ لو لزم ذلك جميع النساء لأمر النبي ﷺ الخثعمية بالاستتار، ولما صرف وجه الفضل. وفيه دليل على أن ستر المرأة وجهها ليس فرضاً لاجتماعهم على أن للمرأة أن تبدي وجهها في الصلاة ولو رآها الغرباء» [2]

وقال الألباني: «والحق أن هذا من أوضح الأدلة وأقواها على أن وجه المرأة ليس بعورة» [3].

الاعتراض على ذلك:

أجاب القائلون بوجوب ستر الوجه واليدين على الحديث بأجوبة منها:

قال ابن حجر: وفيه منع النظر إلى الأجنبيات وغض البصر، وقال في موضع آخر رداً على كلام ابن بطال المتقدم آنفاً. وفي استدلاله بقصة الخثعمية لما ادعاه نظر لأنها كانت محرمة [4].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي. أصله من قرطبة. كان عالماً فقيهاً. له شرح على صحيح البخاري. وله كتاب الاعتصام في الحديث توفي سنة ٤٤٤ هـ وقيل غير ذلك. انظر مقدمة تحفة الأحوذي. للمباركفوري جـ١ ص٢٢٥. نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٢) فتح الباري. ابن حجر جـ١١ ص١٠.

(٣) حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة. الألباني ص٢٩.

(٤) فتح الباري. ابن حجر جـ١١ ص١٠.

قال عياض[1] : «وزعم بعضهم أنه غير واجب ـ تغطية الوجه والكفين ـ إلا عند خشية الفتنة. قال: وعندي أن فعله ﷺ إذا غطى وجه الفضل أبلغ من القول ثم قال: لعل الفضل لم ينظر نظراً ينكر بل خشي عليه أن يؤول إلى ذلك أو كان قبل نزول الأمر بإدناء الجلابيب»[2].

وقال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ وفي إباحة النظر إلى المرأة إذا أراد تزويجها، دليل على التحريم عند عدم ذلك؛ إذ لو كان مباحاً على الإطلاق فما وجه التخصيص لذلك[3].

ـ **وقال الشنقيطي** ـ رحمه الله ـ ردأ على من استدل بالحديث على كشف الوجه واليدين: وأجيب عن ذلك من وجهين:

الأول: الجواب بأنه ليس في شيء من روايات الحديث التصريح بأنها كانت كاشفة عن وجهها، وأن النبي ﷺ رآها كاشفة عنه وأقرها على ذلك، بل غاية مافي هذا الحديث أنها كانت وضيئة، وفي بعض روايات الحديث أنها حسناء ومعرفة كونها وضيئة أو حسناء لايستلزم أنها كانت كاشفة عن وجهها، وأنه ﷺ أقرها على ذلك. بل قد ينكشف عنها خمارها من غير قصد فيراها بعض الرجال من غير قصد كشفها عن وجهها. ويحتمل أن يكون يعرف حسنها قبل ذلك الوقت لجواز أن يكون قد رآها قبل ذلك وعرفها.

---

(١) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي. كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وصنف التصانيف المفيدة منها: الإكمال في شرح كتاب مسلم. ومشارق الأنوار والتنبيهات. وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم توفي ٥٤٤هـ.

انظر وفيات الأعيان جـ٣ ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) فتح الباري جـ٤ ص٦٠.

(٣) المغني جـ ٦ ص ٥٥٩.

واطلاع الفضل على أنها وضيئة حسناء لا يستلزم السفور قصداً لاحتمال أن يكون رأى وجهها وعرف حسنه من أجل انكشاف خمارها من غير قصد منها، واحتمال أنه رآها قبل ذلك وعرف حسنها. . . **والوجه الثاني**: أن المرأة محرَمة وإحرام المرأة في وجهها وكفيها. فعليها كشف وجهها إن لم يكن هناك رجال أجانب ينظرون إليها وعليها ستره من الرجال في الإحرام. . ."[1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «. . وهذا منع وإنكار بالفعل فلو كان النظر جائزاً لأقره عليه»[2].

فهذه الأقوال تبين الأمر في هذا الحديث حيث إنه ليس مؤكدا انها كانت كاشفة، وإذا ثبت هذا فإنه بسبب الإحرام. ثم إن الرسول ﷺ أنكر على الفضل فعله والله أعلم.

٣- ومن أدلتهم أيضاً: ماورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «**ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه»[3]

وفي السنن الكبري للبيهقي: قال الشيخ مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة رضي الله عنهم في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة فصار القول بذلك

---

(١) أضواء البيان. جـ ٦ ص ٦٠٠، ٦٠١.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ابن القيم ص١٠٢ مكتبة القاهرة ١٩٧٣م

(٣) رواه أبو داود. كتاب اللباس. باب فيما تبدي المرأة من زينتها جـ٤ ص ٦٢ حديث ٤١٠٤.

قوياً وبالله التوفيق[1] .

وقال القرطبي حول هذا الحديث: فهذا أقوى في جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس فلا تبدى من زينتها إلا ماظهر من وجهها وكفيها[2] .

فقال المجيزون إن هذا الحديث صريح في جواز كشف الوجه واليدين.

رد القائلون بوجوب تغطية الوجه واليدين. بأن هذا الحديث ضعيف للأمور التالية:

١- أعل هذا الحديث أبو داود راوي الحديث فقال عند ذكره: «حديث أسماء هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يدرك عائشة - رضي الله عنها -[3] وفي إسناده: سعيد بن بشير أبو عبدالرحمن البصري نزيل دمشق مولى بني نصر وقد تكلم فيه غير واحد.

وذكر الحافظ أبو أحمد الجرجاني هذا الحديث وقال: لاأعلم من رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير[4]

وقال ابن الصلاح: وماذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه، هو الذي استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الأثر وتداولوه في تصانيفهم[5] .

---

(١) انظر السنن الكبرى للبيهقي جـ٢ ص ٢٢٦. دار الفكر بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م٦ جـ١٢ ص ٢٢٩.

(٣) سنن أبي داود. كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها جـ٤ ص ٦٢ حديث ٤١٠٤.

(٤) انظر مختصر سنن أبي داود المنذري جـ٦ ص ٥٨.

(٥) انظر الباعث الحثيث. ابن كثير ص٣٧ ـ ٤١.

٢- وسعيد بن بشير ضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وقال أبو حاتم: «محله الصدق» وقال ابن سعد «كان قدرياً» وقال ابن عدي: «الغالب في حديثه الاستقامة»[١] .

وقال ابن حبان: فاحش الخطأ [٢] وقال ابن حجر «ضعيف»[٣]

٣- أن فيه قتادة وهو مدلس، وقد عنعنه كما أن فيه الوليد بن مسلم قال ابن التركماني: «هو مدلس»[٤] [٥] .

٤- ومن أدلتهم أيضاً ما رواه جابر بن عبدالله ﷺ قال شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولاإقامة، ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: «**تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم**». فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت: ولم يارسول الله قال: «**لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير**» قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن»[٦] .

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي ص ١١٦.

الطبعة الأولى سنة ١٣٣٣هـ.

(٢) انظر عون المعبود جـ١١ ص ١٦٢. (٣) انظر التقريب جـ ١ ص ٢٩٢.

(٤) انظر الجوهر النقي هامش سنن البيهقي٧/ ٨٦.

(٥) انظر كتاب الحجاب والسفور. ابن بازص٣٩ـ٤٥ ففيه كلام مفيد يوضح ضعف هذا الحديث.

(٦) رواه مسلم. كتاب صلاة العيدين. باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين م٢ جـ٣ ص١٩.

قال القدوري[1] :وبدن المرأة الحرة كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها [2] وقد أجاب القائلون بوجوب الحجاب بالآتي:

«وأجيب عن حديث جابر هذا بأنه ليس فيه مايدل على أن النبي ﷺ رآها كاشفة عن وجهها وأقرها على ذلك، بل غاية مايفيده الحديث أن جابراً رأى وجهها، وذلك لايستلزم كشفها عنه قصداً، وكم من امرأة يسقط خمارها عن وجهها من غير قصد فيراه بعض الناس في تلك الحال، فعلى المحتج بحديث جابر المذكور أن يثبت أنه ﷺ رآها سافرة وأقرها على ذلك ولاسبيل إلى إثبات ذلك»[3] .

الراجح:

وبعد عرض الأدلة ومناقشتها تبين لنا أن الراجح هو وجوب تغطية الوجه والكفين ولو لم يكن من المرجحات إلا أمن الفتنة ودرء الفساد لكفى فكيف مع وجود الأدلة في ذلك. والله أعلم.

التبرج والاختلاط:

إن الحجاب الذي تحدثنا عنه قبلاً شرع من أجل عناية الإسلام بالمرأة، يصون عرضها ويحفظ عفتها ويجعلها شريفة مكرمة، وإن الضوابط التي

---

(١) هو أحمد بن محمد القدوري: انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق، سمع الحديث وروى عنه أبو بكر الخطيب وله مؤلفات منها «المختصر» توفي سنة ٤٢٨هـ ببغداد. انظر وفيات الأعيان ١/ ٧٨.

(٢) الكتاب. القدوري مع اللباب في شرح الكتاب ١/ ٦٢ تحقيق محمود أمين الذواوي طبعة دار الحديث بيروت.

(٣) أضواء البيان: الشنقيطي جـ٦ ص ٥٩٧.

شرعها الإسلام في ملبسها وعلاقاتها لم تكن إلا لسد الذرائع. وإن تحريمه للاختلاط والتبرج اللذين ربما يكونان سبباً للوقوع في الجريمة أو مقدماتها.

كل ذلك شرع من أجل المحافظة على المرأة؛ لأن المرأة بحد ذاتها فتنة يفتتن بها الرجال ولاسيما إذا هي عملت على إشعال الفتنة باختلاطها وتبرجها وكلامها وزينتها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة. فقال سبحانه وتعالى **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب﴾**[١] فالمرأة هي مقدمة الأمور المحبوبة.

ولأن المرأة إذا أرادت الوقوع في هذا الأمر فإن لها شأناً عظيماً. يقول تعالى حكاية عن عزيز مصر **﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾**[٢].

ولقد وضح الرسول ﷺ هذا الجانب وبين خطورته على الأمة.

ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[٣].

فلذلك حرم الإسلام الاختلاط والتبرج.

---

(١) سورة آل عمران آية (١٤).

(٢) سورة يوسف جزء من الآية (٢٨).

(٣) رواه مسلم. كتاب الرقاق. باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة في النساء م٤ جـ٨ ص٨٩.

تعريف التبرج:

قال الجوهري: البَرَجُ بالتحريك: أن يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله لايغيب من سوادها شيء. وامرأة برجاء بَيِّنَةُ البرج، ومنه قيل ثوب مبرج للمعين من الحلل.

والتبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال[١] .

والسفور يأتي بمعنى التبرج. فيقال للمرأة الكاشفة عن وجهها فهي سافرة[٢] ويقال سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها النقاب أي ألقته[٣] .

التعريف الاصطلاحي:

قيل: هو تكلف مايجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لاغطاء عليها، وبدا وبرز بمعنى ظهر. أو بأن تكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها ومحاسنها[٤] .

وقيل أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها مايجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجال[٥] .

وقيل: أن تخرج المرأة محاسنها. قاله البخاري[٦] .

---

(١) الصحاح. الجوهري جـ١ ص٢٩٩.

(٢) انظر القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادي جـ٢ص٤٩.

(٣) انظر تاج العروس. محمد الزبيدي جـ٣ ص٢٧٠

(٤) تفسير الكشاف. الزمخشري جـ٣ ص٧٦.

(٥) فتح القدير. الشوكاني جـ٤ ص٢٧٨.

(٦) صحيح البخاري جـ٦ ص ٢١١.

وقيل: التبرج جامع للتبختر والتكسر في المشية أمام الرجال، وإبراز المحاسن والزينة لهم[1].

وقال السيد سابق: هو خروج المرأة من الحشمة وإظهار مفاتنها وإبراز محاسنها[2].

وقيل غير ذلك. والمهم أن المعرفين للتبرج كلهم مجمعون على أنه إظهار المحاسن والزينة والمفاتن للرجال الأجانب.

لماذا حرم الإسلام التبرج والاختلاط؟؟

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن الإسلام حرمه للأمور التالية:

١- لأنه كبيرة موبقة فقد ورد أن أميمة بنت رقية جاءت إلى رسول الله ﷺ تبايعه فقال: **«أبايعك على ألا تشركي بالله، ولاتسرقي ولا تزني، ولاتقتلي ولدك ولاتأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولاتنوحي ولاتتبرجي تبرج الجاهلية الأولى»**[3].

فجعل الرسول ﷺ عدم التبرج شرطاً في المبايعة.

ويشهد لذلك قوله تعالى **﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾**[4].

---

(١) المرأة بين البيت والمجتمع. البهي الخولي ص ٢٠٨. دار العروبة بالقاهرة.

(٢) فقه السنة جـ٢ ص ١٨٠. الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ دار الفكر بيروت.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٢ ص١٩٦ وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) سورة الممتحنة آية (١٢).

وقوله تعالى: **﴿ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**[1].

فتأمل كيف جعل التبرج من صفات أهل الجاهلية.

٢- ولأنه من صفات أهل النار:

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[2].

٣- ولأن فعله يجلب اللعن على صاحبه. ورد عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ **«سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت، إلعنوهن فإنهن ملعونات»**[3].

٤- ولأنه سبب لهتك ستر الله.

ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل»[4].

---

(١) سورة الأحزاب جزء من الآية (٣٣).

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب اللباس. باب النساء الكاسيات .. م٣ جـ١٦٨٦.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير ص ٢٣٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ وقد صحح الألباني هذا الحديث انظر كتاب «الحجاب» ص٥٦.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٦ ص ١٩٩.

وغير ذلك من الأمور العظيمة والوعيد الشديد للمتبرجات. لذلك كله وغيره حرم الإسلام التبرج.

الاحتساب على التبرج والاختلاط

إذا عرفنا أن التبرج محرم شرعاً؛ لأنه سببٌ لوقوعٍ الجريمة أو مايدور حولها فإنه يجب إنكار ذلك. وطريقة الإنكار هي تتبع الأماكن التي يحدث فيها التبرج والاختلاط، ومنع ذلك مطلقاً، وذلك بالطرق الشرعية التي سبق الإشارة إليها.

ومع الأسف إننا في هذا العصر نجد أسواق المسلمين في العالم الإسلامي تعج بالتبرج والاختلاط والسفور، فتخرج المرأة إلى السوق متجملة متزينة متطيبة كاشفة عن وجهها ويديها إلى نصف ذراعيها وساقيها وتختلط بالرجال وتزاحمهم وتبيع وتشترى، وهي على هذه الحال، ومع ذلك لاتجد من يمنعها، بل ربما خاف المحتسبون منها عند أمرها ونهيها، وأكبر من ذلك أنه ربما نالهم منها أذى من سب وشتم ونحو ذلك بسبب نهيها.

ولاشك أن هذه مصيبة عظمى وبلية كبرى وقعت في المجتمع الإسلامى.

فأين الخوف من الله؟

وأين الحياء والخجل عند النساء؟

وأين المحتسبون؟

وأين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

إنه يجب على الغيورين على دين الله وحرمات المسلمين أن يُجَنِّدوا أنفسهم لإنكار هذا المنكر العظيم الذي ربما كان سبباً في وقوع سخط الله وغضبه بسبب هذه المنكرات التي فشت وانتشرت ولم تجد من يغيرها.

ولقد كان رسول الله ﷺ وصحابته والسلف الصالح لايسكتون عن مثل هذه المنكرات، بل يسارعون إلى إنكارها ومحاربتها لمعرفة خطورتها إذا تركت.

احتساب الرسول ﷺ الفعلي على النساء:

- ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد»[1].

- وعن أم سلمة - رضي الله عنها قالت: «كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال: النبي ﷺ: «**احتجبا منه**» فقلنا يارسول الله «أليس أعمى لايبصرنا ولا يعرفنا؟» فقال النبي ﷺ: «**أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه**»[2].

- وعن علي رضي الله عنه أنه كان عند رسول الله ﷺ: فقال «**أي شيء خير للمرأة؟** فسكتوا، فلما رجعت قلت لفاطمة أي شيء خير للنساء. قالت: لايراهن الرجال. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني** - رضي الله عنها -»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.

(٢) رواه الترمذي في سننه. أبواب الاستئذان والآداب. باب ماجاء في احتجاب النساء من الرجال جـ٤ ص ١٩١، ١٩٢ حديث ٢٩٢٨. وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار رقم (١٤٠٥) وقد ضعفه الحافظ العراقي وغيره. وأما حديث «إنما فاطمة بضعة مني» رضي الله عنها فقد ثبت في الكتب الستة. وانظر إلى=

- وعن أبي أسيد[1] رضي الله عنه عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء: **«استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق»** فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به»[2].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمشي في الطريق وأمامه امرأة فقال لها: **تنحي عن الطريق** فقالت: الطريق واسع فقال رسول الله ﷺ **«دعوها فإنها جبارة»**[3].

- وعن علي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس فقال: «**مايجلسكن**؟ قلن: نتتظر الجنازة، قال **هل تغسلن**؟ قلن: لا، قال: **هل تحملن**؟ قلن: لا، قال: **هل تدلين فيمن يدلي**؟ قلن: لا، قال: **فارجعن مأزورات غير مأجورات**»[4].

= جزء: إماطة الجهل بحال حديثي «ماخير للنساء؟» وعقدة الحبل. طبع مكتبة التوعية بمصر

(١) هو مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج أبو أسيد الساعدي. أنصاري خزرجي. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وعمي قبل أن يقتل عثمان. توفي سنة ٣٠هـ. أسد الغابة جـ٤ ص ٢٤٧. (٢) رواه أبو داود في سننه.

(٣) المدخل. لابن الحاج محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي جـ١ ص٢٤٤. الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ دار الفكر دمشق.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الجنائز. باب ما جاء في اتباع الجنائز جـ ١ ص٥٠٣ حديث ١٥٧٨. وانظر أحكام النساء لابن الجوزى ص١٠٩. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية - بيروت.

فهذه جملة من الأحاديث تبين إنكار الرسول ﷺ على النساء في الأمور التي ربما تكون سبباً للافتتان بالنساء أو سبباً لاختلاط الرجال بالنساء.

وإذا كان هذا يفعل في جيل الطهارة والنقاوة فاتخاذ الأسباب للحيلولة دون ذلك في هذا العصر من باب أولى.

ولقد كان لأمهات المؤمنين اليد الطولى في الإنكار على النساء إذا ما رأين منهن تقصيراً فيما يجب.

فقد ورد عن مولاة لعائشة ـ رضي الله عنها ـ دخلت عليها، فقالت لها: ياأم المؤمنين طفت بالبيت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً. فقالت لها عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لاآجرك الله تدافعين الرجال ألا كبرت ومررت [١] وقيل لسودة: ألا تحجين وتعتمرين كما يفعل أخواتك؟. قالت: قد حججت واعتمرت فأمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله ماخرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها رضوان الله عليها [٢].

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الغيرة على محارم المسلمين لمعرفته لخطورتها وهو الذي أشار على الرسول ﷺ بحجب نسائه فوافقه القرآن. فقد ورد عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب. قلت: «يارسول الله: يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب»[٣]

---

(١) مسند الإمام الشافعي ص ١٢٧ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر العجيلى الشافعي الشهير بالجمل جـ٣ ص ٤٣٦. مطبعة حجازي بالقاهرة.
وانظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م٧٣ جـ١٤ ص١٨٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. باب ﴿**لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم**﴾ الآية جـ٣ ص ٢٧٨ حديث ٤٧٩٠.

وخرجت امرأة في عهد عمر متطيبة فوجد ريحها فعلاها بالدرة، ثم قال: «تخرجن متطيبات فيجد الرجل ريحكن وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم اخرجن تفلات»[1].

وصور عديدة تبين كيف اهتم عمر بإنكار اختلاط الرجال بالنساء، أو خروج النساء إلى أماكن الرجال أو نحو ذلك مماقد يكون سبباً في حصول الفتن.

ولقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه حريصاً على احتشام النساء. فقد ورد أن زوجته نائلة[2] لما حاولت أن تستره بشعرها عندما دخل عليه القوم ليقتلوه. قال لها: «خذي خمارك فلعمري لدخولهم عليَّ أعظم من حرمة شعرك»[3]

فهذه بعض الصور التي تبين حرص السلف الصالح على إنكاره هذه المنكرات وأمثالها. رغم النقاوة والطهارة التي تعلو مجتمعهم، فالجريمة والفساد في وقتهم تعتبر شذوذاً بالنسبة لمجتمعهم، ومع ذلك فهم حريصون كل الحرص على محاربة تلك المنكرات.

لذا فإنه يجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يتصدوا لتلك المنكرات ومحاربتها؛ لأنها فشت وانتشرت وأصبح الإنسان لايكاد يمر

---

(١) مصنف عبد الرزاق جـ ٤ ص ٣٧٠. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي طبعة دار العلم بيروت.

(٢) هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية من زوجات عثمان وكانت شديدة الوفاء له فقد دافعت عنه يوم الفتنة وقطعت أنامل يدها بسبب ذلك.
أعلام النساء اعمر رضا كحالة جـ٥ ص١٤٧ الطبعة الثانية. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٣٧٩هـ.

(٣) أعلام النساء، كحالة جـ٥ ص ١٥٠.

بأحد أسواق المسلمين إلا وتقع عينه على مثل هذه المنكرات، وأظن سبب ذلك هو إهمال الناس لهذا الجانب العظيم جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا لو كان كل واحد يقوم بمايجب عليه لما تفشت هذه المنكرات بهذا الشكل المزعج المزري.

فأقول إضافة لما سبق: على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يقفوا موقف الجد ويسلكوا الطرق التالية:

١- الإكثار من المواعظ التي تخص النساء وترغيبهن بالبقاء في بيوتهن والتستر عند الخروج وعدم مخالطتهن للرجال.

وأمرهن بالمحافظة على كرامتهن وإيضاح الفتن التي تقع بسبب مخالفتهن لشرع الله تعالى...

٢- الإكثار من المواعظ التي تخص المسؤولين عن النساء وأمرهم بتربية بناتهم ونسائهم تربية إسلامية صادقة.

وإيضاح السلبيات التي تنتج بسبب إهمالهم لنسائهم وأثر ذلك عليهم وعلى المجتمع. وتخويفهم بالله تعالى عند التساهل مع النساء والسماح لهن بالخروج وهن متبرجات سافرات أو عند السماح لهن بالاختلاط بالرجال ومزاحمتهم في أسواقهم، وغير ذلك من المواعظ التي تردع المتساهلين في هذا الجانب.

٣- نزول الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى الأسواق التي فيها اختلاط أو يحتاج إليها النساء، ونهي النساء المختلطات أو السافرات المتبرجات بحزم وقوة.

٤- الصبر والمصابرة على مايجده من تحد سواء من النساء أو من أذناب النساء فإن للشر أعواناً ولايوصل معهم بنتيجة إلا عند الصبر والتحمل.

ومن منكرات الأسواق:

الغـــش:

الناس لايستغنون عن الأسواق بحال من الأحوال ففيها مصالحهم وبيعهم وشراؤهم وتعاملهم وشراء أكلهم وشربهم وملابسهم ودوابهم ومراكبهم وغير ذلك من حاجاتهم.

فيجب أنْ تسير هذه الأسواق وفق شرع الله تعالى في كل شيء، من حسن التعامل والصدق والنصح والوفاء وعدم الغش والخداع والتدليس والكذب والخيانة والتحايل والحلف الكاذب؛ لأن هذه أمور نهى عنها الشارع الحكيم.

ومع الأسف إنك إذا دخلت أسواق المسلمين اليوم وأمكنة البيع والشراء وجدت البائعين - إلا من رحم الله - يحاول الاستفادة منك بكل وسيلة وبأسلوب يظهر عليه الطمع والجشع. فهو يحاول دعوتك إليه ويظهر لك نصحه، بل إنهم أحياناً يقبلون إليك جميعهم وكل يشدك من جهة وكأنهم مشفقون عليك، وهم يحاولون امتصاص دراهمك فإذا وثقت بواحد منهم وتعاملت معه واشتريت منه وجدت أنه فعلاً قد غشك إما بالسلعة نفسها أو بزيادة الثمن ونحو ذلك ويظهر ماقلنا في الأمور التالية:

١- الغش في المأكولات:

وعلى سبيل المثال فقط: إذا ذهب الرجل ليشترى خضاراً أو فاكهة وقع نظره على طماطم وكوسة وخيار وتفاح . . . فإنه يشاهد هذه الأشياء من أعلاها جيدة وجميلة وناضجة وفيها من الأعلى المواصفات المطلوبة.

فإذا وصل إلى البيت وأخرجها من صندوقها فإنه يكذب نفسه ويتساءل هل هذه التي كانت بين يدي قبلاً واشتريتها؟ فالفساد فيها وعدم النضج فيها وعيوب أخرى فلاشك أن هذا هو الغش الذي نهى عنه الشارع الحكيم.

وإذا ماشتريت من اللحوم فكذلك فالبائع يحلف أن هذا اللحم من النوع الفلاني المرغوب. ثم هو يعطيك لحمة جيدة خالية من الشحوم والعظام فإذا وصلت إلى البيت وجدت اللحمة ليست من النوع المطلوب وفي الوقت نفسه معظمها عظام وشحوم فتتعجب من نفسك كيف حصل هذا وأنت تشاهد الجزار من أول لحظة وإلى آخرها. عند ذلك يظهر لك أن هذا الجزار متفنن في طريقة الغش.

وأما بالنسبة للمشروبات:

فإنه يحدث الغش فيها مثلها مثل غيرها ويظهر ذلك من الأمور التالية:

- إذا طلب المشتري من البائع عصيراً طازجاً معلباً فإنه يبيع له أنواعاً من العصائر ويشترط أنها طازجة وهي إما أن تكون مغشوشة أو كلها مركبة تركيباً وليس فيها إلا اللون أو الطعم فقط.

- إذا أتيت أحد باعة المشروبات وجدت أنه عرض في محله أنواعاً من الفواكه مثل المانجو والبرتقال والليمون و . . . ثم تطلب كأساً لتشرب من هذه الفواكه الطازجة فإذا جاء به وشربته لم تجد فيه الطعم المطلوب فإذا بحثت عن حقيقة الأمر وجدت أنه يأتي بعلب مركبة ويفتحها ويخلطها بالثلج والسكر ويقدمها لك على أنها طازجة، وهي بعيدة كل البعد عن ذلك، ومن يلاحظ ذلك فسوف يظهر له هذا الأمر في معظم الأمكنة المخصصة لذلك. وقل مثل ذلك في كثير من المأكولات والمشروبات والملبوسات.

٢- الغش في الملبوسات:

وأما الغش في الملبوسات فإنه يحدث بشكل كبير فأحياناً تسأل أو تطلب صناعة معينة لمعرفتك أنها جيدة، فيعطيك صناعة رديئة على أنها هي المطلوبة. وتقول هل هذا القماش ياباني، مثلاً، فيقول: نعم، وهو كوري حقيقة وهل هذا الثوب أسباني فيقول: نعم وهو تيواني، وهكذا يحصل الغش في الملبوسات بأنواعها . . بهذا الأسلوب.

٣- الغش في المركوبات:

وأما الغش في المركوبات فحدث عن ذلك ولا حرج فإذا دخلت أماكن بيع المركوبات من سيارات فإنك تجد العجب العجاب؛ لأنك ترى سيارة جميلة المظهر لاترى فيها من عيوب فإذا سألت عنها وجدت ثناء عليها يكفي بعضه، فإذا عزمت الشراء شرطوا عليك أن فيها عيوباً كثيرة ليست موجودة وضمنوها عيوباً أخرى ضمن هذه الشروط فأدخلوا الباطل مع الحق والكذب مع الصدق فإذا تسلمت السيارة وبقيت معك يومين أو

أسبوعين ظهر لك من العيوب ماالله به عليم. ولاشك أن هذا هو الغش الصريح الذي يجب إنكاره.

كل هذه الأمور التي ذكرناها من المنكرات التي تضر المسلمين ولقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك كله فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر برجل يبيع طعاماً فسأله «كيف تبيع»؟ فأخبره فأوحى الله إليه أن أدخل يدك فيه، فأدخل يده فيه، فإذا هو مبلول فقال رسول الله ﷺ «**ليس منا من غش**»[1].

فنهي الرسول ﷺ عن الغش يدخل في عموم الغش من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمركوبات وغير ذلك.

٤- ومن منكرات الأسواق الاحتكار:

وذلك أن بعض الناس وخاصة التجار إذا شعر أن الناس أقبلوا على سلعة «ما» أو أن هناك نقصاً في سلعة «ما» فإنه يمسك ماعنده ويحتكره ويرد الناس إذا سألوا عن هذه السلعة، ويقول: ماعندي وقد يكون عنده كميات كبيرة. ثم بعد ذلك يخرجها ليبيعها بسعر مرتفع.

ورد عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ قال: «**لايحتكر إلا خاطئ**»[2]

وفي رواية .. فقيل: لسعيد فإنك تحتكر قال سعيد: «إن معمراً الذي

---

(١) رواه أبو داود ي سننه كتاب البيوع. باب النهي عن الغش جـ٣ ص ٢٧٢ حديث ٣٤٥٢.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البيوع باب تحريم الاحتكار. م ٣ جـ ٥ ص٥٦.

كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر»[1] .

قال العلماء إن معمراً كان يحتكر الزيت ويحمل الحديث على احتكار القوت عند الغلاء وكفى بذلك دليلاً؛ لأن الصحابي أعرف بمراد النبي ﷺ[2]

قلت: ولعل النهي خاص بمن يبيع ويشترى هذه الأشياء بكميات كبيرة لها تأثيرها على سوق المسلمين وطعامهم. والله أعلم.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى»**[4] .

فهذا الوعيد يقع على الشخص الذي يعلم حاجة الناس لما عنده وهم بأمس الحاجة إليه ويحتكر الطعام عنهم.

وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس»**[4].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من دخل في شيء من أسعار المسلمين يغلي عليهم كان حقاً على الله أن يقذفه في جهنم رأسه أسفله»**[5].

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٢) انظر الحاشية من المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٢ ص ٣٣.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند جـ١ ص٢١ ورواه ابن ماجة. كتاب التجارات. باب الحكرة والجلب جـ٢ ص ٧٢٨ حديث ٢١٥٥.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٥ ص ٢٧.

ومن منكرات الأسواق بيع الكلاب ونحوها من الحيوانات المحرم بيعها واتخاذها لغير حاجة.

ومن المنكرات التي بليت بها أسواق المسلمين بيع الكلاب والقطط والنمور والأسود ونحوها. فقد خصص لذلك محلات للبيع وتباع بأسعار خيالية.

فأخذ الناس يشترونها ويتفاخرون بها ويتكاثرون بها، فإذا دخلت بعض بيوت المسلمين تجد فيها أنواعاً من الكلاب والقرود والحيوانات المحرم اتخاذها.

وإذا تأملت هذه العادة وجدت أنها وصلت إلينا من ديار الكفر والإلحاد، فقد تأثر الذين يذهبون هناك لما يشاهدون من فعل الغربيين مع هذه الحيوانات التي يجعلونها من مستلزمات حياتهم فتجد الكلب يرافق صاحبه مرافقة الظل لصاحبه... فهم أتوا بذلك من الغرب.

ولاشك أن هذا منكر تجب محاربته وإنكاره؛ لأن الشارع الحكيم نهى عن بيع الكلب وثمنه واتخاذه لغير حاجة، وبين أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه كلب. فتكفي هذه الأمور لمحاربة من يفعل ذلك.

ورد عن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي [1] وحلوان الكاهن [2] » [3].

---

(١) ماتأخذه الزانية على البغاء، وهو الزنا.

(٢) هو الأجر الذي يعطى على الكهانة.

(٣) رواه البخاري في الجامع الصحيح. كتاب البيوع، باب ثمن الكلب جـ ٢ ص ١٢٣ حديث ٢٢٣٧.

وعن رافع بن خديج قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**شر الكسب مهر البغي وثمن الكلب وكسب الحجام**»[1]

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ قال: «**ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث**»[2]

وعن معقل عن أبي الزبير قال: «سألت جابراً عن ثمن الكلب والسنور. قال: زجر النبي ﷺ عن ذلك»[3]

وعن عون بن أبي جحيفة قال: «رأيت أبي اشتري جحاماً فأمر بمحاجمه فكسرت، فسألته عن ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب، وكسب الأمة، ولعن الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله ولعن المصور»[4].

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في النهي عن التعامل بالكلاب وعن بيعها وشرائها والنهي عن ثمنها.

فأين أولئك الذين خصصوا أماكن لها ويستوردنها من أماكن بعيدة. وكذلك الحال بالنسبة للقطط من حيث بيعها وشراؤها.

فلا شك أن هذا منكر تجب محاربته وتطهير أسواق المسلمين منه.

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغى والنهي عن بيع السنور م٣جـ٥ ص٣٥.

(٢) المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٣) المرجع السابق الجزء والصفحة.

(٤) رواه البخارى في الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب ثمن الكلب جـ٢ ص ١٢٣ حديث ٢٢٣٨.

وأما عن اقتنائها وإدخالها في البيوت فقد ورد النهي صريحاً بذلك.

ورد عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه قال: «وعد جبريل النبي ﷺ فراث عليه[1] حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ماوجد فقال له: **«إنا لاندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب»**.[2]

فهذه الأحاديث صريحة في النهي عن اقتنائها وإدخالها للبيوت فأي قيمة للبيت إذا كانت الملائكة لاتدخله.

إذاً فيجب إنكار هذا المنكر وتطهير بيوت وأسواق المسلمين منه.

ويكبر هذا المنكر عندما يعلم أن الرسول ﷺ لم يكتف بالنهي عنها فقط بل أخبر أن الذي يقتني كلباً غير كلب ماشية أو صيد نقص من عمله كل يوم قيراط وفي رواية «قيراطان».

فقد ورد في الحديث عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو كلب صيد نقص من عمله كل يوم قيراط»**[3] الحديث.

وفي رواية أخرى عن ابن عمر: **«نقص من عمله كل يوم قيراطان»**[4]

إذا علم ذلك فإنه يجب اتخاذ الأمور التالية لإزالة هذا المنكر:

---

(١) أي تأخر عن موعده.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب اللباس. باب: **«لاتدخل الملائكة بيتاً فيه صورة»** جـ٤ ص٨٣ حديث ٥٩٦٠.

(٣) رواه مسلم. الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك. م٣ جـ٥ ص٣٧.

(٤) المرجع السابق الجزء والصفحة.

١- بيان الحكم الشرعي من حيث بيعها وشراؤها واقتناؤها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

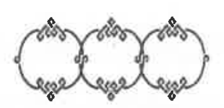
٢- كتابة نشرات توزع على أصحاب المحلات المخصصة لذلك يبين فيها حكم بيع الكلاب وثمنها والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

٣- مناصحة من يتعامل بها بيعاً أو شراءً أو اقتناءً ليضعها في بيته.

٤- الرفع لولاة الأمر والجهات المختصة بعدم إعطاء تراخيص لذلك.

٥- توضيح الأضرار الأكيدة الناتجة من اختلاط الكلاب بالرجال والنساء والأطفال والمأكولات والمشروبات وغير ذلك.

هذه بعض المنكرات التي تحدث في الأسواق. وهناك منكرات أخرى تحدث في الأسواق أيضاً مثل كثرة الحلف الصادق فيها والكاذب، ومثل بيع المسلم على أخيه المسلم، وشراؤه على شرائه وغير ذلك مما لايتسع المقام لذكره. والله المستعان.



﴿الفصل الثاني﴾
بعض المنكرات الاعتقادية

هذا الفصل يعتبر من أهم الفصول ـ في البحث ـ التي يجب أن ينتبه إليها ويتابعها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ لأن الذي يقع في منكر في الاعتقاد له أثر كبير على المجتمع بشكل عام وعلى الواقع فيه بشكل خاص.

ومع الأسف إن هذا العصر الذي نعيش فيه كثرت فيه المنكرات الاعتقادية، وتنوعت أساليبها ووقع كثير من الناس في كثير من الأمور المنافية للاعتقاد الصحيح بعلم وبغير علم.

رغم أن الشريعة الغراء أوضحت العقيدة الصحيحة السليمة أتم توضيح، فلم يكن فيه مجال للمنحرفين. فما قبض الله نبيه ﷺ إلا بعد أن أنزل عليه قوله: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1] .

وقد ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال: **آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا حتى لايزيغ قلب أحدكم إزاغة إلاهيه**[2] **وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواء**».

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية(٣).

(٢) «إلاهيه» هي ضمير الدنيا والهاء في آخره للسكت.

قال أبو الدرداء:

صدق والله رسول الله ﷺ «تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»[1].

ولقد قال الله تعالى موضحاً ذلك أتم توضيح:

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[3] وقال تعالى:

﴿وماأنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[4].

فالإيمان بالله وتوحيده والإخلاص له والإيمان بأسمائه وصفاته وعبادته أعظم الأشياء، فلابد أن يكون الكتاب والسنة قد وضحا ذلك أتم توضيح.

جاء في كتاب التوحيد من صحيح البخاري: «فعلم بهذا ـ النصوص الواردة في ذلك ـ أن الله تعالى بين على لسان رسوله ﷺ للأمة كل ماتحتاج إليه في دينها ومعرفة ربها ولم يكل ذلك إلى عقولهم أو قياسهم.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه. المقدمة. باب اتباع سنة رسول الله ﷺ جـ١ ص٤ حديث٥.

(٢) سورة النحل جزء من الآية (٤٤).

(٣) سورة النحل جزء من الآية (٨٩).

(٤) سورة النحل جزء الآية (٦٤).

فإذا كان الله قد أكمل لهم الإيمان، فكل مالم يقله رسول الله ﷺ في باب الإيمان، ولم يأمر به ويبينه للأمة فهو باطل وليس من الدين الكامل الذي جاء به.

وأصل الدين وأساسه معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة ما يجب له على عباده. ولايجوز لمسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يظن برسول الله ﷺ أنه لم يبين مايعتقده العبد في ربه لأن هذا هو الذي أمر بتبليغه[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«من المحال في العقل والدين أن يكون الرسول ﷺ الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل عليه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز بين مايجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا ومايجوز عليه ومايمتنع عليه، فإن معرفة هذا أصل الدين، وأفضل الأعمال، فكيف القرآن والرسول والصحابة لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً. ومحال أن يعلم النبي ﷺ أمته أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة ونحو ذلك، ويترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم، مع كون ذلك غاية المعارف، وأشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، مع قوله ﷺ **«مابعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل**

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان جـ١ ص٧، ٨ باختصار.

أمته على خير مايعلمه لهم وينهاهم عن شر مايعلمه لهم»[١] .

ومحال أن يكون الذي كان فيهم رسول الله ﷺ والذين يلونهم غير عالمين للحق في باب معرفة الله وغير قائلين به.

ومعلوم أن من في قلبه حياة ومحبة للعبادة، أنه يحرص أشد الحرص على معرفة ذلك...»[٢] .

فما يدعي أحد من الناس ذلك إلا وفي قلبه زيغ؛ ومرض لأن هذا الأمر من أهم الواجبات فكيف لايكون واضحاً وكيف لايحرص الصحابة - رضي الله عنهم - على معرفته. فالله المستعان.

كيف بدأ الانحراف في الاعتقاد؟

لما أن منّ الله على الأمة الإسلامية بكمال دينها وشريعتها ودولتها بفضل رسالة الرسول ﷺ وبدأت الفتوحات الإسلامية تنشر دين الله في أرجاء هذه المعمورة في آسيا وأفريقيا وغيرهما من الأقطار، دخل الناس في دين الله أفواجًا ما بين راغب وخائف وما بين صادق ومنافق. ولقد كان لأهل هذه الديار المفتوحة ديانات مختلفة من يهودية ونصرانية ومجوسية وبوذية ووثنية وغير ذلك من الديانات المنسوخة والباطلة. ولقد كان لأهل هذه الديار سلطان وأكابر وأصحاب مكانة دينية ودنيوية. وكان عندهم من الكبر والاستعلاء مايجعلهم لا يتنازلون أو يخضعون لغيرهم ولاسيما إذا كان خضوعهم وتنازلهم للعرب الذين يرونهم - من قبل - أقل الناس.

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الإمارة. باب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٢) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - جـ٥ ص ٦, ٧ باختصار.

ولكن لما جاء الإسلام أقام الحق وأبطل الباطل تاركاً رغباتهم وشهواتهم الباطلة جانباً؛ وهذا ماجعلهم يكيدون للإسلام بالوسائل المختلفة.

فاليهود قد ناصبوا الإسلام العداء منذ قدوم الرسول ﷺ المدينة، فأخذوا يحيكون ويدبرون الدسائس والمؤامرات ضد الإسلام.

وكذلك الحال لكل أصحاب الديانات المعادية للإسلام أخذوا يكيدون للإسلام ويرمون الشبه والشكوك في المجتمع المسلم، ولقد بدت ثمار جهدهم بمقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد قتل بأيدٍ مجوسية وتحت تخطيط يهودي.

ثم قتل الخليفة الثالث بأيدٍ مشبوهة. ثم قتل الخليفة الرابع، كل ذلك بسبب الفتن التي يشعل نارها أعداء الإسلام بشتى أنواعهم. ثم ظهرت الخوارج الذين غلوا في الدين وكَفَّرُوا المسلمين واستحلوا قتالهم.

ثم ظهر القول بالتشيع من قبل يهودٍ ومجوسٍ يوقدون ناره. ولم يزل التشيع يزيد في التطرف حتى صار ملجأً لكل من يريد أن يحارب الإسلام والمسلمين. وظهر القول منهم بأن القرآن مبدل ومحرف وفيه زيادة ونقص. وأن أعظم الصحابة ارتدوا عن الإسلام إن لم يكونوا كلهم ماعدا عليّ وقليل معه.

ثم ظهر القول بنفي القدر وأول من عرف به رجل مجوسي يقال له سيسويه من الأساورة وإن كان المشهور أن أول من قال به معبد الجهني[1].

---

(١) هو معبد بن خالد الجهني، يكنى أبا زرعة له صحبة. روى عن أبي بكر وعمر مات سنة ٧٢هـ وهو أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح، وزعم=

ثم ظهر القول بإنكار الصفات لله تعالى وأنه لايحب أحداً من عباده ولا يحبه أحد. وليس له وجه ولاسمع ولابصر ولايد ولاشيء مماوصف به نفسه أو وصفه به رسوله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وكل هذه الضلالات أو معظمها من اليهود قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين. وضلال الصابئين؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولي ونحو ذلك ـ هو الجعد بن درهم وأخذها عنهم الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت إليه.

وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن إبان بن سمعان، وأخذها إبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ...[1]

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى أنهم كانوا يسمّون الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم علي أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر الله

= بعضهم أن هذا هو المقتول رأس القدرية وليس كذلك.

تهذيب التهذيب جـ١٠ ص ٢٠٠.

(١) انظر فتاوي شيخ الإسلام جـ٥ ص ٢٠.

تعالى الحق فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام.

فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين. إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ ـ إلى الكفر ـ وحاشا صحابة رسول الله من ذلك. رضي الله عنهم ـ أجمعين ـ.

وقوم خرجوا إلى ما ذكرنا ـ من ادعاء النبوة ـ وقوم سلكوا لهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع، وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة. وآخرون قالوا: بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة وهذا قول عمر بن عبد الله الكندي قبل أن يصير خارجياً صفرياً [1] وقد سلك هذا المسلك أيضاً عبدالله بن سبأ الحميري اليهودي فإنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه. وأحرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه طوائف أعلنوا بإلاهيته.

ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة، وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة.

---

(١) قال المحققان في الأصل «ضغرياً» بالغين وهو تحريف.

ثم مذهب مزدك[1] الموبذ الذي كان على عهد أنوشروان[2] وكان يقول بوجوب تساوي الناس في النساء والأموال.

ثم قال أبو محمد: فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوه عن الإسلام كيف شاؤوا إذ هذا هو غرضهم فقط. فالله الله عباد الله في أنفسكم ولايغرنكم أهل الكفر والإلحاد، ومن موّه كلامه بغير برهان. ولكن بتمويهات ووعظ على خلاف ما آتاكم به كتاب ربكم وكلام نبيكم ﷺ فلاخير مما سواهما...[3]

فهذه النقول تبين كيف بدأ خط الانحراف في الاعتقاد، وأن بدايته قديمة وجذوره ضاربة في أعماق الزمان، ولكن هذه الجذور تضعف وتذبل إذا وجدت أمامها قوة إيمانية تضعف أعداء العقيدة من شياطين الجن والإنس وتقمع أهل النفاق والمتمسلمين.

كما أنها تظهر وتقوى إذا ضعف الإيمان في الناس ولم يكن هناك قوة إيمانية تدفع الباطل وتدمغه.

فمن هنا يظهر دور الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فهم من أهم

---

(١) مزدك الزنديق: كان إباحياً يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيء والأشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس فاجتمع الناس عليه. وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات والانعكاف على الشهوات والاختلاط. وقد قتله أنو شروان بن قباذ وقتل أصحابه «الفهرست لابن النديم ٢٧٩» نقلاً عن حاشية الفصل جـ٢ ص٢٧٤ مع الاختصار.

(٢) أنو شروان: هو ابن قباذ ملك بعد أبيه وكان يلي رياسة الجند، وقسم ملك أبيه إلى أربعة أقسام وتمكن من استرداد البلاد. وأحكم بناء الحصون، وأخذ أموال الناس بالعدل وتفقد أهل المملكة. نقلاً عن المرجع السابق الجزء والصفحة مع الاختصار.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم جـ ٢ ص ٢٧٤.

حراس العقيدة. فيجب عليهم أن يصونوا معتقدات المسلمين ويقفوا أمام كل منكر يؤثر على اعتقاد المسلمين؛ لأن جرح القلب يختلف عن أي جرح في بقية الجسد، فكل جرح قد يرجى برؤه إلا جرح القلب فقد لا يبرأ وإذا برئ فإنه يحتاج إلى وقت طويل كي يكتمل برؤه. والله المستعان.

نماذج من المنكرات الاعتقادية:

إن المنكرات الاعتقادية لكثيرة جداً. فمنها ماهو مناف للتوحيد ومخرج من الملة، ومنها ماهو مناف لكمال التوحيد ومنقص له، وقد وقع كثير من الناس بالشرك من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون. وإذا ما تأملت واقع المسلمين فإنه يندى جبينك ويتقطع قلبك حسرات من كثرة ما ترى من وقوع كثير من الناس في الشرك الصريح وتمسكهم بذلك وإصرارهم عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ومن أهم المنكرات الاعتقادية وأخطرها:

أولاً: الشرك:

تعريفه:

قال ابن منظور: شرك. الشَرِكَة والشركة سواء مخالطة الشريكين يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا.

وطريق مشترك: يستوي فيه الناس.

وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ.

والشرك: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته. تعالى الله عن الشركاء

والأنداد وإنما دخلت الباء لأن معناه لاتعدل به غيره فتجعله شريكاً له.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً﴾[1].

لأن معناه عدلوا به. ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك؛ لأن الله وحده لاشريك له ولاند له[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في تعريفه:

«وأعظم مانهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه»[3].

وقال في موضع آخر: وأعظم مانهي عنه الشرك به وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه رباً وإلهاً وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة. ثم يقول: وقد تقدم من الآيات مايدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين وقد قال تعالى: **﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، ومالظالمين من أنصار﴾**[5] [6].

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية (٣٣).

(٢) لسان العرب جـ٤ ص٢٢٤٨، ٢٢٤٩.

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. القسم الأول. العقيدة والآداب الإسلامية ص١٨٦.

(٤) سورة النساء آية (١١٦). (٥) سورة المائدة آية (٧٢).

(٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. القسم الأول. العقيدة والآداب الإسلامية ص٣٨١.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

إن صرف القصد بالعبادة لغير الله شرك بالله لالتفاته في التعبد إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف - رحمه الله تعالى - تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف مانفته «لاإله إلا الله» وعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ماأثبته من التوحيد [1] وبهذا يتبين مفهوم الشرك وأن بابه واسع وأنه ليس محدوداً بعبادة الأصنام والأحجار ونحوها فقط.

فمن اتخذ غير الله نداً له ومسوياً به من نبي أو ملك أو جني أو أنس أو شجر أو حجر أو قبر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر فهو مشرك. ومن توكل على غير الله أو نذر لغير الله أو رغب عن حكمه إلى حكم غيره، أو اعتقد أن غيره يضر وينفع من دونه أو يحيي ويميت فهو مشرك كافر.

بعض المنكرات الشركية:

إن المنكرات الشركية في هذا العصر لا حد لها ولا حصر فهي منكرات عظيمة وكثيرة ومتنوعة، تتمثل في عبادة الأحياء والأموات الصالحين والمنحرفين وعبادة الأوثان والأموال والشهوات وغير ذلك. وسوف نقتصر على ذكر بعض الأمثلة، فمنها:

---

(١) قرة عيون الموحدين: باب من الشرك النذر لغير الله ص ٦٧ باختصار. الطبعة السلفية بمصر ضمن مجموعة التوحيد.

١ ـ الغلو في:

أ ـ النبي ﷺ:

لايختلف اثنان من المؤمنين أن النبي ﷺ هو أفضل الأمة على الإطلاق بل أفضل الأمم وأتقاها وأزكاها وأطهرها، وتعظيم الرسول ﷺ من أعظم الواجبات والفرائض التي لايتم إيمان العبد إلا بها، فلا يصح إيمان عبد مهما كان حتى يؤمن بالرسول ﷺ ويحبه ويعظمه ويقدره ويجله ويقدم محبته على أهله ونفسه وماله والناس أجمعين، وهذا ما أمر به الإسلام.

ـ فقد أمر الله سبحانه وتعالي بنصره وتعظيمه وتوقيره وإجلاله يقول تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾**[١].

وللمفسرين في قوله **﴿وتعزروه وتوقروه﴾** في عود الضميرين قولان:

الأول: أنهما يعودان إلى الرسول ﷺ والضمير في قوله **«وتسبحوه» إلى الله تعالى.**

الثاني: أن جميع الضمائر الثلاثة تعود إلى الله عز وجل[٢].

فعلى الأول يكون في الآية أمر بتوقير الرسول واحترامه ونصرته.

ـ وقد أمر الله سبحانه وتعالى بامتثال أمره واجتناب نهية وأمر سبحانه وتعالى بعدم التقدم بين يديه ورفع الصوت عنده ونهى عن مخاطبته

---

(١) سورة الفتح آية (٨).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي م٨ جـ١٦ ص٢٦٦، ٢٦٧.

كمخاطبة سائر الناس فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾[1] الآية.

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾[2]

ففي الآية الأولى نهي عن التقدم بين يدي رسوله ﷺ بقول أو بفعل.

وفي الآية الثانية جعل من أسباب حبوط العمل رفع الصوت عنده.

فقال تعالى: ﴿**وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا**﴾[3].

وأمر الله سبحانه وتعالى بالتسليم لأمره وأمر رسوله من دون تردد ولا اعتراض يقول تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾[4].

وأمر سبحانه وتعالى برد الأمر إليه وإلى رسوله عند التنازع، أي إلى الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾[5].

---

(١) سورة الحجرات جزء من الآية (١).

(٢) سورة الحجرات الآية (٢).

(٣) سورة الحشر جزء من الآية (٧).

(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٦).

(٥) سورة النساء جزء من الآية (٥٩).

وقال تعالى: **﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾**[1].

ولقد حذر الله سبحانه من مخالفته وهدد الذين يخالفونه بالعذاب الأليم. فقال تعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[2].

فكل هذه النصوص القرآنية وغيرها مما يماثلها تبين عظم مكانة الرسول ﷺ وطاعته ومحبته وعدم مخالفته ومتابعته وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وقد ورد عنه ﷺ ما يزيد ذلك تفسيراً ووضوحاً. فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3]

وفي البخاري ـ رحمه الله ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: للنبي ﷺ لأنت يارسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال: «**والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**، فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إلىَّ من نفسي فقال: «**الآن ياعمر**»[4].

(١) سورة النساء جزء من الآية (٨٣).

(٢) سورة النور جزء من الآية (٦٣).

(٣) رواه البخاري. في صحيحه. كتاب الإيمان. باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. جـ١ ص ٢٢ حديث ١٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان والنذور. باب كيف كانت يمين النبي ﷺ جـ ٤ ص ٢١٦ حديث ٦٦٣٢.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مماسواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[1].

فبين ﷺ بذلك أن محبته يجب أن تكون مقدمة على محبة كل شيء من المال والولد والنفس والناس أجمعين، ومن لم تكن محبة الرسول ﷺ لديه كذلك فلن يذوق حلاوة الإيمان.

قال الشيخ أحمد النجمي ـ حفظه الله ـ حول هذا المعنى: إن من حق الرسول ﷺ متابعة أمره والإذعان لحكمه والرضى بقضائه، وأنه لاخيرة لنفسك مع خيرته، وأن لاتقدم أمر أحد على أمره ولانهي أحد على نهيه، وأن تجيب دعوته وتصدق خبره إذا أخبر، وأن تحبه أكثر من الأهل والمال والولد، وتصلي عليه إذا ذكر، وأن تعلم أن الحياة والفلاح والفوز والظفر والنجاة في اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأن الهلاك والموت والبوار والخسار في مخالفة أمره والتجرؤ على نواهيه وتكذيب أخباره، وأن سعادة العباد منوطة باتباعه وتعظيم شريعته والانقياد لها، والتأسي بأخلاقه وأعماله في سلمه وحربه ومدخله ومخرجه وتعظيم سنته وإنزالها بالمنزلة اللائقة بها بحثاً عنها وتأسياً وعملاً بها، ووقوفاً عندها ودعوة إليها وجهاداً في سبيلها، وبذل الجهد في نشرها وإعلائها، وبذل النفس والمال في نصرته وغض الصوت عنده في حياته[2] وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وبغض من أبغض وحب من أحبه ومحاربة من حاربه ومسالمة من سالمه

---

(١) المرجع السابق. كتاب الإيمان. باب حلاوة الإيمان جـ١ ص٢٢ حديث١٦.

(٢) قلت: وغض الصوت عند سماع حديثه ﷺ.

والرجوع إلى حكمه عند التنازع والرضى به وإن خالف ماتهواه النفس من الشهوات والأهواء والمذاهب والأعراف والعوائد والتقاليد الحزبية أو المذهبية أو القبلية أوالوطنية[1] .

ومكانته ﷺ أكبر من ذلك ومايجب تجاهه أكثر من ذلك ومع ذلك فإن له ﷺ منزلة محدودة يجب ألاً يتعداها أحد من المسلمين فلا يجوز إطراؤه ولارفعه فوق منزلته التي أنزله الله بها ولا إعطاؤه بعض خصائص الألوهية التي لاتنبغي إلا لله رب العالمين. كعلم الغيب الذي لايعلمه إلا الله أو الادعاء بأنه ينفع أو يضر أو أنه يغفر الذنوب ويحط الأوزار إلى غير ذلك من خصائص الألوهية.

ولقد بين الله ذلك في كتابه وجاء ذلك على لسان رسوله ﷺ يقول الله تعالى حكاية عن رسوله محمد ﷺ **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولاأعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾**[2] .

وقوله **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء﴾**[3] .

وقوله **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾**[4] .

---

(١) أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة. أحمد بن يحيى النجمي ص١٧٥، ١٧٦ .

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف جزء من الآية (١٨٨).

(٤) سورة يونس الآية (٤٩).

وقوله **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً﴾**[1] .

وورد في سنته ﷺ مايوضح ذلك.

فقد صح عنه أنه قال: «**لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد. فقولوا: عبدالله ورسوله**»[2] . أي لاتمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى بن مريم. فمدحوه وغلوا في مدحه حتى أوصلوه إلى مقام الألوهية.

فأمر رسول الله ﷺ أن نصفه بما وصفه الله به حيث قال: **﴿الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾**[3] .

وقال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾**[4] الآية.

وقال تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾**[5] .

فأمر الأمة أن يقولوا له: عبدالله ورسوله، ولايزيدوا على ذلك. ولكن الضالين المنحرفين أبَوْا إلا مخالفته. فخالفوا أمره وارتكبوا نهيه، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه. وشابهوا النصارى في غلوهم وشركهم وأفعالهم فأوصلوه إلى مقام الألوهية ﷺ فزين لهم الشيطان

---

(١) سورة الجن الآية (٢١، ٢٢).

(٢) رواه البخارى في صحيحه. كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾** جـ٢ ص ٤٨٩ و٤٩٠ حديث ٣٤٤٥.

(٣) سورة الكهف آية (١).

(٤) سورة الإسراء جزء من الآية (١).

(٥) سورة الفرقان آية (١).

أعمالهم حتى أخرجهم من دائرة التوحيد وأوقعهم في الشرك الأكبر.

ويظهر ذلك من خلال أقوالهم وأفعالهم وأشعارهم ومن ذلك قول البوصيري:

يا أكـــرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عـند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادى آخذاً بيدي   فضلا وإلا فقل: يا زلة القدم[1]

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم[2]

فقد جعل اللجوء عند الشدائد إلى الرسول ﷺ دون اللجوء إلى الله وجعل الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ.

وجعل علم الرسول ﷺ شاملاً أكثر مما هو في علم اللوح والقلم فأي شيء أبقى لله تعالى إذا جعل هذه الأمور للرسول ﷺ فكل هذه الأمور مخالفة لنصوص الكتاب والسنة ومن الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقول عبد الرحيم البرعي:

يارســـول يـــا ذا الفضـــل يا   بهـــجة المحـــشر جـــاهاً ومقامـــاً

عد على عبد الرحيم الملـــتجي   بحـمى عـزك يا غـــوث اليتـــامى

وأقـــلني عـثرتي ياسيـــــدي   في اكتساب الذنب في خمسين عاماً

---

(١) القصائد البصرية في مدح خير البرية ص«٤٠» منشورات المكتبة العصرية.

(٢) المرجع السابق.

وقوله:

ياسيدي يارسول الله يا أملي	يا موئلي وملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ماقدمت من زللٍ	جوداً ورجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف مايساورني	من الخطوب ونفس كل أحزاني
وأنت أقرب من ترجى عواطفه	عندي وإن بعدت داري وأوطاني
إني دعوتك من نيابتي برع	وأنت أسمع من يدعوه ذو شانِ
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي	برحمة وكرامات وغفرانِ

فقد جعل الرسول ﷺ هو الغافر للذنوب يوم الحشر والمرجح للميزان بفضله دون الله.

وخاطب الرسول ﷺ في أن يسمع دعاءه ويكشف ما به من كروب وأحزان.

وجعله أقرب من يرجى، وأسمع من يدعى، والحامي له من المكروه والمعطي للكرامات والمانح للغفران. فأي ضلال بعد هذا الغلو وأي انحراف بعد هذا الانحراف سبحانك هذا بهتان عظيم لا يرضى به الله سبحانه وتعالى-ولا يرضى به رسوله ﷺ.

ولقد نسي أولئك أن محبة الرسول ﷺ لاتكمن في المدح والقصائد والإطراء والغلو في ذلك ولقد نسوا أوتناسوا أن محبته وتعظيمه وتوقيره يكمن بتطبيق سنته بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وأما فعلهم فإنه مايزيدهم من الرسول ﷺ إلا بعداً.

والدليل على ذلك أنه ﷺ كره لأمته أن يمدحوه بما هو أهله خشية عليهم من أن يستغل ذلك الشيطان فيدخلهم في باب الغلو.

جاء في الحديث عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت مع وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلت: أنت سيدنا وابن سيدنا فقال: «**السيد تبارك وتعالى**» فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولايستجرينكم الشيطان**».

وفي رواية أن ناساً قالوا: ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: «**ياأيها الناس قولوا بقولكم ولايستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله ماأحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»[1].

فقد نهاهم عن ذلك خوفاً عليهم من الغلو في حقه فسد هذا الطريق حماية لجناب التوحيد. وأمر الأمة أن تكتفي بما وصفه الله به في كتابه. فقد وصفه بصفتين هما من أعلى مراتب العبودية وهما «**عبدالله ورسوله**» ـ وتقدم تفصيل ذلك وذكر الأدلة عليه ـ ولم يحب أن يرفعوه عما أنزله الله عز وجل. وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

وخلاصة القول في ذلك: أن فريقاً من الناس قد غلوا في هذا الباب وجعلوا للرسول ﷺ منزلة تضاهي منزلة الألوهية ولاشك أن هذا كفر مخرج من الملة.

---

(١) البخاري ـ كتاب الأنبياء جـ٢ ص١٤٢ باب ٤٨.

وفريقاً آخر غلا في مدحه وسؤاله وأوصله إلى مقام الألوهية كما مر.

وفريقاً آخر أخذوا يحتفلون بميلاده وهجرته ومارسوا المنكرات الشركية وهم يفعلون ذلك[1].

ومع الأسف أن هذا الصنف من الناس إذا ما أرشدتهم إلى المنهج الصحيح في ذلك سبوك وشتموك وجعلوك من أعداء الرسول ﷺ ومن المبغضين له وأصبح المعروف عندهم منكراً والمنكر معروفاً. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فيجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر محاربة هذا المنكر العظيم بشتى أنواع المحاربة، بالكلمة والقلم واليد... حتى يحموا جناب التوحيد وعليهم أن يصبروا على مايواجهونه من المتعلقين بهذه القضايا لاستحكامها من قلوبهم جهلاً وتجاهلاً.

فمع الصبر والاستمرار على محاربة هذا المنكر العظيم فإنه يتقلص شيئاً فشيئاً حتى يزول بأمر الله.

ب ـ الغلو في الصالحين:

المراد بالغلو في الصالحين رفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها.

وقد وقع كثير من هذه الأمة بهذا المنكر العظيم فاستعانوا بهم في الشدائد، وطافوا حول قبورهم وتبركوا بها وذبحوا القرابين لأضرحتهم وطلبوا المدد منهم، وكل هذا من الشرك.

---

(١) وسوف نتحدث عن ذلك قريباً إن شاء الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: ياسيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لاشريك له، ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع الله إلهاً آخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم ويقولون: ﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

وقال الشيخ صالح الفوزان معلقاً على كلام شيخ الإسلام:

وبه يتضح كشف شبهة هؤلاء القبوريين الذين يبررون فعلهم هذا بأنهم لايعتقدون في الأولياء مشاركة الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وإنما يعتقدون فيهم أنهم وسائط بينهم وبين الله في قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وهي نفس الشبهة التي قالها مشركو الجاهلية كما ذكرها الله في كتابه وأبطلها، والواقع أن شرك هؤلاء المتأخرين زاد على شرك الجاهلية فصاروا يهتفون بأسماء هؤلاء الأموات في كل مناسبة ولايذكرون اسم الله إلا قليلاً، وإنما يجري على ألسنتهم اسم الولي دائماً، والأولون كانوا يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم دائم في الرخاء

والشدة. . .[1].

ومع عظم هذا الأمر وخطره فإنه كثر في البلاد الإسلامية بل لم تخل منه بلاد إلا النزر القليل، فتجد في كل دولة أماكن معينة فيها أولياء من الأحياء والأموات ـ بزعم من يدعي ذلك ـ فيطوفون حولهم ويستغيثون بهم ويذبحون عندهم ويقربون لهم القرابين.

ويلجؤون إليهم في قضاء حوائجهم وكشف كرباتهم وغير ذلك من الأمور العظيمة التي يندى لها الجبين ويتفطر القلب لها حسرات؛ لأن هذه الأمور عادت بالمجتمع المسلم إلى الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولقد تحدث الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي عن الحال التي وصل إليها المسلمون من الناحية الاعتقادية بمناسبة كتاب جاء من أحد علماء الهند. فقال: كتب إليّ أحد علماء الهند كتاباً يقول فيه: إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثاً بلغة «التاميل» وهي لغة الهنود الساكنين «بناقورة» وملحقاتها بجنوب «مدراس». موضوعه: تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني وذكر مناقبه وكراماته فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ولقبه بها، صفات وألقاباً بمقام الألوهية أليق منها بمقام الأنبياء فضلاً عن مقام الولاية كقوله «سيد السموات والأرض» و«النفاع الضرار» و«المتصرف في الأكوان» و«المطلع على أسرار الخليقة» و«محيي الموتى» و«مبرئ الأعمى والأبرص والأكمه»

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد. د. صالح الفوزان ص٤٤. الطبعة الأولى ١٤١٠.

و«أمره من أمر الله» و«ماحي الذنوب» و«ودافع البلاء» و«الرافع والواضع» و«صاحب الشريعة» و«صاحب الوجود التام» إلى كثير من أمثال هذه النعوت والألقاب.

ويقول الكاتب: إنه رأى في ذلك فصلاً يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر الجيلاني يقول فيه: أول مايجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً، ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة!! وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: «ياصاحب الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتى!» «أغثني يامحيي الدين عبد القادر، أغثني ياولي عبدالقادر، أغثني ياسلطان عبد القادر، أغثني يابادشاه عبد القادر، أغثني ياخوجة عبد القادر، ياخضرة الغوث الصمداني ياسيدي عبد القادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة.

ويقول الكاتب أيضاً: إن في بلدة «ناقورة» في الهند قبرًا يسمى «شاه الحميد» وهو أحد أولاد السيد عبد القادر كما يزعمون، وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله وأن في كل بلدة من بلاد الهند وقراها مزاراً يمثل مزار السيد عبد القادر فيكون القبلة التى يتوجه إليها المسلمون في تلك البلاد والملجأ الذي يلجؤون إليه في حياتهم وشدائدهم وينفقون على خدمته وسدنته وفي موالده وحضراته ما لو أنفق على فقراء الأرض جميعاً لصاروا أغنياء.

هذا ماكتبه إليّ [1] ذلك الكاتب ويعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء وأظلمت الدنيا في عيني فما أبصر مما حولي شيئاً حزناً وأسفاً على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعد ماعرفوه ووضعوه بعد مارفعوه وذهبوا به مذاهب لايعرفها ولا شأن له بها.

أي عين يجمل أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا تريقها أمام هذا المنظر المحزن، منظر أولئك المسلمين وهم ركع سجد على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته، فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته.

أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات.

ثم يقول: وكثيراً ما يضمر الإنسان في نفسه أمراً وهو لايشعر به وكثيراً ماتشتمل نفسه على عقيدة خفية لايحس باشتمال نفسه عليها ولا أرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجئون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب قالوا: إنا لانعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله كأنهم لا يشعرون أن العبادة ما هم فيه وأن أكبر مظهر للألوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين يلتمسون إمداده ومعونته فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لايشعرون.

---

(١) يقصد الكاتب الهندي الذي بعث رسالة إليه.

وبعد أن ذكر صوراً من الشركيات قال: والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا مايريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وإن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده مادام المسلمون يقفون بين الجيلاني كما يقفون بين يدي الله ويقولون للأول كما يقولون للثاني: أنت المتصرف في الكائنات وأنت. «سيد الأرضين والسماوات»!!.

إن الله أغير على نفسه من أن يسعد قوماً يزدرونه ويحتقرونه ويتخذونه وراءهم ظهرياً!! فإذا نزلت بهم جائحة أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أن يذكروه ونادوا الجذع قبل أن ينادوه..[1].

هذه بعض الصور التي تبين بعض جوانب الانحراف في الاعتقاد، وهي منكرات عظيمة تحتاج إلى منكرين أقوياء يبذلون كل غالٍ ورخيص في سبيل محاربة هذه المنكرات العظيمة، لأنها تدل على انتشار الجهل بين صفوف المسلمين وعدم محاربته. كما تدل على أن المجال مفتوح للمحرفين والمنحرفين ليعملوا ماشاؤوا ويموهوا على العامة.

لذا كان لزاماً على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بذل الجهد لإنكار هذه المنكرات الخطيرة التي لا تستقيم الحياة معها[2].

---

(١) النظرات. المنفلوطي جـ٢ ص٤٥، ٤٩ باختصار.

(٢) وسوف نذكر طريقة الإنكار قريباً إن شاء الله.

جـ ـ ومن الأمور المفضية إلى الشرك «الغلو في القبور وأصحابها»:

ومن الأمور المفضية إلى الشرك تعظيم القبور وبناء المساجد والقباب عليها حتى أصبح لا يفرق بين القبور والمساجد - أحيانًا - من الغلو والتطرف في البناء على القبور فهم يبنون عليها بنيانًا يشابه مآذن المساجد في الشكل والارتفاع والضخامة، فهم فاقوا في ذلك الجاهية الأولى.

وهم أيضًا يجصصونها ويسمتونها ويضعون عليها قبابًا من خشب في داخل البناء وهذا مشاهد في جميع البلاد الإسلامية إلا القليل منها، ثم ما يحصل من الذهاب إليها والبكاء عندها والطواف حولها وسؤال أهلها قضاء الحاجات وكشف الكربات وفك الأزمات وغير ذلك من الأمور الشركية المخرجة من الملة أو المنقصة للتوحيد . .

ومن الشركيات التي وقع فيها بعض الناس سفرهم للقبور المشهورة عندهم وفي نظرهم فيسافرون آلاف الكيلومترات ومئاتها من أجل الوصول إلي القبر الفلانى أوصاحب القبر الفلاني فإذا وصلوا جعلوا يبكون عند هذا القبر ويعرضون عليه حاجاتهم ومطالبهم.

ولقد يعتقد بعضهم أن وصوله إلى هذا القبر يكفيه عن الحج إلى البيت الحرام.[1] ولاسيما إذا كان قبر النبيﷺ فإنهم يعتبرونها حجة كاملة.

وهذه مصيبة عظمى تحتاج إلى جهد مكثف وصبر طويل من أجل إنكارها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد بلغ الشيطان بهذه البدع إلى الشرك العظيم في كثير من الناس حتى أن منهم من يعتقد أن زيارة ـ

(١) أو لا يكمل حجة إلا إذا قصد القبر الفلاني.

المشاهد التي على القبور - إما قبر نبي، أو شيخ، أو بعض أهل البيت، أفضل من حج البيت الحرام. ويسمي زيارتها الحج الأكبر. ومن هؤلاء من يرى أن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من حج البيت، وبعضهم إذا وصل إلى المدينة رجع ولم يذهب إلى البيت الحرام، وظن أنه حصل له المقصود؛ وهذا لأنهم ظنوا أن زيارة القبور إنما هي لأجل الدعاء عندها والتوسل بها وسؤال الميت ودعائه... ولهذا نجد كثيراً من هؤلاء يسأل الميت والغائب كما يسأل ربه فيقول اغفر لي وارحمني وتب علي ونحو ذلك. وكثير من الناس تتمثل له صورة الشيخ المستغاث به ويكون ذلك شيطاناً قد خاطبه، كما تفعل الشياطين بعبدة الأوثان..»[1].

ولاشك أن الشيطان يدفعهم إلى ذلك دفعاً فيطمس على عيونهم ويعمى بصائرهم؛ لأن هذه القضايا قد نهى عنها الشارع الحكيم بوضوح.

النهي عن البناء على القبور واتخاذها مساجد:

- ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعن الله اليهودَ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[2].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. ابن تيمية ص ٣٨٢، ٣٨٣. باختصار بسيط.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الجنائز. باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور جـ ١ ص ٤٠٨ حديث ١٣٣٠.

- ورد عن عائشة - رضي الله عنها - وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال - وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ماصنعوا[١].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وكأنه علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم[٢].

- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية. وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاويرها! قال: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٣].

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة غير ماذكرنا كلها تدل على تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد أو البناء للتعظيم ونحوه.

ولقد بين ﷺ أن من يفعل ذلك هو من شرار الخلق يوم القيامة، وأن هذا ليس من فعل أمة محمد ﷺ وإنما هو من فعل اليهود والنصارى.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الصلاة. باب (٥٥) جـ١ ص١٥٧، ١٥٨ حديث ٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) فتح الباري شرح البخاري ابن حجر جـ١ ص٥٣٢.

(٣) رواه البخاري. كتاب الصلاة. باب الصلاة في البيعة جـ١ ص١٥٧ حديث ٥٤.

ولذلك وجب مخالفتهم في ذلك وعدم سلوك طريقتهم واتباع هدى النبي ﷺ والسلف الصالح من بعده.

النهي عن تجصيص القبر:

ورد عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه[1].

فهذا الحديث صريح في النهي عن تجصيص القبور والبناء عليها والجلوس فوقها.

الأمر بتسوية القبر:

ورد في حديث فضالة بن عبَيد. وفيه ثم قال فضالة: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»[2] يعني القبور.

وحديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ. أن لاتدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[3]

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. م٢ جـ٣ ص ٦١، ٦٢ كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنائز. باب الأمر بتسوية القبر م٢ جـ٣ ص٦١.

(٣) المرجع السابق.

النهي عن السفر للمساجد إلا الثلاثة التي خصصها الشارع الحكيم:

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ **«لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»**[١] .

النهي عن الصلاة في المقابر:

ورد عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لاتصلوا إلى القبور ولاتجلسوا عليها»**[٢]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: **«لاتصلوا إلى قبر ولاتصلوا على قبر»**[٣] .

ورغم نهي الشارع عن الأمور التي ذكرناها مع أدلة النهي الصحيحة فإن كثيراً من المسلمين وقعوا فيها وقوعاً صريحاً ومخالفة واضحة لهدي المصطفى ﷺ وهذه مصيبة عظيمة.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به، ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ماعليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً. فنهى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم. كتاب الحج. باب: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» م٢ جـ٤ ص١٢٦.

(٢) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنائز. باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه. م٢ جـ٣ ص٦٢.

(٣) رواه الطبراني في الكبير جـ٥ ص ١٤٥.

عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله، ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون ـ في ـ رفعها عن الأرض، ويعقدون عليها القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه والكتابة عليها وأن يزاد عليها غير ترابها وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره ويزيدون عليه الآجر والجص والأحجار.

ثم قال رحمه الله: والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذين لها أعياداً، الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به[1].

ولقد أصاب عمرو بن محمد القندي حينما وصف واقع المسلمين بهذه الأبيات:

أمة تعبد القبور وتهوى	*عيشة الشرك والضلال وترضى*
تنفق المال للضريح وتأبى	*كل خير إلى المثوبة أفضى*
ألبسوا القبر والصخور ثياباً	*ليتهم يسترون بالثوب عرضا*
إنما الله صاحب المال أعطى	*عبده الرزق؛ كي يقدم قرضا*
ذلك القرض للفقير كساء	*أو طعام، قد صار في المال فرضا*

(١) ابن القيم. باختصار بسيط. انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص٧٠٣، ٧٠٤. المكتب الإسلامي.

أين حق الفقير والحي أولي ... كيف نسعى ونطرح المال أرضا
أيها الذاكرون بالرقص شيخاً ... بئس ذكراً قد صار رفعاً وخفضاً
أي دين قد صار لهواً وغيًّا ... أي حب على المفاسد حضا
مولد كله الفجور وجهل ... ثم شرك على النفوس أقضا
بئس سوق به المآتم تترى ... قام بالشر معلناً وانفضا

ويقول أيضاً:

أيها الناس إنه الدهر يمضي ... يقطع العمر كالحسام وأمضى
إنه الشرك للنفوس ظلام ... ذل من عاش في الظلام وقضى
إنما المؤمن الكريم عزيز ... يرفض الذل والمهانة رفضا
احفروا الأرض ليس في الترب إلا ... ساكن لن يجاوز الترب نهضا
إنه الوهم صور الصخر رباً ... يقبل النذر يمنح الخير أيضا
يهلك الحرث، يقتل النفس سخطاً ... يمنع الرزق والمعونة بعضا
اسألوا الأرض كم شهيد دفين ... أغفل الدهر ذكره ثم أغضى
روحه اليوم في حواصل خضر ... ظلها العرش تحته الطير أفضى
بينما القبة العظيمة تبنى ... فوق وهم من الضلال وفوضى
كيف يرضى الولي باللهو حقود ... أو يرى الإثم حوله ثم يرضى
هاكم الملحد اللئيم حقاً ... يبغض الدين ينقض العهد نقضا
قلبه الصخر لا يرى الحق يوماً ... عض بالجهل والضلالة عضا
أيها الناس أنتم الجند فاحموا ... عزة الدين وانقضوا الجهل نقضا
طال يارب في العباد ظلام ... أكسب العين والبصيرة غمضا

مكن الدين في القلوب ضياء يدحض الإثم والجهالة دحضا[1]

وبعد ماذكرنا يتعين أن هذا الفعل أو الأفعال التي أحدثها المبتدعة منكر ومخالفة لهدي الإسلام لذا وجب على المسلمين المخلصين محاربة هذه المنكرات بشتى أنواعها وصورها وإيقاف ذلك عند هذا الحد وكفى به شراً مستطيراً[2].

وكلامنا هذا لايعني أن الشرع نهى عن زيارة القبور مطلقاً، بل إن الزيارة تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: الزيارة المشروعة:

وهي الزيارة للقبور من أجل تذكّر الآخرة والاعتبار بحالهم حيث إنهم كانوا بالأمس يمشون على الأرض ولهم صولة وجولة، واليوم أصبحوا في داخل الأرض، وهي نهاية كل حي.

ثم السلام على أهلها والدعاء لهم سواء أكانوا أنبياء أم صالحين أم غيرهم. وهذه الزيارة التي أمر بها الرسول ﷺ حيث قال: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها..**»[3] الحديث.

وفي رواية لأبي داود «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة**»[4].

---

(١) انظر تقاليد يجب أن تزول. رسالة أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية. جمعه طائفة من علماء الأزهر مكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

(٢) سوف نشير في نهاية هذا المبحث عن طريقة إنكار هذا المنكر إن شاء الله.

(٣) رواه مسلم. كتاب الجنائز. باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه م٢ جـ٣ ص٦٥.

(٤) سنن أبي داود. كتاب الجنائز باب في زيارة القبور جـ٣ ص٢١٨ حديث ٣٢٣٥.

وفي رواية أخرى لأبي داود «فزوروا القبور، فإنها تذكر بالموت»[1].

فهذه الأحاديث تبين الحِكمة من زيارة القبور.

القسم الثاني: الزيارة البدعية:

وهي أن يزور قبراً من أجل أن يصلي عنده ويدعو الله عنده وهذه تسمى بدعية إذا لم يصحبها دعاء الميت والالتجاء إليه في قضاء الحاجات، فإن حصل ذلك فهي شركية.

القسم الثالث: الزيارة الشركية:

وهي التي يدعى فيها صاحب القبر ويطلب منه قضاء الحوائج وطلب النفع ودفع الضر...

فالقسم الأول هو الذي شرعه الإسلام والقسمان الآخران نهى عنهما الإسلام.

فالقسم الأول من المعروف والثاني والثالث من المنكرات التي تجب محاربتها.

كيفية إزالة هذه المنكرات:

لاشك أن المنكرات التي أشرنا إليها في هذا المبحث وهي الغلو في الصالحين أحياءً وأمواتاً قد تعلق فيها كثير من الناس وتمسكوا بها، وأصبحوا يحاربون من يحاول الإنكار عليهم ويعتبرونه عدواً للأنبياء والصالحين من عباد الله.

---

(١) المرجع السابق حديث ٣٢٣٤.

لذا فإن طريقة إزالة هذه المنكرات تحتاج إلى جهد جهيد، وأنا بعون الله تعالى أذكر الكيفية التي أرى أنها مناسبة لمحاربة هذه المنكرات:

١- عمل كتيبات مختصرة تبين الحكم الشرعي في ذلك وفي الوقت نفسه تفي بالغرض المقصود، ومن ثم توزع مجاناً أو بسعر رمزي ويكتفي بتوزيعها في الأماكن التي فيها مثل هذه المنكرات.

٢- إعداد نشرات ذات ورقة واحدة فقط تحمل نفس الفكرة السابقة ولكن تختصر كثيراً حتى تسهل قراءتها لكل أحد من الناس مهما كانت ظروفه.

٣- الإكثار من المحاضرات والدروس التي يركز فيها على جوانب العقيدة ولاسيما الأخطاء التي انغمس الناس فيها ووقعوا في الشرك بعلم أو بجهل.

٤- محاولة إزالة هذه المنكرات باليد شريطة ألا يترتب على ذلك وقوع منكر أكبر منه. فتسوى القبور وتهدم القباب وتزال السرج ويمنع الناس من الطواف حولها وسؤالها...

٥- يحسن أن يتولى هذه العملية العلماء ولا سيما كبارهم أو طلبة العلم بصحبة العلماء. لما للعلماء من التأثير على عامة الناس:

٦- عقد مؤتمرات للعلماء لمناقشة هذه المنكرات وإيضاح خطورتها وإصدار فتوى فيها مع إيضاح طريقة محاربتها.

٧- الرفع إلى ولاة الأمر في جميع الدول الإسلامية ومطالبتهم بإزالة هذه المنكرات ومساعدة ومساندة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

لتطهر أرض الله تعالى من هذه الشركيات.

٨- إن ذكر هذه الطرق لايعني أن ذلك على سبيل الحصر وإنما قد يكون هناك طرق أخرى تظهر أثناء مناقشة العلماء لهذه المنكرات وأثناء إزالتها أو محاولة إزالتها.

والذي يجب أن نعرفه هو أن الأمر يحتاج إلى جهد وصبر ووقت طويل لكن مع الجهد والاجتهاد والتحمل سوف يكون لذلك ثمرة بإذن الله تعالى.

ثانياً: السحر والكهانة والشعوذة..:

ومن المنكرات المؤثرة على الاعتقاد السحر والكهانة والشعوذة وغير ذلك مما يمارسه الخرافيون المنحرفون، ولقد وقع فيها كثير من الناس وهم على قسمين:

القسم الأول: الفاعل لذلك والمباشر له.

القسم الثاني: الذين يذهبون إليهم ويعتقدون فيهم جلب النفع ودفع الضر وعلم الغيب إلى غير ذلك.

وكلا القسمين على خطر كبير وانحراف عظيم فهما قد وقعا في المحذور الذي نهى عنه الشارع الحكيم، وإن كان الأول أشد خطراً ولكن فعلهما مُنكر يجب محاربته وإنكاره لما ورد من النهي الأكيد عن هذه الأمور.

فقد ورد عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يارسول الله: **«أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان، قال: «فلا تأتوا الكهان» قال: قلت كنا نتطير قال: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلايصدنكم»**[1]

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب السلام. باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان م٤ جـ٧ ص٣٥.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ ليسوا بشيء، قالوا يارسول الله: فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً قال رسول الله ﷺ **«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قدّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»**[1].

وعنه ﷺ قال: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»**[2].

قال في شرح الطحاوية «فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول»[3].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **«نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»**[4].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: وحلوان الكاهن حرام بالإجماع وسمي حلواناً، لأنه يأخذه سهلاً بلا كلفة ولا مشقة[5].

وورد عنه ﷺ أنه قال: **«العيافة والطيرة والطرق من الجبت»**[6].

---

(١) المرجع السابق م٤ جـ٧ص٣٦.

(٢) المرجع السابق م٤ جـ٧ ص ٣٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز الحنفي ص٥٠٢ المكتب الإسلامي.

(٤) رواه البخاري في صحيحه. كتاب البيوع. باب ثمن الكلب جـ٢ ص١٢٣ حديث٢٢٣٧.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر جـ٤ ص ٤٢٧.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٣ ص٤٧٧ ورواه أبو داود في سننه. كتاب الطب باب في الخط وزجر الطير جـ٤ ص١٦ حديث ٣٩٠٧.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**[1] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **«اجتنبوا السبع الموبقات»**.

قالوا: يارسول الله. وماهن؟ **قال: «الشرك بالله والسحر...»** الحديث رواه البخاري ومسلم.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»**.

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً والمقصود من ذلك معرفة أن الشارع الحكيم نهى عن هذه الأمور.

قال الطحاوي - رحمه الله - «ولانصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».

قال الشارح لها:[2] والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والفالات[3] ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك. وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع: نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين

---

(١) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الجنائز. باب التشديد في النياحة. م٢جـ٣ص٤٥.

(٢) القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي.

(٣) قال المحققون في الأصل الغالات أو الفالات.

يظهر أحدهم طاعة الجن له. أو يدعي الحال من أهل المحال من المشايخ النصابين، والفقراء الكاذبين والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

واتفقوا كلهم على أن ماكان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها أو خطابها أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك. فإنه كفر وهو من أعظم أبواب الشرك فيجب غلقه بل سده.

واتفقوا كلهم - العلماء - أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لايجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم وكذلك كل كلام فيه كفر لايجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لايعرف معناه لا يتكلم به لإمكان أن يكون فيه شرك لايعرف ويقول أيضا - رحمه الله - منكراً على من يفعل ذلك أو شيئاً منه أنه على حق أو من الأولياء.

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ ولاحقيقة إلا حقيقته ولاشريعة إلا شريعته ولا عقيدة إلا عقيدته، ولايصل أحد - من الخلق بعده - إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، ومن لم يكن مصدقاً فيما أخبر ملتزماً فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء وأنفق من الغيب[1] وأخرج

(١) في الأصل: الجيب.

الذهب من الخشب ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل فإنه لايكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى المقربة إلى سخطه وعذابه[1].

وجاء في مسائل الجاهلية: وهذه الخصلة الجاهلية [التمسك بخرافات السحر] موجودة اليوم في كثير من الناس ولاسيما من انتسب إلى الصالحين وهو عنهم بمراحل، فيتعاطى الأعمال السحرية من إمساك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بإبطاله. فأعرضوا ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما ألقاه إليهم شياطينهم، وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لاتصدر عن فاسق، ومن يتعاطَ تلك الأعمال ففسقهم ظاهر للعيان: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[2] [3].

ومع الأسف أنه رغم نهي الشارع الحكيم عن هذا المنكر العظيم من السحر والكهانة والشعوذة والخرافات والخزعبلات فإننا نجد أصحاب هذه المهن منتشرين في أنحاء العالم الإسلامي ولهم أماكن معروفة. ويأتي إليهم الناس من كل مكان بل إن الناس إذا سعوا بأمثال هؤلاء شدوا إليهم رحالهم وسافروا إليهم في أماكنهم مهما بعدت تلك الأماكن حتى لو وصلت إلى آلاف الأميال.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٢) سورة الكهف جزء من الآية (١٠٤).

(٣) مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية. الشيخ محمد بن عبد الوهاب. شرح السيد محمود شكري الألوسي ص٢٣، ٢٤. المطبعة السلفية. القاهرة.

فإذا وصلوا إليهم نصبوا حولهم خيامهم إذ قد لايوجد مكان يتسع الجميع من كثرتهم. فيجلسون الليالي والأيام حتى يأذنوا لهم بالسفر.

ولاشك أن في هذا الفعل مخالفة صريحة لأمر الشرع وله تأثير كبير على اعتقاد الناس من مريض ومعالج وقد يصل بهم الأمر إلى خروجهم من دائرة الإسلام.

لذا فإن على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر مكافحة هذا المنكر العظيم المؤثر على اعتقاد الناس ومحاربته بشتى وسائل المحاربة حتى تطهر عقائد المرضى ويعودوا إلى الله تعالى ويعلقوا أمورهم به؛ ويمنعوا من استخدام أية وسيلة غير شرعية.

والإسلام بفضل الله تعالى جعل من الوسائل المباحة في كل ميادين الحياة ما يسد حاجات الناس ولله الحمد والمنة.

كيفية الإنكار على أولئك: إن الإنكار على أولئك يحتاج إلى أمور:

١ـ فمن أهم الأمور التي يستعان بها على محاربة هذا المنكر استعداء السلطة عليهم والرفع إلى ولاة الأمر وطلب محاربتهم ومنعهم وعدم السماح لهم بأي شكل من الأشكال.

لأن أولئك قد لاينفع معهم النصح والموعظة لتمكن الشيطان من قلوبهم فهم يحتاجون إلى قوة تردعهم وتمنعهم.

٢ـ إن ذلك لايمنع من نصحهم وإرشادهم من باب إقامة الحجة عليهم.

٣ـ توضيح الطريق الصحيح للناس عند مرضهم العضوي والنفسي وقطع طريق الشعوذة عليهم بإيضاح وسائل العلاج عبر الطرق المشروعة.

٤ـ استخدام جميع وسائل الإعلام المختلفة لذم أولئك وتحذير الناس من الذهاب إليهم وأن فيه خطراً على عقيدتهم وزيادة مرضهم.

ثالثاً: ومن المنكرات الشركية: شرك الطاعة:

وهذا النوع من الشرك خطير حيث إن بعض الناس يقع فيه وهو لا يشعر إما جهلا أو تجاهلاً، وذلك لتصورهم أن الشرك لايكون إلا بعبادة الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار والكواكب ونحو ذلك.

ولاشك أن هذا المفهوم خاطئ؛ لأن الشرك معناه أن تصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى. وأهم العبادات بل أساسها «الطاعة».

فمن أطاع غير الله تعالى في تحليل الحرام أو تحريم الحلال فقد وقع بالشرك رضي بذلك أم أبى.

ويندرج في ذلك طاعة علماء السوء والملوك والرؤساء والأمراء الذين يضعون القوانين البشرية المخالفة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في تحليل محرم أو حمايته أو تحريم حلال ومحاربته أو إلغاء حد أو جعل حد ليس مشروعاً أو نحو ذلك، ويفضلون هذا على ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ويطالبون الناس بفعل ذلك. فيتبعهم الناس في ذلك رغبة فيه لأنه صدر من العلماء والحكام. فيعملون به ويتمسكون به ويجعلون دليلهم في ذلك فعل فلان أو قول فلان من عالم أو مسؤول. رغم مخالفة هذا القول والفعل لصريح الكتاب والسنة. ولاشك أن ذلك من الشرك.

يقول تعالى: ﴿**اتخذوا آحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾[1].

وقد ورد أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي: فقال «يارسول الله لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟**» قال: بلى. قال النبي ﷺ: «**فتلك عبادتهم**»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: «من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً من دون الله».

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في شرح ذلك، لما كانت الطاعة من أنواع العبادة؛ بل هي العبادة فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام، نبه المصنف -رحمه الله تعالى- بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لايطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلاتجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ فإنه لاينطق عن الهوى، فهو مشرك كما بينه الله في قوله: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم**﴾[3] أي علماءهم ﴿**أرباباً من دون الله والمسيح**

---

(١) سورة التوبة الآية (٣١).

(٢) رواه الترمذي في سننه. أبواب التفسير جـ٤ص٣٤٢ حديث ٥٠٩٣.

(٣) التوبة جزء من الآية (٣١).

ابن مريم وما آمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[1] .

وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام . .[2] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد: «فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله، وبها اتخذوهم أرباباً، كما هو الواقع في هذه الأمة وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله. فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة فأثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما أثبتته من التوحيد».

إذاً فلا تجوز طاعة العلماء ولا الحكام والرؤساء؛ بل ولا أي مخلوق مهما كان إلا الرسول ﷺ في تحليل الحرام أو تحريم الحلال أو الاستغناء عن شريعته بشريعة أخرى في أي جانب من جوانب الحياة. ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه هذه الجانب أوضح بيان ولم يكن لأحد أن يحيد عنه إلا من كان في قلبه زيغ ومرض.

يقول تعالى: **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾**[3] .

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من يدعى الإيمان بما أنزله الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل

---

(١) التوبة جزء من الآية (٣١).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٥٤٣.

(٣) سورة النساء آية (٦٠).

الخصومات إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فالتحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان ومضاد له فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم إليه.

وقال تعالى: **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**[2].

فأمر سبحانه وتعالى عند الاختلاف والتنازع في أي جانب من جوانب الحياة «**في شئ**» أن ترده إلي كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ وعدم الاتجاه إلي غيرهما.

وقال تعالى **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾**[3]

وقال تعالى **﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾**[4].

فهذه الآيات تأمر المسلمين بأن يتجهوا إلى الله وحده دون أحد سواه فهو المشرع وحده وليس معه شريك في تشريعه.

يقول سيد قطب - رحمه الله - « وحقيقة أن الدين عند الله الإسلام، وأن الله لايقبل من الناس ديناً سواه، وأن الإسلام معناه إفراد الله سبحانه بالألوهية وكل خصائصها والاستسلام لمشيئته، والرضي

---

(١) سورة الشورى آية (١٠).

(٢) سورة النساء جزء من الآية (٥٩).

(٣) سورة الشورى جزء من الآية (٢١).

(٤) سورة الأنعام جزء من الآية (١٢١).

بالتحاكم إلى أمره ومنهجه وشريعته. . . وحقيقة أن غاية الوجود الإنسانى هى العبادة لله بمعنى العبودية المطلقة لله وحده بكل مقتضياتها. والائتمار بأمره - وحده - في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها والتوجه إلى الله - وحده - بكل نية وكل خالجة وكل عمل. . »[1] .

فمن صفات المؤمن الإذعان إلى حكم الله وعدم العدول عنه، بخلاف المنافقين الذين يبحثون عن أي طريق غير طريق الله يقول - تعالى - حكاية عن حالهم **﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾**[2] .

وقال تعالى: **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**[3] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : قال أكثر المفسرين: ولا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى طاعة غير الله بعد إصلاح الله لها ببعثة الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله. فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك، ومخالفة أمره.

فالشرك والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير الرسول ﷺ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا

---

(١) خصائص التصور الإسلامي. سيد قطب ص ٨٦. الطبعة الثانية عيسى البابي الحلبى.

(٢) سورة النساء جزء من الآية (٦١).

(٣) سورة البقرة آية {١٢}.

بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع للرسول ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر فى العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله، وقد سمى الله كل حكم يخالف حكمه بأنه حكم الجاهلية. قال تعالى: **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾**[1].

قال ابن كثير - رحمه الله-: ينكر- تعالى- على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهى عن كل شر، وعدل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلامستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات. وكما تحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم «الياسق» وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام التى أخذها عن مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلي حكم الله وحكم رسوله ﷺ فلا يحكم بسواه في قليل أو كثير[2][3].

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ٢ ص ٧٢ مكتبة النهضة ط الأولى.

(٣) نقلاً عن كتاب الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد. د. صالح الفوزان ص ٧٣، ٧٤.

هذا هو مفهوم العبودية الحقة التوجه إلى الله سبحانه وتعالي في جميع شؤون الحياة صغيرها وكبيرها وعدم قبول أي حكم أو أمر أو نهي يخرج عن الكتاب والسنة. ثم إنه لايكفى هذا الأمر على إطلاقه، بل لابد أن يتبع ذلك الاقتناع والرضى وعدم التردد في قبول أحكام الله. بمعنى أن يقبل هذا الحكم وهو راض ومقتنع به وعارف أنه هو الأكمل والأوفق الأحسن.

يقول تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[2].

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ : «. . . إنه ليس لهم في أنفسهم شئ، إنما هم وماملكت أيديهم لله يصرفهم كيف يشاء ويختار لهم مايريد. . . وليس لهم أن يختاروا الدوو الذى يقومون به؛ لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة، وليس لهم أن يختاروا الحركة التى يحبونها؛ لأن مايحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم، عندئذ أسلموا أنفسهم حقيقة لله، أسلموها بكل مافيها فلم يعد لهم منها شيء وعندئذ استقامت نفوسهم مع نطرة الكون كله. . .»[3].

---

(١) سورة النساء آية (٦٥).

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٦).

(٣) في ظلال القرآن. سيد قطب جـ ٦ ص ٥٩٢، ٥٩٣ باختصار

إذاً فيجب أن تكون الطاعة لله ولرسوله في جميع الشرع، ولا شرع غير شرع الله وشرع رسوله ﷺ فلا يجوز لأحد أن يسعه الخروج عن شرع الله، ولا حجة لأحد في ذلك؛ لأن الدين قد كمل فهو ليس بحاجة إلى من يزيد فيه أو ينقص منه، ومن ادعى ذلك فهو مشرك كافر.

يقول تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[١].

فهو ليس بحاجة إلى آراء الرجال أياً كان نوعهم من الملوك والرؤساء أو من الأمراء والوزراء أو من الأحبار والرهبان. ومن فعل ما أمروا به أو ترك مانهوا عنه رغبة منه وهو مخالف لشرع الله تعالى فهو مشرك.

كيفية إنكار ذلك:

لقد كثر هذا المنكر في هذا الزمان وتمكن في كثير من قلوب العامة والخاصة وأصبحت أفعال المسؤولين - من حكام وعلماء- وأقوالهم أدلة يهتدى بها. وإذا مانهيت عن أمر «ما» أو أمرت بنهي «ما» قوبلت بالرفض بحجة أن الدولة سمحت بذلك أو منعت ذلك أو قال لك المسؤول الفلاني أو العالم الفلاني يقول كذا. . . ولو كان في ذلك مخالفة صريحة للكتاب والسنة، وهذا أمر خطير له تأثير على عقيدة المسلم.

وإذا كانت هذه رؤية فاعليها فإن إزالة هذا المنكر تحتاج إلى جهد، ومن أحسن الأسباب لإزالة هذا المنكر أن يتولى ذلك العلماء الصالحون الأتقياء الذين يأخذون العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو خالفوا رغبات الناس كلهم على اختلاف منازلهم. وليس علماء الحكام.

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية (٣).

فالعلماء الصالحون الأتقياء هم الذين لديهم القدرة على إزالة هذا المنكر لأن أصل هذا المنكر يخرج من أناس معتبرين في المجتمع ولهم سلطة وصولة وجولة.

فإذا ما حاول الشخص العادي إنكار ذلك فإنه سوف يواجه صنوفاً من العذاب، أو على الأقل يسكت بطريقة أو بأخرى، ولكن العلماء المعتبرين يستطيعون أن ينكروا ذلكم المنكر أياً كان مصدره، وربما لا يجدون مقاومة وإذا وجدوا فإنها قليلة قد لا تصل إلى الإضرار بهم.

وهذا لا يعني أن نعفي غيرهم من إنكار هذا المنكر، وإنما يكون على قدر طاقتهم واستطاعتهم وذلك بإيضاح الحق للناس والطريق الذي يجب أن يسلكوه في مسألة الطاعة من خلال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ومع الصبر والتحمل ومواصلة الجهد في الإنكار لابد أن يكون لذلك تأثيره من اتباع الحق وإضعاف الباطل أو إزالته، **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**[1].

رابعاً: ومن المنكرات المؤثرة على الاعتقاد "التشبه بالكفار":

لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية بهذا الدين العظيم المميز عن سائر الأديان بالكمال وصلاحيته لكل زمان ومكان، وجعل لأتباعه شخصية مميزة فأمرهم بالالتزام به وحذرهم مما سواه؛ لأن الإسلام

---

(١) سورة الصف آية (٨).

لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وبين موقفه منه.

ولم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن بين لأمته الهدى في كل شؤون الحياة من عبادة ومعاملة، ومن أخذ وعطاء، وأكل وشرب، ودخول وخروج، وقيام وجلوس، ونوم ولباس، وحتى أدب الجماع والدخول إلى الحمام والخروج منه وكيفية قضاء الحاجة... وجدير بأمة فعل لها نبيها ذلك ألا تتعدى هديه إلى هدى غيره ولا أن ترغب عنه بحال.

فمن هنا أمر الإسلام بالالتزام بهديه وعدم التشبه بأعدائه. ورغم هذا الكمال للإسلام فإن كثيراً من المسلمين - مع الأسف - يأبى إلا مشابهة الكفار فحاكوهم في بعض عباداتهم وتقاليدهم ولباسهم وأكلهم وشربهم.

فتشبهوا بهم باحتفالهم بأعياد الميلاد لأنفسهم أو لأنبيائهم، وتشبهوا بهم بإطالة الشعور والأظافر أو بعضها، وتشبهوا بهم بلبس السلاسل وخواتم الذهب، وتشبهوا بهم في طريقة كلامهم وسلامهم، وتشبهوا بهم في وسائلهم الإعلامية على اختلاف أنواعها، والأدهى والأمَرُّ أن بعض المسلمين يذهب إلى هناك بغرض الاقتباس منهم ثم يعود إلى مجتمعه المسلم ليطبق ما أعجبه. وكل هذه الأفعال منكر.

والإسلام عندما حرم هذا الأمر فإن لتحريمه أبعاداً كبيرة منها:

أن هذه المشابهة تورث المحبة - محبتهم ومحبة ماهم عليه - وفي الوقت نفسه قد تولد لديه ضدها بالمقابل فيكره المسلمين وماهم عليه، أو يفضل أولئك عليهم أو نحو ذلك، وكل هذه الأمور توقعه في الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ:

والمشابهة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم، والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضا مناسبة وائتلافاً وإن بعد المكان والزمان، فهذا أيضاً أمر محسوس. والمشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن. كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة.

وإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان[1].

ومن زعم أنه يقلدهم وهو يبغضهم فلا صحة لزعمه، إذ لو كان يبغضهم ما يقلدهم في أقوالهم وأفعالهم وتقاليدهم.

«إذا حاكى المسلم أوربة في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يتكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية مهما كانت دعواه التى يعلنها، وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعية من غير إعجاب بروحها، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً»[2].

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٠، ٢٢١ بتصرف واختصار بسيط. دار الفكر.

(٢) انظر الإسلام على مفترق الطرق. محمد أسد ترجمة عمر فروخ ص ٨١، ٨٣، الطبعة الثامنة دار العلم للملايين ١٩٧٤م.

أدلة النهي من الكتاب والسنة عن مشابهة أعداء الله:

١ - قول الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين**﴾[١] .

يقول سيد قطب - رحمه الله - حول هذه الآية: إن هذا القرآن يربى الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلي ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله ولا يتبع قيادة رسول الله ولا ينضم إلى الجماعة التى تمثل حزب الله. وإشعاره أنه موضع اختيار الله، ليكون ستاراً لقدرته وأداة لتحقيق قدره في حياة البشر وفي وقائع التاريخ، وأن هذا الاختيار - بكل تكاليفه - فضل من الله يؤتيه من يشاء وأن موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله، والنكول عن هذا الاختيار العظيم والتخلى عن هذا الفضل الجميل. . .

ثم يربي القرآن وعى المسلم بحقيقة أعدائه وحقيقة المعركة التى يخوضها معهم ويخوضونها معه، إنها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه وهم يعادونه لعقيدته ودينه قبل أي شئ آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ لأنهم فاسقون، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله. . . إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ولكنه منهى عن الولاء بمعنى التناصر والتحالف معهم.

وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقى مع

---

(١) سورة المائدة آية (٥١).

طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه ولن يكُفُّهُم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له. وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السُّذَّج منا في هذا الزمان وفي كل زمان، حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدى أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد - بوصفنا جميعاً أهل دين!! - ناسين تعليم القرآن كله وناسين تعليم التاريخ كله، فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين: **﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾** وأهل الكتاب هؤلاء هم الذي ألَّبُوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شَرَّدُوا العرب المسلمين في فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذي يُشَرِّدُون المسلمين في كل مكان في الحبشة والصومال وأريتيريا والجزائر، ويتعاونون في هذا مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان»[1].

وأقول: إن التشبه بهم لا يأتى من فراغ، بل هو من الإعجاب بهم ومحبتهم وموالاتهم، ومن فعل ذلك فقد وقع في المحذور.

٢ - قوله تعالى: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم. قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير﴾**[2].

(١) انظر الظلال. سيد قطب جـ ٢ ص ٩٠٧ إلى ٩١١ باختصار شديد.

(٢) سورة البقرة آية (١٢٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ:

«فانظر كيف جاء في الخبر «ملتهم» وفي النهي «أهواءهم» لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً. والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير. ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ماهم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض مايهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه»[1] .

٣ - وقوله تعالى **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾**[2] .

فقد «جعل الله محمداً ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون. ودخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذى هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض الأمور ويسرون بذلك يودون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصل ذلك»[3] .

٤ - ومن الأدلة أيضاً على النهي عن التشبه بالكافرين وعدم سلوك طريقهم قوله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**[4] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥. (٢) سورة الجاثية آية [١٨ ، ١٩].

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم - شيخ الإسلام ابن تيمية - ص١٤.

(٤) سورة النساء آية (١١٥).

٥ - وقوله: **﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون﴾**[(١)] .

٦ - وقوله: **﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**[(٢)] .

وغير ذلك من النصوص القرآنية التى تحذر المسلمين من التشبه بالكافرين وتطلب مخالفتهم وعدم سلوك طريقهم.

الأدلة من السنة في النهي عن التشبه بهم:

١ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضى الله عنهم - أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**»[(٣)] .

٢ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[(٤)] .

٣ - وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها - كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته وتقول «إن اليهود تفعله»[(٥)] .

---

(١) سورة يونس جزء من الآية (٨٩).

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية (١٤٢).

(٣) رواه الترمذى في سننه. أبواب الاستئذان. باب في كراهية إشارة اليد في السلام جـ٤ ص ١٥٩ حديث ٢٨٣٦. وقال الترمذي هذ حديث إسناده ضعيف. ولكن الألباني - حفظه الله - حسنه انظر صحيح الجامع جـ٥ ص ١٠١ حديث ٥٣١٠.

(٤) رواه البخارى في الجامع الصحيح. كتاب الأنبياء. باب ماذكر عن بنى إسرائيل جـ٢ ص ٤٩٣ حديث ٣٤٦٢.

(٥) المرجع السابق حديث ٣٤٥٨.

٤ - وعن أنس- رضى الله عنه- قال: «ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة»[١] .

٥ - وعن يعلي بن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**»[٢] .

فهذه النصوص الشرعية تفيد بعمومها النهي عن التشبه بالكافرين والمنحرفين والمفسدين، ومخالفتهم في أقوالهم وأفعالهم لما يفضى إليه من الإعجاب بهم ومحبتهم وفرحتهم بذلك.

وبذلك يعلم أن هذا الفعل منكر تجب محاربته وإنكاره وعدم السكوت عليه.

كيفية إنكار ذلك:

هذا المنكر على أنواع فقد يكفى لإنكار بعضه المحاضرات والدروس التي تبين خطر ذلك وأثره على العقيدة. والبعض الآخر قد يحتاج لإزالته القوة.

فمثلاً ظاهرة لبس السلاسل وإطالة الأظفار أو بعضها وإطالة شعر الرأس بغرض التشبه بهم ونحو ذلك. وهذا الأمر يكثر في المدارس من المرحلة الثانوية فما فوق فقد تؤثر المحاضرات والدروس فيهم، لأن بعضهم يفعل ذلك عن جهل ولمجرد التقليد. ولكن يحسن الكتابة إلى الجهات المختصة بمطالبتها بإرسال تعاميم للمسؤولين في المدارس بمنع ذلك بالقوة إذا

---

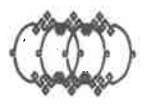
(١) المرجع السابق حديث ٣٤٥٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه. كتاب الصلاة. جـ١ ص ١٧٦ حديث ٦٥٢. وقال الألبانى: صحيح. انظر صحيح الجامع جـ٣ ص ١٠٦ حديث ٣٢٠٥.

لم يفد منعه باللسان.

وأما التشبه بهم في عباداتهم - في بعض عباداتهم - وما له صلة مباشرة بالعقيدة[1] فإنه يجب محاربتهم بالقوة ومنعهم من أي مظهر يخل بالعقيدة. وعلى العموم يحسن استغلال وسائل الإعلام ولا سيما المرئية والمسموعة، وإيضاح هذا المنكر بشتى ألوانه وصوره وأثره على العقيدة.

فلعل ذلك يقضى على كثير من جوانبه. والله هو المستعان.



(١) مثل الاحتفال بالمولد النبوي وأعياد الميلاد وتعظيم الأولياء الأحياء منهم والأموات وتعظيم المشاهد والخرافات التى يسنها الصوفية لأتباعهم ونحو ذلك.

الفصل الثالث

بعض المنكرات السياسية

أولاً: الحكم بغير ما أنزل الله

تمهيـــد:

لقد خلق الله الإنسان في هذه الأرض وحدد مهمته والغاية من خلقه في صورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض فقال تعالى: ﴿**وما خلقت الجنَ والإنسَ إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾[1] الآية. لقد وضح الطريق الذي يجب أن يسلكه وأن لا يتعداه إلى غيره بحال من الأحوال. قال تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[2]. وبين للإنسان أن له أعداء يحاولون إضلاله وإغواءه وإبعاده عن الصراط المستقيم وهؤلاء الأعداء من الجن والإنس. يقول تعالى: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿**شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا**﴾[4].

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦، ٥٧).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥٣).

(٣) سورة فاطر آية (٦).

(٤) سورة الأنعام جزء من الآية (١١٢).

وقوله تعالى عن إبليس: ﴿**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾[1].

وقوله: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاَّ تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾[2].

وقوله عن الشيطان: ﴿ **لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينًا**﴾[3].

فإذا تأملنا هذه النصوص القرآنية وجدنا أن الله - سبحانه وتعالى- أخبر عن عداوة الشيطان للإنسان منذ القدم، وأنه يحاول أن يضله وأن يفسده وأن يخرجه عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. وهكذا حتى يوصله إلى درجة ينازع الله سبحانه وتعالى فيما اختص به من الحاكمية ونحوها فالعداوة بين الإنسان والشيطان قديمة.

ولقد أدرك الصالحون من الأنبياء والمرسلين والأولياء من الأولين عداوته فحاربوه وحملوا مشعل التوحيد داعين أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه. وحتى يتحقق لهم ما دعوا إليه أو يموتون دونه ولقد كان الرسول محمد ﷺ خير مثل لكل من جاء بعده، فالدعوة إلى الله وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له والتحاكم إلى شرع الله ونبذ ما سواه. وبيَّن ﷺ أن شرع الله تعالى كامل لايحتاج

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية (١١٢).

(٢) سورة يس آية (٦٠).

(٣) سورة النساء جزء من الآية (١١٨) والآية (١١٩).

إلى زيادة. فما مات حتى نزل عليه قوله: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾ [(١)] وحتى قال هو: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[(٢)].

ولقد سعدت البشرية حينما طبقت هذا المبدأ وسارت عليه فعزّت بعد الذلة وكثرت بعد القلة وغنت بعد العيلة. ولكن الأمة عندما تخاذلت وضعفت وراحت تأخذ من كتاب الله وتترك وتأخذ من سنة الرسول ﷺ وتترك عندما قدمت آراء الرجال على كتاب الله. عندما سمحت لأعداء الله وهم يقولون: لا بد لكم أن تُحكِّمُوا القوانين لكي تتحضروا وترقوا.

عند ذلك كله حلّ بهم ما حلّ من الضعف والدمار والتفرق والتنافر وأصبحوا بين الأمم كالكرة بين الصبيان. ليس لهم قوة تمنع، ولا كلمة تسمع، وما عليهم إلاَّ أن ينفذوا ما أراده أعداء الله منهم.

ومع الأسف أنهم لا زالوا كذلك، فما من دولة من الدول العربية والإسلامية ـ إلا ما شاء الله ـ إلا وتحكم القوانين الوضعية في بعض أو معظم شؤون الحياة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول الشيخ الحسني: ... فلذلك ترى غالب الناس اليوم إلى أوضاع القوانين البشرية الشيطانية أميل وأطوع منهم إلى أوضاع القانون الإلهي، والوحي السماوي. وترى المتشدقين المتحذلقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الأمة ولَمَّ شعثها، وَضَمَّ شملها، بأفكارهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية (٣).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه، باب إتباع سنة رسول الله ﷺ جـ ١ ص ٤ حديث ٥.

وسياستهم المخالفة المنابذة لسياسات الشريعة الحقة الصادقة، لا يقومون مقامًا ولا يجلسون مجلسًا إلا حثوا فيه الناس على اتباع كل صالق وناعق، الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية ومشتهيات أطباعهم البهيمية الشيطانية، من قوانين أهل الكفر والصليب والتشبه بهم في الأفعال والأقوال. فترى لذلك قلوب الناس من قريب وبعيد وحاضر وباد، إلا من عصمه الله من الأفراد متمالئة على قبولها. غير مكترثين بالقانون الذي نزل من عند الله وبينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذي **﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**[1] حتى جعلوا التحاكم إليها والتعويل في الأحكام عليها وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء ليست من حقيقتها في شيء، بل هي معها على طرفي نقيض...»[2].

ويقول د. فاروق عبد العظيم مرسي: «إن معظم الدول الإسلامية المعاصرة تخضع لقوانين وضعية نقلتها عن بلاد غير إسلامية وهي في جملتها مخالفة لشرع الله سبحانه، وجعلت هذه القوانين أصلاً لأحكام القضاء، والمصدر الأول والأساس لهذه الأحكام. ويقول أيضًا:

إن هذا المسلك لا شك فيه خطورة شديدة على الدولة والأفراد؛ لأن

---

(١) سورة النجم آية (٣، ٤). ونصها: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾**.

(٢) تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن للشيخ أبى هبة الله إسماعيل ابن إبراهيم الخطيب الحسنى الأسعردى الأزهرى السلفى ص ١١، ١٢. مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٦هـ.

فيه مجلبة لغضب الرب تبارك وتعالى، فالواجب على كل مسلم أن يقرع الأسماع دائمًا وأبدًا بوجود حالة العصيان والآثار التي تترتب على استمرارها والتحذير من ويلاتها في الدنيا والآخرة . . »[1]

فمن يلقيَ نظرة على الدول الإسلامية يعرف بوضوح كيف تركت شرع الله تعالى وأخذت بالقوانين الوضعية، بل إنهم أخذوا ينتقدون من يطبق شرع الله تعالى ويعيرونه بالرجعية والتأخر. فالله المستعان.

تعريف القانون في اللغة: يقول علماء اللغة: إن كلمة قانون غير أصيلة في اللغة العربية يقول ابن منظور في لسان العرب: «القوانين: الأصول، الواحد قانون ليس بعربي»[2] .

وقيل: إن العرب أخذوها من اللغة اللاتينية من كلمة (KANON) ومن هذه الكلمة أخذت كلمة (CANON) الفرنسية[3] .

وكلمة قانون في اللغة اللاتينية تعني «القاعدة والتنظيم وكانت تطلق كلمة (CANON) الفرنسية في العصر المسيحي على القرارات التي تصدرها الكنيسة في أوربا»[4] .

---

(١) الشريعة الإسلامية أصل أحكام القضاء ص ٥ دار الأقصى للكتاب. القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

وانظر كتاب الأضواء على ركن من التوحيد - عبدالعزيز بن حامد من ص ٣ - ٧ دار مكة المكرمة.

(٢) لسان العرب جـ ٣ ص ١٧٧ . لسان العرب بيروت.

(٣) انظر المدخل لدراسة القانون د. منير الرتيرى ص ٣ مطبعة حداد. البصرة.

(٤) المرجع السابق.

وقيل إن العرب أخذوا هذه الكلمة من اللغة السريانية[1] .

وتعني كلمة قانون في اللغة السريانية «المسطرة» ثم نقل معناها إلى القضية الكلية، من حيث تستخرج بها أحكام الجزئيات المحكوم عليه فيها، وتسمى تلك القضية أصلاً وقاعدة، وتلك الأحكام فروعها واستخراجها من ذلك الأصل تفريعًا[2] .

وذهب بعض المحققين من الباحثين في تاريخ القانون إلى أن هذه الكلمة يونانية الأصل دخلت إلى العربية عن طريق اللغة السريانية»[3] .

وأطلق العرب كلمة القانون على المعنى المستعمل في اللغات الأخرى.

يقول الجرجاني: «القانون أمر كلي منطبق على جميع جزئياته التي يعرف أحكامها منه. كقول النحاة: الفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، والمضاف إليه مجرور»[4] .

وقد أوضح معناها الفيروزابادي بكلمة مختصرة فقال:

«القانون مقياس كل شيء»[5] .

---

(١) انظر كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوى القسم الرابع ص ٦٠، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى. دمشق ١٩٧٦م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) فلسفة التشريع. صبحى محمصانى ص ١٦ طبع دار العلم للملايين. الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ.

(٤) التعريفات للجرجانى ص ١٤٩ . مطبعة مصطفى البابى الحلبى. القاهره.

(٥) القاموس المحيط ٤/ ٢٦١ طبع المكتبة التجارية الكبري. القاهرة. الطبعة الخامسة.

فكلمة قانون تعني: القاعدة المنضبطة، أو القضية الكلية. ولذلك نجد أن العلماء يطلقون كلمة القانون على القاعدة المطردة التي تفيد استمرار أمر معين وفقًا لنظام ثابت، مثل: قانون الجاذبية الأرضية. وقانون الغليان، وقانون الطفو ونحو ذلك ...[1].

تعريف القانون في الاصطلاح:

القانون في الاصطلاح: هو مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الأفراد في الجماعة. بحيث يتعين على كل فرد أن يخضع لها طوعًا أو كرهًا، ومتى رفض الفرد الانقياد لها وإطاعتها فإن الدولة تقسره على ذلك[2].

وإذا تأملنا في هذا التعريف وجدنا أنه لا ينطبق إلا على الأحكام الشرعية الصادرة من عند الله تبارك وتعالى فهو وحده الذي يملك التشريع والإلزام به والمعاقبة عند تركه أو مخالفته.

وليس لأحد من البشر أن ينازع في ذلك؛ لأنه من خصوصية الله سبحانه وتعالى.

ولأن الإنسان مهما بلغ من المعرفة والذكاء، وسَنَّ من قوانين فلا بد أن تكون ناقصة، ولا بد أن يكون فيها ميل وحيف، وعلى سبيل الفرض لو كان فيها شيء صالح فإنما هو لفئة من الناس ولوقت محدد فقط.

---

(١) انظر كتاب الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية. د.عمر الأشقر. دار الدعوة الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢) إنظر المدخل للعلوم القانونية د.توفيق فرج ص ١٥ طبعة دار النهضة. الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ.

بخلاف تشريعات الله تعالى فهي صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنه هو الذي خلق الخلق ويعلم ما يصلح لهم في كل الأحوال والأزمان.

وجوب تحكيم شرع الله تعالى:

إن الإيمان بالله وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولاً يقتضي أن نؤمن بأنه سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض ومن فيهن، فالخلق يختص به وحده فهو الذي يعرف أسرار الخلق وتدبيرهم ونتائج ذلك فليس لأحد أن يشاركه في ذلك.

وإذا كان الخلق والتدبير لله وحده فإن الأمر والحكم خاص به أيضًا، والعباد خاضعون لأمره مطيعون لحكمه وهذا مقتضى العبودية ومضمونها. فهي خضوع وانقياد وطاعة لله وامتثال لأمره . . وهذان الجانبان من أهم مقومات العقيدة وأركان الدين. ولقد أوضح الله ذلك في كتابه العظيم.

يقول تعالى: **﴿وهو الله لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾**[1].

أي هو المنفرد بالإلهية فلا يوجد معبود ــ بحق ــ سواه كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه، وله الحكم في فصل القضاء بين الخلق[2].

ويقول تعالى: **﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرًا﴾**[3].

---

(١) سورة القصص آية (٧٠).

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ - دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ.

(٣) سورة الفرقان آية (٢).

ويقول سبحانه: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون**﴾[1].

فهذه الآيات تقرر فكرة رئيسية وهي أن الخلق والتدبير بيد الله وحده، ويترتب على ذلك أن تكون أمور العباد كلها خاضعة له منقادة لحكمه . . . فالاعتقاد بأن الله وحده هو الخالق الرازق، وأنه هو القائم بتدبير نظام هذا الكون يستلزم أن يكون التشريع والمنهج الذي تقوم عليه شؤون الحياة بأمره وحده . . . فإن الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتسخير الشمس والقمر والحكم والملك والأمر والتشريع . . . كل هذه وجوه مختلفة لسلطان الله وقيوميته على أمور خلقه[2].

والآيات التي تبين أن الحكم لله وحده وتوجب اتباع ذلك كثيرة جدًا نورد منها ما يأتي:

١- يقول تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون**﴾[3]

٢- يقول تعالى آمرًا رسوله: ﴿ **وقل الحمد الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا**﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢٢).

(٢) انظر كتاب الحكم بما أنزل الله د. عبد العظيم فودة. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة القصص آية (٨٨).

(٤) سورة الإسراء آية (١١١).

٣- ويقول تعالى: ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾[١].

وهذه الآية واضحة قاطعة في دلالتها.

٤- ويقول تعالى: ﴿ **ولا يشرك في حكمه أحداً** ﴾[٢].

٥- ويقول تعالى: ﴿ **أم لهم شركاءُ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾[٣].

٦- ويقول تعالى: ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾[٤]

فبين سبحانه وتعالى أن طاعة المشركين في حكم تشريعي شرك.

٧- ويقول تعالى: ﴿ **.... فالحكم لله العلي الكبير** ﴾[٥].

وإذا تأملنا صفات الله تعالى وجدنا أنها توجب الخضوع لأحكامه فهو سبحانه أحكم الحاكمين.

يقول تعالى: ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾[٦].

---

(١) سورة الجاثية آية (١٨).

(٢) سورة الكهف آية (٢٦).

(٣) سورة الشورى آية (٢١).

(٤) سورة الأنعام آية (١٢١).

(٥) سورة غافر آية (١٢).

(٦) سورة التين آية (٨).

فدخل الاستفهام على النفي فصار الكلام مثبتًا وهي صيغة لتأكيد الإثبات.

ويقول عن نوح عليه السلام: ﴿**وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين**﴾ [1].

فهذه شهادة من نوح عليه السلام، والأنبياء أعرف الناس بربهم.

وأثبت سبحانه وتعالى في كتابه بأنه خير الحاكمين.

وكذلك على لسان رسله.

يقول تعالى: ﴿ **واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين** ﴾[2].

ويقول تعالى على لسان شعيب عليه السلام مخاطبًا قومه: ﴿ **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين**﴾[3].

ويقول سبحانه على لسان أحد إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ **فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين** ﴾[4].

وأخبر سبحانه أنه خير الفاصلين وأحسن الحاكمين.

يقول تعالى: ﴿ **إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** ﴾ [5].

---

(١) سورة هود آية (٤٥).

(٢) سورة يونس آية (١٠٩).

(٣) سورة الأعراف آية (٨٧).

(٤) سورة يوسف آية (٨٠).

(٥) سورة الأنعام آية (٥٧).

ويقول تعالى: ﴿ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾[1].

وبين سبحانه وتعالى أنه لا معقب لحكمه:

يقول تعالى: ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾[2].

حقيقة المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله، وصاحب الدين يرجع على صاحبه فيأخذه منه، أو من أخذ منه شيء فهو راجع ليأخذه[3].

والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه ولا يستدرك عليه أحد[4].

فالله سبحانه وتعالى يبين أنه إذا حكم حكمًا في أي شأن من شؤون الحياة فلا راد لحكمه، ولا يملك أحد إبطاله؛ لأنه لا حاكم في الحقيقة إلا الله . . . ،

وبين سبحانه وتعالى أن له الحكم وهو أسرع الحاسبين.

فقال سبحانه: ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[5].

والآيات التي تبين أن الحاكمية خاصة به سبحانه وتعالى كثيرة وما أوردناه هو على سبيل المثال فقط.

فماذا بعد الحق إلا الضلال، وما يعدل عن الأحكام الإلهية إلى القوانين الوضعية إلاَّ معاند ومكابر قد انطمس قلبه وعمي بصره وانسد سمعه.

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠).

(٢) سورة الرعد آية (٤١).

(٣) معانى القرآن. الفراء ٢/٦٦.

(٤) فتح القدير للشوكانى ٣/ ٩٠.

(٥) سورة الأنعام آية (٦٢).

الجزاء الحسن لمن يلتزم بشرع الله:

رغم أن الإنسان مأمور بتطبيق شرع الله تعالى وليس له خيار في ذلك، بل عليه التسليم والانقياد، ولكن من سعة فضل الله تعالى أنه يجازي من يطبق شرعه بالجزاء الحسن والقدر العظيم في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم** ﴾[1].

فأي فضل أكبر من ذلك الفضل.

ويقول تعالى: ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾[2].

وفي الوقت نفسه ورد الوعيد في كتاب الله لمن لا يحكم شريعته:

وإذا كان الله سبحانه وتعالى وعد بالثواب الجزيل والمغفرة والجنة لمن حكّم شرعه، فإنه هدد وتوعد من يترك شرعه بالعذاب والنار يقول تعالى: ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين** ﴾[3]. ويقول تعالى: ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾[4]. ويقول تعالى: ﴿ .. **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد**

---

(١) سورة النساء آية (١٣).

(٢) سورة النور آية (٥١، ٥٢).

(٣) سورة النساء آية (١٤).

(٤) سورة الأنعام آية (١٢١).

حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾[١]. ويقول سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾[٤].

وقوله: ﴿ فأولئك هم الفاسقون﴾[٥].

وقد اختلف العلماء بالمقصود بالكفر هنا، ومن هم المخاطبون بهذه الآيات[٦] ولمن شرعها الله تعالى يقول إن هناك وعيداً شديداً لمن لم يحكم شرع الله تعالى.

يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز: إذا علم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل. وهو كفر وظلم وفسق. ثم ساق الآيات الثلاث ....»[٧].

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢٩).

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٨, ٢٧٩).

(٣) سورة المائدة آية (٤٤).

(٤) سورة المائدة آية (٤٥).

(٥) سورة المائدة آية (٤٧).

(٦) سوف نورد أقوال العلماء في حكم من لم يحكم شريعة الله في آخر هذا المبحث إن شاء الله.

(٧) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه. ص ٩ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ١٤٠٩ هـ.

جهود الصليبيين في إبعاد المسلمين عن الشريعة

لما أن عرف الصليبيون قيمة التشريع الإلهي عند المسلمين وحاولوا إبعادهم عنه بالسلاح الحسي ولم يفلحوا في ذلك، بل خسروا أرواحًا وأموالاً. وإذا ما انتصروا مرة هزموا مرات، عند ذلك فكروا بطريق آخر يبعد المسلمين عن المنهج الإلهي ويوقعهم في المنهج البشري. ومن ثم يصبحون لقمة سائغة لهم، لأنهم يعرفون أن المسلمين طالما أنهم متمسكون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإنهم لن يغلبوا. وقد صرح زعماؤهم بذلك.

يقول (غلادستون) أحد رؤساء الوزارة البريطانية سابقًا: « ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان »[١].

ويقول لورنس براون: «إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار البريطاني»[٢].

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا الصليبية للجزائر: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون هذا القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»[٣].

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق. محمد أسد ص ٤١. مطبعة دار العلم للملايين.

(٢) التبشير والاستعمار عمر فروخ ص ١٨٤ طبع المكتبة العصرية بيروت.

(٣) راجع تفصيل أقوال أعداء الإسلام في كتاب قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله. جلال العالم.

وفعلاً سعوا إلى تحقيق هذا الهدف حتى حققوه، فما سنحت لهم الفرصة إلا وآستغلوها ففي الحرب العالمية الأولى أثاروا العرب ضد الدولة العثمانية وأغروهم وأغرقوهم بالوعود، بينما كان العرب يحلمون بتكوين دولة عربية إسلامية قوية كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا يقتسمون فيما بينهم تركة الرجل المريض تركيا والبلاد التابعة لها. وتم ذلك في ١٨ مارس ١٩١٥م، بالاتفاقية المعروفة باتفاقية «سايكس بيكو» وعندما خرجت تركيا مهزومة من الحرب دارت مفاوضات طويلة بينها وبين بريطانيا، وفي مؤتمر لوزان وضع رئيس الوفد الإنكليزي «كرزون» أربعة شروط للاعتراف بتركيا:

١- إلغاء الخلافة إلغاء تامًا.

٢- طرد الخليفة خارج الحدود.

٣- مصادرة أمواله.

٤- إعلان عِلْمَانية الدولة.

وعلق نجاح المؤتمر على تحقيق هذه الشروط، وقد طبق حكام تركيا هذه الشروط بأمانة.

ولم تنسحب بريطانيا من تركيا حتى تحققت تلك الشروط، وعندما احتجت المعارضة في مجلس العموم البريطاني على «كرزون» لاعترافه بتركيا أجاب: «إن القضية التركية قد قضي عليها، ولن تقوم لها قائمة؛ لأننا قضينا على القوة المعنوية وهي الخلافة الإسلامية»[1].

---

(١) انظر تاريخ الدول العثمانية. على حصون ص ٢٨٧. المكتب الإسلامي دمشق. =

خطوات الصليبيين في استبدال الشرع بالقانون:

عندما حاول أعداء الإسلام إحلال القوانين الوضعية مكان الأحكام الشرعية، فإنهم لم يقولوا للمسلمين مرة واحدة ألغوا الأحكام الشرعية وضعوا بدلاً منها القوانين، وإنما سلكوا في هذا الأمر الخطير خطوة خطوة حتى تحقق لهم ما أرادوا.

فأولاً: زعم الكفار أن الشريعة تناقض الحضارة المدنية:

فلقد نادى الصليبيون ومن تربى على أيديهم من أبناء المسلمين إلى ترك الشريعة بحجة أن الشريعة لا تصلح لعصر العلم والحضارة، ولا بد من اللحاق بالحضارة الغربية حتى تنهضوا كما نهضوا ...[1].

يقول «هور غورنيه»: ينبغي أن نفهم المسلم أنه لا يقدر أن يعيش معيشة عصرية راقية وهو متمسك بشريعته، وأن شريعة الإسلام لا تتسع لقبول المدنية الحاضرة[2].

هذا ما يقوله أعداؤنا ولكن مقولة من ينتسب إلى جلدتنا ويتكلم بألسنتنا أشد من عدونا.

يقول جميل معلوف: «إن خلاص الشرق يتوقف على تفرنج الشرقي بمعنى الكلمة. ويقول أيضًا: إذا خيرت بين التعصب وبين الكفر، فإنني

= والخطر المحيط بالإسلام للجنرال التركى المسلم جواد رفعت. مطبعة الجاحظ بغداد ١٩٦٥م.

(١) انظر الاتجاهات الوطنية. محمد محمد حسين ١/ ٢٦٠. طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ.

(٢) حاضر العالم الإسلامى. لو ثروب. تعليق شكيب أرسلان.

أختار لبني وطني الكفر على الإيمان؛ لأن الكفر يوحد صفوف الأمة وعقيدتها»[١].

ويقول سلامة موسى في كتابه (اليوم والغد): «يجب علينا أن نخرج من آسيا ونلتحق بأوربا، فإنه كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي به وشعوري بأنه غريب عني، وكلما ازدادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها. وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها هذا هو مذهبي الذي أعمل به طول حياتي سرًا وجهرة فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب»[٢].

ولا شك أن هذه المقولة توحي بالهزيمة النفسية وانسلاخ صاحبها من الدين والدخول في عبادة الكفار وبلادهم، ومثل أولئك يعتبرون من أشد أعداء الإسلام وأمثالهم من اليهود والنصارى.

ومن كانت هذه مقالته ومكانته فكيف يرجى منه نفع مهما زعم وادعي. نسأل الله العافية والثبات.

ثانيًا: خداعهم للمسلمين:

سلك أعداء الإسلام وأذنابهم مسلك النفاق والدجل والخداع في تمرير القوانين الوضعية والحكم بها، فتراهم يدعون إلى تحكيم هذه القوانين ودراستها في الكليات والمعاهد العربية والإسلامية ولكنهم يغلّفون دعوتهم بغلاف جميل براق[٣].

---

(١) مؤامرة فصل الدين عن الدولة. محمد كاظم حبيب ص ٦٩ الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية محمد محمد حسين ٢/ ٢٢١.

(٣) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية د. عمر الأشقر ص ١١٠.

فهم يستفيدون أمرين:

أولهما: دراسة هذه القوانين للاقتناع بها وتطبيقها.

وثانيهما: غزوهم بوساطتها.

ومن ألوان الخداع ما يلي:

١- زعمهم أن الله أعطى الأمة أن تضع القوانين التي تشاء ولو خالفت حكمه.

٢- ادعاؤهم أن القوانين الوضعية لا تخالف الشريعة الإسلامية.

٣- مطالبتهم بالتوفيق بين شريعة الخالق وقوانين البشر ويستدلون على ذلك بأدلتهم التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ثالثًا: إيجاد علماء بالقوانين الوضعية:

كانت الدولة الكافرة ولا زالت تبذل جهدها لإيجاد فئة ترضى بالقوانين الوضعية. ثم تتعلم هذه القوانين ثم تقوم بتعليمها من جانب، وبالقضاء بها في المحاكم من جانب آخر.

وهذا كله يحتاج إلى إيفاد متعلمين إلى الدول الصليبية في بداية الأمر لدراسة القانون، ثم إلى إقامة المدارس والجامعات التي تقوم على تدريس هذه القوانين من جانب آخر. وقد حدث هذا في مصر حيث أرسل واليها في سنة ١٨٢٨م وفدًا من الطلاب إلى فرنسا لدراسة القانون وعادوا في سنة ١٨٣١م بعد أن درسوا القانون الطبيعي والقانون الدولي والقانون العام والاقتصاد السياسي . . . وفي عام ١٨٣٦م أنشئت مدرسة الألسن التي خصص جزء من مناهجها لدراسة القانون. وقد استمرت مصر في

إيفاد البعثات إلى أوربا لدراسة القانون حتى أنشئت مدرسة الحقوق والإدارة في عام ١٨٨٢م، وفي عام ١٨٨٦م حملت اسم مدرسة الحقوق وكان مديرها ومدرسوها من الفرنسيين»[١].

ولا شك أن هذه الكلية أصبح لها الأثر السلبي على المجتمع المسلم خيث أصبح يُضْرَبُ بخنجر من خناجره.

يقول سيد عبد الله: «لما كانت هذه القوانين دخيلة على أخلاقنا وعاداتنا وقواعد ديننا، لا سند لها في وجودها في بلادنا، وكان من أحدثوها يريدون لها الدوام والدفاع عنها فتم لهم ذلك. ولكي يقبل الناس عليها حرصوا كل الحرص على تقليد خريجيها مناصب القضاء والنيابة، بل والمناصب الرئيسية في الدولة. فسار هذا الحال على هذا المنوال ليومنا هذا. فنسي الناس بل والمتخرجون من جامعة الحقوق قوانين بلادهم، وظنوا أن الدين الإسلامي للصلاة والزكاة والحج . . .»[٢].

هذا بالنسبة للبلدان التي استطاعوا أن يضعوا فيها مدارس حقوق، وأما البلدان الأخرى فكثفوا الابتعاث منها وربوا أناسًا من جلدتنا يقومون بالمهمات التي يرغبونها، بل وأكثر من ذلك هذه بعض الخطوات التي استخدمها الصليبيون في وضع القانون مكان الشرع. وهناك خطوات أخرى نوردها على سبيل الإجمال:

---

(١) انظر مقدمة المناهج. أنور الجندى ص ٥٩، ٦٠ دار الاعتصام القاهرة.

(٢) المقارنات التشريعية. سيد عبدالله على. طبعة دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ. القاهرة.

- إسناد المناصب المهمة إلى من تربى على أيدي الصليبيين.

- تدخل الصليبيين في كثير من شؤون الديار الإسلامية.

- إضعاف سلطان المحاكم الشرعية.

إلى غير ذلك من الوسائل التي حققوا من خلالها أهدافهم.



أقوال العلماء فيمن حكَّمَ القوانين الوضعية

إن الحكم بالقوانين الوضعية وترك شرع الله تعالى يعتبر خروجًا من الإسلام.

ونحن نورد في هذا المبحث أقوال العلماء في ذلك لكي يعرف من يطبق القوانين على شعبه أو يزمع على تطبيقها موقعَه من الإسلام.

أولاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

« ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين النّاس بما يراه عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسواليف البادية، وكانوا الأمراء المطاعين، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي أن يحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلاّ بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون.

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لايجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار»[1].

وقال: «ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله، لا بين المسلمين، ولا الكفار ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولاغير ذلك إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله

---

(١) منهاج السنة ص ٤١٢، ٤١٣.

تعالى: ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون**﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا**﴾[٢].

فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله فيما شجر بينهم، ومن تحكم بحكم البندق وشرع البندق، أو غيره مما يخالف شرع الله وشرع رسوله، وحكم الله وحكم رسوله وهو يعلم ذلك، فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم «الياسق»[أ] على حكم الله وحكم رسوله، ومن تعمد ذلك فقد قدح في عدالته ودينه»[٣].

وقد سئل رحمه الله تعالى عن قتال التتار مع تمسكهم بالشهادتين ودعواهم أنهم يتبعون أصل الإسلام، فقال: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء وغيرهم، فإنه يجب قتالهم، حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائع الإسلام، كما قاتل أبو بكر والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة . . .»[٤].

وبين رحمه الله تعالى: « أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠). (٢) سورة النساء آية (٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٥/٤٠٨.

(٤) الكلمات النافعة فى المكفرات الواقعة انظر الجامع الفريد ص ٣٠٥.

(أ) انظر التعريف به ص «١٣٧، ١٣٨» من هذا المجلد في البحث.

شرائعه ليس بمسقط للقتال، فالقتال واجب حتى يكون الدين لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب»[1].

ثم بين رحمه الله وأجزل له المثوبة: «أن كل طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج، أو امتنعت عن التزام تحريم الدماء والأموال أو الخمر أو الزنا أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم، أو امتنعت عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لاعذر لأحد في جحودها أو تركها والتي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء . . .»[2].

ثم بين رحمه الله تعالى أن هؤلاء الممتنعين من هذه الواجبات ليسوا بغاة، وإنما هم كفرة خارجون عن الإسلام وشتان ما بين الأمرين، قال رحمه الله تعالى: « وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام أو الخارجين عن طاعته، كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين، أو خارجون عليه لإزالة ولايته، أما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٨/٤٦٨.

ثانيًا: قول العلامة ابن القيم:

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكَّمَ الطاغوت وتحاكم إليه»[1] ويعرف رحمه الله الطاغوتَ فيقول: «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[2]. وَعَدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رؤوس الطواغيت فكانت خمسة [3] نذكر منها ما يتعلق بموضوعنا:

١- الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، واستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾[4].

٢- الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى:

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[5].

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الجامع الفريد ص ٢٧١.

(٤) سورة النساء آية (٦٠).

(٥) سورة المائدة آية (٤٤).

ثالثًا: قول العلامة ابن كثير:

بعد أن ذكر رحمه الله تعالى نتفًا من الياسق التي يحكم بها التتار قال:

«وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؛ من فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين»[1].

فهو يقرر أن التحاكم إلى الشرائع السماوية المنسوخة كاليهودية كفر، فتكفير الذين يتحاكمون إلى غيرها من الشرائع من باب أولى. ثم يقرر أن أمثال هؤلاء يكفرون بإجماع المسلمين.

ويقول رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:

﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[2].

يقول:

«ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من

---

(١) البداية والنهاية ١٣/١١٩.

(٢) سورة المائدة آية (٥٠).

أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متَّبعًا يقدمونه على الحكم بالكتاب وسنة رسول الله ﷺ[1].

رابعًا: قول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى:

بَيَّنَ رحمه الله تعالى أنواع التوحيد، وبين أن الشرك مضاد للتوحيد، ثم قسم الشرك إلى ثلاثة أقسام: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

وبين رحمه الله تعالى أن الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه في يوم القيامة، ثم قسمه إلى أربعة أنواع، وجعل أحد هذه الأنواع الأربعة: شرك الطاعة، واستدل على ذلك بقوله تعالى:

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[2].

ثم قال: «وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية»[3].

خامسًا: قول العلامة الشيخ أحمد شاكر:

بَيَّنَ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى أن القوانين الوضعية تعتبر تشريعًا جديدًا ودينًا جديدًا[4] ثم قال: «وصار هذا الدين الجديد هو القواعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٠ تفسير الآية رقم (٥٠) من سورة المائدة.

(٢) سورة التوبة آية (٣١). (٣) الجامع الفريد ص ٣٤٧.

(٤) نقلنا هذا عنه فيما سبق.

الأساسية التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام ويحكمون بها، سواء منها ما وافق في بعض أحكامه شيئًا من أحكام الشريعة وما خالفها، وكله باطل وخروج؛ لأن ما وافق الشريعة إنما وافقها مصادفة، لا اتباعًا لها، ولا طاعة لأمر الله وأمر رسوله، فالموافق والمخالف كلاهما مرتكس في حمأة الضلالة، يقود صاحبه إلى النار، لا يجوز لمسلم أن يخضع له أو يرضى به»[1].

فهو يقرر أن هذه الشرائع كلها باطلة، وهي خروج على الدين الإسلامي، ولا عبرة بما جاء فيها موافقًا لأحكام الشريعه الإسلامية لأن هذه الموافقات جاءت مصادفة، والتشريع الإسلامي يؤخذ من حيث كونه منزلاً من عند الله دون سواه.

ويقول في مكان آخر: «إن الأمر في هذه القوانين الوضعبة واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح، لاخفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام ـ كائنا من كان ـ في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرىء حسيب نفسه»[2].

وقال في موضع آخر: «ما احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال، والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، وإصدار قانون ملزم لأهل الإسلام بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فهذا الفعل إعراض عن حكم الله، ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله تعالى.

---

(١) عمدة التفسير ٢/ ٢١٥.

(٢) عمدة التفسير ٢/ ١٧٢-١٧٤.

وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة، على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه»[1].

ثم بين الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى -: «أن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس في رابعة النهار فهي كفر بواح...» قال: «لا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين ولا مقصرين»[2].

لقد قال رحمه الله كلمة الحق غير هياب ولاوجل: «سيقول عني عبيد هذا «الياسق العصري» وناصروه: إني جامد، وإني رجعي، وما إلى ذلك من الأقاويل، ألا فليقولوا ما شاؤوا، فما عبئت يومًا ما بما يقال عني، ولكني قلت ما يجب أن أقول»[3].

فهو يرى رحمه الله تعالى أنه يجب على العلماء إظهار هذه الحقيقة وبذلك يقومون بمهمة البلاغ التي كلفهم الله تعالى بها، فينجون أمام الله تعالى، ومن ثم يتبين الأمر لعامة الناس، فيأخذ الناس الأمر بجد، ولا يتهاونون في مواجهة هذا الباطل، ويهربون من الكفر الذي يراد لهم أن يدخلوا فيه، وقد حرم رحمه الله تعالى تعلم هذا الباطل، كما حرم على العلماء ولاية القضاء في مثل هذه المحاكم التي تطبق شريعة البشر، قال رحمه الله تعالى: «أفيجوز لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد،

---

(١) انظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير ابن جرير الطبرى تفسير سورة المائدة آية (٤٤). ٢/٣٤٨.

(٢) عمدة التفسير ٢/١٧٢ - ١٧٤.

(٣) المصدر السابق.

أعني التشريع الجديد! أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا واعتناقه، واعتقاده والعمل به، عالمًا كان الأب أو جاهلاً؟! أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا «الياسق العصري» وأن يعمل به، ويعرض عن شريعته ألبتة؟! ما أظن أن رجلاً مسلمًا يعرف دينه، ويؤمن به جملة وتفصيلاً، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتابًا محكمًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال ـ ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول، بأن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة بطلانًا أصليًا، لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة»[١].

سادسًا: قول الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي الديار السعودية رحمه الله:

إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل:

﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٢].

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يحكِّموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم، نفيًا مؤكدًا بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة النساء آية (٥٩).

﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾[1].

ولم يكتف - تعالى وتقدس - منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه:

﴿ **ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت** ﴾[2].

والحرج: الضيق. بل لا بد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضًا هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ، بحيث يتخلون ههنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم، ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد، وهو قوله جل شأنه ﴿**تسليمًا**﴾ المبين أنه لا يكتفي ههنا بالتسليم .. بل لابد من التسليم المطلق.

وتأمل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى:

﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾[3].

كيف ذكر النكرة وهي قوله: ﴿**شيء**﴾ في سياق الشرط وهو قوله جل شأنه:

---

(١) سورة النساء آية (٦٥).

(٢) سورة النساء آية (٦٥).

(٣) سورة النساء آية (٥٩).

﴿فإن تنازعتم﴾ المفيد العموم، فيما يتصور التنازع فيه جنسًا وقدرًا. تأمل كيف جعل ذلك شرطًا في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر، بقوله:

﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[1].

ثم قال جل شأنه:

﴿ذلك خير﴾[2].

فشيء يطلق الله عليه أنه خير، لا يتطرق إليه شر أبدًا، بل هو خير محض عاجلاً وآجلاً..

ثم قال:

﴿وأحسن تأويلاً﴾[3].

أي: عاقبة في الدنيا والآخرة، فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شر محض وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة.

عكس ما يقوله المنافقون:

﴿إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا﴾[4].

وقولهم:

﴿إنما نحن مصلحون﴾[5].

---

(١) سورة النساء آية (٥٩).

(٢) سورة النساء آية (٥٩).

(٣) سورة النساء آية (٥٩).

(٤) سورة النساء آية (٦٢).

(٥) سورة البقرة آية (١١).

ولهذا رد الله عليهم قائلاً:

﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[1].

وعكس ما عليه القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم (بل ضرورتهم) إلى التحاكم إليه وهذا سوء ظن صرف بما جاء به الرسول ﷺ، ومحض استنقاص لبيان الله ورسوله، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازم لهم.

وتأمل أيضًا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى:

﴿ فيما شجر بينهم ﴾[2].

فإن اسم الموصول مع صلته من صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وذلك العموم والشمول هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القدر، فلا فرق هنا بين نوع ونوع، كما أنه لافرق بين القليل والكثير، وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين، كما قال تعالى:

﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية (١٢).

(٢) سورة النساء آية (٦٥).

(٣) سورة النساء آية (٦٠).

فإن قوله عز وجل ﴿ يزعمون﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبيﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحد فكل من حكم بغير ما جاء به الرسولﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبيﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه. وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكمًا بما جاء به النبيﷺ فقط لا بخلافه، كما أن من حق كل أحد أن يحاكم إلى ما جاء به النبيﷺ فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حده، حكمًا أو تحكيمًا، فصار بذلك طاغوتًا لتجاوزه حده.

وتأمل قوله عز وجل:

﴿ وقد أمروا أن يكفروا به ﴾[1].

تعرف منه معاندة القوانين، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعًا والذي تعبدوا به هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه:

﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾[2].

ثم تأمل قوله:

﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ﴾[3].

---

(١) سورة النساء آية (٦٠).

(٢) سورة البقرة آية (٥٩).

(٣) سورة النساء آية (٦٠).

كيف دل على أن ذلك ضلال، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدي، كما دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان، عكس ما يتصور القانونيون من بعدهم من الشيطان، وأن فيه مصلحة الإنسان، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن، وما بعث به سيد ولد عدنان معزولاً من هذا الوصف، ومنحى عن هذا الشأن. وقد قال تعالى منكرًا على هذا الضرب من الناس، ومقررًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحًا أنه لا حكم أحسن من حكمه:

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[1].

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية. الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية، شاؤوا أم أبوا، بل هم أسوأ منهم حالاً، وأكذب منهم مقالاً، ذلك أن أهل الجاهلية لا تناقض لديهم حول هذا الصدد.

وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، ويناقضون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء:

﴿أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا﴾[2].

ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم، ونحاتة أفكارهم، بقوله عز وجل:

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠).

(٢) سورة النساء آية (١٥١).

﴿ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرهذه الآية: «ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم «جنكيز خان» الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها.

وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى:

﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾[2].

أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون.

﴿ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[3].

أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها،

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠).

(٢) سورة المائدة آية (٥٠).

(٣) سورة المائدة آية (٥٠).

فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء، العادل في كل شيء».

وقد قال عز شأنه قبل ذلك مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**﴾(١).

وقال تعالى:

﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾(٢).

وقال تعالى مخيرًا نبيه محمدًا ﷺ بين الحكم بين اليهود والإعراض عنهم إن جاؤوه لذلك:

﴿ **فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين**﴾(٣).

والقسط هو: العدل. ولا عدل حقًا إلا حكم الله ورسوله، والحكم بخلافه هو الجور والظلم والضلال والكفر والفسوق، ولهذا قال تعالى بعد ذلك:

﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾(٤).

﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾(٥).

---

(١) سورة المائدة آية (٤٨).

(٢) سورة المائدة آية (٤٩).

(٣) سورة المائدة آية (٤٢).

(٤) سورة المائدة آية (٤٤).

(٥) سورة المائدة آية (٤٥).

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[١].

فانظر كيف سجل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا، بل هو كافر مطلقًا، إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة»[٢].

سابعًا: قول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي:

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أحد العلماء القلائل في عصرنا الذين بلغوا في العلم مراتب عالية، يشهد له بذلك كل من عاشره من علماء هذا العصر، وقد ساق ـ رحمه الله وغفر له ـ النصوص القرآنية الدالة على أن الحكم لله وحده، وأنه لا حكم لغيره ألبتة، ثم قال: «ويفهم من هذه الآيات كقوله:

﴿ولا يشرك في حكمه أحدًا﴾[٣].

أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله تعالى أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبينًا في آيات أخر، كقوله فيمن اتبع الشيطان في إباحة

---

(١) سورة المائدة آية (٤٧).

(٢) انظر رسالة تحكيم القوانين. الشيخ محمد بن إبراهيم الشيخ من ص ٢ إلى ٥. ولمزيد من الإيضاح انظر إلى ص ٨ من الرسالة نفسها. الطبعة الثالثة ذو القعدة ١٤١١هـ.

(٣) سورة الكهف آية (٢٦).

الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله:

﴿ ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[1].

فصرح أنهم مشركون بطاعته، وهذا الإشراك في الطاعة، واتباع التشريع المخالف لما شرع الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى:

﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[2].

وقوله عن إبراهيم:

﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا ﴾[4].

أي ما يعبدون إلا الشيطان، أي وذلك باتباع شريعته، ولذا سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء في قوله تعالى:

﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢١).

(٢) سورة يس آية (٦٠).

(٣) سورة مريم آية (٤٤).

(٤) سورة النساء آية (١١٧).

(٥) سورة الأنعام آية (١٣٧).

مقالـة أخـرى للشيخ الشنقيطي

بعد أن ساق رحمه الله تعالى النصوص الدالة على أن تحكيم القوانين الوضعية شرك قال: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله - جَلَّ وعلا - على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم، إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم»[1].

وفرق رحمه الله تعالى بين النظام الإداري والشرعي، وبَيَّن أن النظام الإداري لا مانع منه، أما النظام المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان، ونحو ذلك.

فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم ـ كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً.

﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾[2] [3].

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٩٢.

(٢) سورة الشورى آية (٢١).

(٣) أضواء البيان ٤/ ٩٣.

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾[(١)].

كان من جملة ما بينه في هذه المسألة، فقال: « ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ــ بيانه أن كل من اتبع تشريعًا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح، مخرج عن الملة الإسلامية»[(٢)].

ويتعجب الشيخ ممن يدعي الإسلام وهو يحكم هذه التشريعات قال: «والعجب ممن يحكم غير تشريع الله، ثم يدعي الإسلام، كما قال تعالى:

﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا ﴾[(٣)].

وقال:

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[(٤)].

وقال: ﴿ أفغير الله أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾[(٥)] [(٦)]

---

(١) سورة الإسراء آية (٩).

(٢) أضواء البيان ٣/ ٤٣٩.

(٣) سورة النساء آية (٦٠).

(٤) سورة المائدة آية [٤٤].

(٥) سورة الأنعام آية (١١٤).

(٦) أضواء البيان ٣/ ٤٤٠.

ثامنًا: قول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز:

بعد أن ذكر الأدلة والكلام عليها قال ـ حفظه الله ـ:

ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم، أن تحكيم شرع الله، والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله، والشهادة بالرسالة لنبيه محمد ﷺ، وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله، أو تماثلها وتشابهها، أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية، والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدًا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل . . . فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم وأهل الحل والعقد فيهم أن يتقوا الله عز وجل، ويحكِّموا شريعته في بلدانهم، ويقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن يعتبروا بما حل في البلدان التي أعرضت عن حكم الله، وسارت في ركاب من قلد الغربيين واتبع طريقتهم، من الاختلاف والتفرق وضروب الفتن وقلة الخيرات، وكون بعضهم يقتل بعضًا، ولا يزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم، ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسيًا وفكريًا؛ إلا إذا عادوا إلى الله سبحانه، وسلكوا سبيله المستقيم الذي رضيه لعباده، وأمرهم به، ووعدهم به جنات النعيم، وصدق

سبحانه إذ يقول:

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾.

ولا أعظم من الضنك الذي عاقب الله به من عصاه ولم يستجب لأوامره، فاستبدل أحكام المخلوق الضعيف بأحكام الله رب العالمين، وما أسفه رأي من لديه كلام الله تعالى لينطق بالحق ويفصل في الأمور ويبين الطريق ويهدي الضال، ثم ينبذه ليأخذ بدلاً منه أقوال رجل من الناس، أو نظام دولة من الدول؛ ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة، فلم يحصِّلوا الفلاح والسعادة في الدنيا، ولم يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة[1].

تاسعًا: قول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود:-

يقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر: «أما محاكم القوانين الوضعية فإنها من البلاء المبين على الناس أجمعين؛ لأنها محض آراء قوم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الزنا والربا والقمار وشرب الخمر، ولا يدينون دين الحق، وهي مبنية على عزل الدين عن الدولة، وعلى كون الرضى شريعة المتعاقدين .... فهي تبيح للناس ما حرم الله عليهم من أكل الربا أضعافًا مضاعفة، وكما تبيح الزنا الواقع بالتراضي إذا

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ماخالفه. عبدالعزيز بن باز ص ١٦ إلى ١٨. طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ.

لم يطالب زوجها أو أحد أقاربها بمنعها . . . »[1] .

وبعد ذكر أقوال العلماء المنبثقة من نصوص الشرع تبين لنا أن تطبيق القوانين من أكبر المنكرات التي يجب محاربتها؛ لأن فيها منازعة لله تعالى في حاكميته كما هو واضح من النصوص القرآنية الصريحة في ذلك. فيجب على المسلمين عمومًا والعلماء خصوصًا أن يهبُّوا لإزالة هذا المنكر ولا يرضوا بتلك القوانين قليلها وكثيرها مما يخالف شرع الله.

كيفية إنكار هذا المنكر:

١- رفض من أسند إليه تنفيذ أي شيء من القوانين المخالفة للشرع؛ لأن من نفذها ولو كان لم يقتنع بها على خطر عظيم في دينه.

٢- الكتابة إلى ولاة الأمور والاتصال بهم ومطالبتهم ـ عند إزماعهم أو تطبيقهم لشيء من هذه القوانين يخالف الشرع ـ بإيقاف العمل بها وعدم تطبيقها والاكتفاء بالشريعة الغرّاء الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان.

٣- تخويف الناس عامتهم وخاصتهم عند قبولهم ورضاهم بالقوانين من العقوبة العاجلة والآجلة.

والله المستعان.

---

(١) الأحكام الشرعية للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود: ص ١٠ مطابع قطر الوطنية.

ثانياً: الولاء والبراء

- تعريف الولاء في اللغة:

قال ابن منظور: ولي. في أسماء الله تعالى: الولي هو الناصر وقيل المتولي لأمور الخلائق القائم بها. والولاية بمعنى النصرة.

ونقل عن ابن الأعرابي: الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلانًا: إذا أحبه.

والولي الصديق والنصير. والموالاة ضد المعاداة والولي ضد العدو.

وقوله عز وجل: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا** ﴾[١].

قال أبو إسحاق: الله وليهم في حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم، ووليهم أيضًا في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على مخالفيهم[٢].

وجاء في القاموس المحيط: الولي: القرب والدنو. والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير ... وتولاه: اتخذه وليًا[٣].

وقال الجوهري: الولي: ضد العدو يقال منه: تولاه. والمولى: المعتق، والمعتَق، وابن العم والناصر والجار.

والمولى: الحليف.

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٥٧).

(٢) انظر لسان العرب جـ ٨ ٤٩٢٠ إلى ٤٩٢٣.

(٣) الفيروزابادى جـ ٤ ص ٤٠١.

والولاية: النصرة. يقال هم عليّ ولاية أي مجمعون في النصرة[1].

وأما الولاء في الاصطلاح: فهو يعني النصرة والمحبة والإكرام والتقدير والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا.

قال الله تعالى: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**[2]﴾[3].

تعريف البراء في اللغة:

قال ابن منظور: قال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **براءة من الله ورسوله**﴾[4] أي إعذارًا وإنذارًا[5].

وقال القرطبي في قوله تعالى: «براءة» تقول: برئت من الشيء أبرأ براءة فأنا منه بريء إذا أزلته عن نفسك، وقطعت سبب ما بينك وبينه[6].

---

(١) انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية جـ٦ ص ٢٥٢٩.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية (٢٥٧).

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ١٤٥.

وانظر الولاء والبراء في الإسلام. محمد القحطاني. ص ٩٠.

(٤) سورة التوبة جزء من الآية (١).

(٥) انظر لسان العرب ابن منظور جـ ١ ص ٢٤١.

وانظر القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزابادى جـ١ ص ٨.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبى م٤ جـ٨ ص ٦٣.

تعريف البراء في الاصطلاح:

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار[1].

ولقد عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كلا من الولاء والبراء بقوله: «الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. والولي: القريب. يقال: هذا يلي هذا: أي يقرب منه قوله ﷺ: «أحلقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولي رجل ذكر»[2].

أي لأقرب رجل إلى الميت. فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معاديًا له كما قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾[3].

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث: «**من عادى لي وليًا فقد بارزني المحارب**»[4] [5].

---

(١) انظر الولاء والبراء فى الإسلام. محمد القحطانى ص ٢,٩٠

(٢) رواه البخارى فى الجامع الصحيح. كتاب الفرائض. باب ميراث الولد من أبيه وأمه جـ٢ ص ٢٣٧ حديث ٦٧٣٢.

(٣) سورة الممتحنة جزء من الآية (١).

(٤) الحديث رواه البخارى في الجامع الصحيح. ونصه «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..**» كتاب الرقاق. باب التواضع جـ٤ ص ١٩٢ حديث ٦٥٠٢.

(٥) الفرقان. لابن تيمية ص ٧. المكتب الإسلامى الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

حقيقة العلاقة بين المؤمنين والكافرين:

إن العداوة بين المؤمنين والكافرين قديمة وستظل كذلك ولن تتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال طالما أن هناك إسلامًا وكفرًا.

ومهما أظهر الكافر للمؤمن من محبة وإخلاص ونصح فإن هذا مصطنع يفعله في الظاهر لأسباب نفعية وأما حقيقة ما يدور في داخلهم فالعداوة المتأصلة؛ لأن الذي أخبر بذلك رب هذه القلوب الذي لا تخفى عليه خافية، ويتساوى لديه علم الظاهر والباطن ــ سبحانه وتعالى ــ.

ومع الأسف أن بعض الناس بشكل عام والساسة بشكل خاص ينخدعون بكلام ومواعيد وعهود الكفار. فإذا ما أظهر لهم النصح والإخلاص والمودة صدقوه في ذلك، واعتبروا كلامهم حقيقة لا شك فيها ولا مرية.

وما يعلمون أنهم بذلك ينسون كلام رب العالمين الذي خلق ويعلم مايدور في نفوسهم وأخبر عباده المؤمنين بعداوة الكافرين.

فيا سبحان الله كيف يصل الأمر بالمسلم إلى هذه الدرجة. أمامه نصوص قرآنية واضحة في معناها ــ كالشمس في رابعة النهار ــ تبين عداوة الكافرين لله ولرسوله وللمؤمنين. ثم يتناساها ويأخذ بتأويلها لوجود هوى في النفوس.

وسوف نذكر بعض النصوص القرآنية التي تبين ما يدور في نفوسهم من العدواة المتأصلة التي لا يستطيعون أن يتخلصوا منها أو ينفكوا عنها. وأنهم إن جاملوا في ظاهرهم في يوم من الأيام وجدت العداوة من خلال أفعالهم الأخرى في الوقت نفسه أو قبله أو بعده. يقول تعالى:

- ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾[1].

فهذه الآية تبين أمنيتهم الحقيقية بعد ظهور الحق لهم فلا يجادل في تلك الحقيقة إلا رجل أعمى الله بصيرته.

- وقال تعالى: ﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمّة﴾[2].

- وقال تعالى: ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾[3].

- ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[4].

- وقال تعالى: ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ﴾[5] الآية.

- ويقول تعالى حكاية عنهم: ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لظنك من الكاذبين ﴾[6].

- ويقول تعالى: ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٩). (٢) سورة التوبة جزء الآية (٨). (٣) سورة الصف آية (٨).

(٤) سورة البقرة جزء من الآية (١٢٠). (٥) سورة البقرة جزء من الآية (٢١٢).

(٦) سورة الأعراف آية (٦٦). (٧) سورة المطففين من (٢٩) إلى (٣٢).

فهؤلاء الكفره ما بين مستهزئين وما بين زاعمين أن غيرهم في ضلال مبين.

ويقول تعالى: **﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾**[1].

يقول الشوكاني حول هذه الآية:

فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون إنزال الخير عليهم من الله سبحانه وتعالى[2]، وإذا كانوا لا يتمنون الخير للمسلمين فهم يتمنون لهم ـ المسلمين ـ خلاف ذلك وهو الشر. كما قال تعالى:

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾[3].

فهم يتمنون أن يضل المسلمون الطريق المستقيم. ومثل ذلك قوله تعالى: **﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم وليًا ولا نصيرًا ﴾**[4].

فتأمل كيف بدأ هذه الآية وكيف ختمها، بدأها بما يدور داخل نفوسهم وهو تمني الكفر للمسلمين، وختمها بالتحذير منهم وعدم اتخاذهم أولياء وعدم الاستعانة بهم.

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية (١٠٥).

(٢) فتح القدير الشوكانى جـ ١ ص ١٢٥ دار المعرفة بيروت.

(٣) سورة النساء آية (٤٤).

(٤) سورة النساء آية (٨٩).

فهذه النصوص القرآنية صريحة في معناها وواضحة في مدلولها، فهي تبين أفعال الكافرين، وأمانيهم وما يدور في داخل نفوسهم من الحقد والحسد وتمني زوال الخير عن المسلمين وتمني وقوع الكفر والشر منهم.

فكيف يجوز أن نتخطى أو نتعدى تلك النصوص أو نؤولها؟! إلا إذا كان أهل كتاب الأمس غير أهل كتاب اليوم وكفار الأمس غير كفار اليوم!! هذا أمر يحتاج إلى النظر ولكننا نقطع أن أهل كتاب اليوم وكفار اليوم هم امتداد لمن سبقهم، بل إننا نقطع أنهم أشد وأفظع وأقبح ممن سبقهم وكل تاريخهم أسود على مر العصور والدهور.

فيجب على المسلمين أن يجعلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصب أعينهم ويسيروا حسب ما فيهما من الأوامر والنواهي. وليرض من يرضى وليسخط من يسخط. والله المستعان.

صور من المخالفات في الولاء والبراء:

١ - الوقوف في وجـه الدعـوة:

إن الإسلام يأمر بالتحرك ونشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الأرض، وحتى يكون الدين كله لله. ومن وقف في وجه الإسلام ورفض امتداده فيجب أن يتخذ معه إجراء مناسب مع موقفه ذلك.

إن من حق الدين الإسلامي أن يتحرك ابتداء في كل اتجاه، وأن ينساح في الأرض متى وجد إلى ذلك سبيلاً، فهذا الدين ليس رسالة خاصة بالعرب، بل إنه دين للإنسان أينما وجد في المكان والزمان. فالله عز وجل ليس ربًا للعرب وحدهم، ولا حتى لمن يعتنقون الإسلام وحدهم بل هو

﴿رب العالمين﴾[1] وهذا الدين أراد الله به أن يرد العالمين إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغير الله.

إن الإسلام ليس مجرد عقيدة حتى يقنع الناس بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان؛ إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل جميع الأنظمة الطاغية والتجمعات الكافرة بوصفها من معوقات إبلاغ الدعوة للناس، وليحرر بإزالتها الأفراد من التأثيرات الفاسدة التي تقيد حرية الاختيار لدى الأفراد، وتحجب عنهم رؤية النور الإلهي، وإلا فإن الله عز وجل قد قرر مبدأ ﴿لا إكراه في الدين﴾[2] أي لا إكراه على اعتناق العقيدة ولكن متى يكون ذلك؟ يكون ذلك إذا خرج العباد من سلطان العبيد إلى سلطان الله. وإذا خرجوا من ظلم المناهج الكافرة إلى عدالة الإسلام، وإذا استقى الناس من نبع الإسلام الصافي بدلاً من كدر الجاهلية، وبعبارة أدق إذا كان الدين كله لله. أما أن تتأصل مناهج الكفر والضلال في الأرض وتعلو راياتهم في مشارقها ومغاربها، ويصل الخطر إلى أن يغزى المسلمون في عقر دارهم وتستباح مقدساتهم، وتسلب منهم أموالهم وديارهم، وينشر الكفر بينهم بوسائل إعلامهم ومناهج تعليمهم، ومع ذلك نرى ونسمع من يدعو إلى ترك الجهاد ومسالمة أعداء الله، وهذا مخالف لمنهج الإسلام.

إن الإسلام ليس مجرد مجموعة من النصوص الكلامية أو جملة من

---

(١) سورة الفاتحة عجز آية (١)؛

(٢) سورة البقر صدر آية (٢٥٦).

المناسك والشعائر التعبدية كما يفهم معظم الناس في هذه الأيام عندما يسمعون كلمة دين ليتبادر إلى ذهنهم أن ذلك محصور في الصلاة والصيام والزكاة والحج فقط. والحق أن الدين الإسلامي نظام كامل يحكم حياة الفرد والجماعة والدولة والعالم أجمع، ومن ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.

والجهاد في الإسلام يعني القضاء على سائر النظم الباطلة الحائرة في العالم وأن يقطع دابرها ويمحو آثارها من الوجود...»[1].

وما يحتج به بعضهم من أن هناك نصوصًا قرآنية تدعو إلى مسالمة الكفار والتعايش معهم وعدم قتالهم إلا من قاتل منهم، فنقول إن النصوص القرآنية لم تجمل في هذا الأمر، بل فصلت فيه على النحو التالي:

القسم الأول: كفار مسالمون، وهم الكفار المستأمنون، والكفار من أهل الذمة، والكفار المحايدون. وهم الذين لا يؤذون المسلمين ولا يعتدون عليهم ولا يقفون في وجه طريق الدعوة إلى الإسلام.

فهؤلاء يجوز للمسلمين أن يعدلوا فيهم ويحسنوا إليهم ويبروا بهم حيث يقول تعالى:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾[2].

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٣ ص ٧٥٦، ٧٥٩ باختصار.

(٢) سورة الممتحنة آية (٨).

وقد سئل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن هذه الآية فأجاب: « إن هذا إخبار من الله جل ذكره لعباده المؤمنين بأنه لم ينههم عن البر والعدل والإنصاف في معاملة أي كافر كان من أهل الملل إذا كان لم يقاتل المسلمين في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، إذ العدل والإحسان والإنصاف محبوب شرعًا . . »[1].

ومع برهم والعدل فيهم تبقى كراهيتهم وعدم محبتهم وموالاتهم وعدم ميل القلب إليهم وذلك بسبب كفرهم.

القسم الثاني: المحاربون وهؤلاء لا يجوز برهم ولا صلتهم، بل يجب قتالهم لعموم الآيات الواردة في ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾[2]. وغيرها من الآيات.

القسم الثالث: قوم لم يقاتلوا المسلمين ولم يظهروا العداوة لهم. ولكنهم يقفون في وجه الدعوة إلى الله، ويرفضون نشر الدين الإسلامي

---

(١) انظر الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ ١٠ص ١٨٣، ١٨٤ جمع عبد الرحمن ابن قاسم. من مطبوعات إدارة البحوث العلمية والافتاء الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ وقد ذكر خلاف طويل حول الآية الآنفة الذكر وهل هى منسوخة أو محكمة والذى يظهر لى من خلال النصوص القرآنية عند جمعها مع بعض أنها محكمة لكنها تخص الأفراد وليست على مستوى الدول؛ لأنه قد يكون من أفراد الكفار من هو قريب لأحد المسلمين أو قد يكون فيهم شخص يحب المسالمة والعدل.

وأما علي مستوى الدول فلا؛ لأن أمة الكفر لا تجتمع على هدى ولا على محبة الإسلام والمسلمين. والله أعلم.

انظر تفصيل هذه المسألة فى أضواء البيان للشنقيطى من ص ١٤٦ إلى ١٥٨ عالم الكتب بيروت.

(٢) سورة التوبة جزء من الآية (٣٦).

وتعاليمه وهديه. فهؤلاء إذا كان لدى المسلمين قوة تكافئ قوتهم ولم يوجد وسيلة لنشر الإسلام إلا بقتالهم وجب قتالهم. يقول الله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾[1].

فمن رفض أن يعرض الإسلام على الناس وجب قتاله.

وهناك حقيقة يجب معرفتها:

وهي أن الكفر ملة واحدة وإن اختلفت ألوانه وتعددت صوره. فكل الكفار مجمعون على حرب الإسلام والمسلمين ونقض أركانه وهدم بنيانه. ولا يمكن بحال أن يسمحوا للإسلام والمسلمين أن يعيشوا أصحاء، بل يسعون دائما أن يكون المسلمون مرضى فلا يعلنون أنهم يرغبون موت المسلمين ولا يسمحون أن يعيشوا أصحاء. فإذا ما أحسوا بأن المسلمين تحسنت صحتهم وأخذت في التقدم لم تغمض لهم عين، ولم يهدأ لهم بال حتى يوجدوا الميكروب الذي يعيدهم إلى المرض مرة أخرى، ولذلك إذا تتبعت الواقع وجدت أن أعداء المسلمين من كفار ومتمسلمين يحاولون إضعاف المسلمين في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية وإفساد حياتهم الاجتماعية.

لذا كان لزامًا على المسلمين أن يأخذوا حذرهم من الكفار ولايركنوا إليهم.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٩).

٢- إطلاق الحرية للكفار في بلاد المسلمين:

لقد تنفس الكفار في بعض بلاد المسلمين الصعداء، وأخذوا هويتهم وأصبحوا يحسون أنهم هم أهل البلد وغيرهم غريب ويظهر ذلك من خلال الأمور التالية:

أ - ذهابهم وإيابهم بكامل الحرية، ولبس صلبانهم، وكشف عوراتهم واختيارهم الزي الذي يعجبهم ويَعجب نساءهم يفعلون ذلك وغيره، ولا يشعرون بأي خوف، بل على العكس هذا إحساسهم أينما اتجهوا. ويا ويل من أمرهم بمعروف أو نهاهم عن منكر . . .

ب - دعوتهم لدينهم ويظهر ذلك من خلال الأمور التالية:

١- فتح مدارس لهم أو السماح لهم بفتح مدارس لهم تحت إشرافهم. فنجد أن كثيرًا بل معظم البلاد الإسلامية قد فتحت لهم المجال التعليمي في جميع مراحله وأعطتهم الحرية الكاملة في ذلك، فهم الذين يديرون تلك المؤسسات التعليمية من أولها إلى آخرها. بل بعض الدول سمحت لأبناء المسلمين في الالتحاق فيها لمن شاء. ولا شك أن لهذا دورًا خطيرًا في تقوية معتقداتهم الباطلة، وفي الوقت نفسه له دور خطير على من التحق في هذه المدارس أن تضعف عقيدته أو يتحول من دينه إلى دين آخر.

٢- بث أفلامهم عبر وسائل الإعلام الإسلامية، وأفلامهم معروفة فهي دائمًا تدعو إلى إفساد الأخلاق والدخول في الحب والمغامرات، كما أنها تدعو إلى الوقوع في الجريمة بشتى صورها وألوانها. وبالتالي فهي

تدعو إلى عدم التقيد بالدين والامتثال إلى أوامر الشرع.

٣- السماح لمجلاتهم وجرائدهم وكتبهم بالانتشار في بلاد المسلمين.

وهي تقوم بنفس الدور الذي تقوم به أفلامهم، بل تزيد أنها دائمًا في متناول أيديهم.

٤- السماح لهم بإظهار شعائرهم وإقامة الحفلات والأعياد وغير ذلك.

ولا شك أن كل هذه الأمور تخالف هدي الإسلام.

يقول الله تعالى:

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[١].

يقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ: « .. فكل من قصد أو أعان على إظهار الكفر بشعائره المختلفة فقد ابتغى غير الإسلام دينًا، وإن كل من يرى إمكانية تعايش الإسلام والمسلمين مع الكفر والكفار جنبًا إلى جنب على قدم المساواة فقد سلب الإسلام أهم خصائصه في كونه منهج الحياة الفريد الوحيد الذي لا يزاحم في دار الإسلام.

إن الإسلام بمشاركته مناهج الكفر والضلال في مجتمع ــ ما ــ وتحت قيادة واحدة يعتبر معطلاً حيث لا يستطيع التأثير في حياة البشر ما لم تنصب آثاره في نظام اجتماعي كامل يعيش الناس في إطاره النظيف الوضيء دون مزاحمة من خبث الجاهلية وكدرها »[٢].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٥).

(٢) انظر ظلال القرآن جـ ٣ ص ٦٢٦.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[1] الآية.

فالآية تدل على أن الله عز وجل جعل شأن الإسلام عالياً غالبًا قاهرًا لغيره من الشرائع السابقة، وكذلك يجب أن يكون المسلمون»[2].

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يسمح لكفار بأخذ الحرية الزائدة؟.

ورد عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: أوصى رسول الله ﷺ عند موته بثلاث: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**»، ونسيت الثالثة»[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ــ: « ليس لأهل الذمة إظهار شيء من شعائر دينهم في ديار الإسلام، فيمنعون من إظهار التوراة ولا يرفعون أصواتهم بالقراءة والصلاة، وعلى ولي الأمر منعهم من ذلك»[4].

ويقول ابن قدامة[5]: ويمنعون من إظهار المنكر وضرب الناقوس والجهر

---

(١) سورة الصف آية (٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبى م ٩ جـ ٨ ص ٨٦.

(٣) رواه البخارى.

(٤) انظر مختصر الفتاوى المصرية ص ٥١٧ جمع الشيخ بدر الدين محمد الحنبلى. دار نشر الكتاب الإسلامى كوجرا نواله باكستان.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى - شمس الدين أبو الفرج. ولد سنة ٥٩٧هـ وهو فقيه محدث خطيب. ولى القضاء مدة تزيد على اثنتى عشرة سنة على كره منه، ولم يأخذ على ذلك أجرة ومن مؤلفاته شرح المقنع، وتسهيل المطلب فى تحصيل المذهب. انظر معجم المؤلفين جـ ٥ ص ١٦٩، ١٧٠.

بكتابهم[1].

ولقد قال بوجوب إخفاء شعائر الكفار التعبدية إلا في الأماكن النائية والقرى الصغيرة الخاصة بهم أئمة المذاهب الفقهية»[2].

فهذه الأقوال كلها تدل على عدم السماح لهم بإظهار دينهم وفسقهم ودعوتهم للمسلمين لإفساد أخلاقهم عبر وسائلهم المختلفة إلى غير ذلك.

إذا علم ذلك عرفنا أن هذا منكر تجب إزالته بالطرق المشروعة.

كيفية إزالة هذا المنكــر:

١- الحرص الشديد على دعوة أولئك إلى الإسلام وذلك بإهداء النشرات والكتيبات المترجمة بلغتهم.

٢- قيام من أعطاه الله علمًا ولغة بمخاطبتهم ودعوتهم إلى الإسلام، ونهيهم عن إظهار ما يمنع منه دين الإسلام.

٣- الكتابة إلى ولاة الأمور وتعريفهم بخطر أولئك ومحاولة الاستغناء عنهم، وعند الحاجة إليهم يطالبون في العقد بتنفيذ تعاليم الإسلام التي أمر بها حيالهم.

---

(١) انظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٦٢٠ طبع إدارة المنار الطبعة ٣-١٣٦٧هـ.

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د. عبدالكريم زيدان ص ٩٩. الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة.

٣- تولية أعداء الله الوظائف الهامة:

إن من المنكرات العظيمة التي يقع فيها بعض الساسة في العالم الإسلامي تولية المناصب الهامة والحساسة وغيرها للكفار وأذنابهم ممن يسير على خطاهم ونهجهم. فيولونهم الأمور الأساسية في الاقتصاد والتعليم والدفاع والسياسة.. ويجعلونهم مستشارين لهم في معظم شؤون الحياة. علمًا بأنهم يجدون أناسًا أكفاء من المسلمين ولكن لا يولونهم من هذه المناصب وذلك لعدم ثقتهم فيهم وخوفهم منهم.

ولا شك أن ذلك مخالف لتعاليم الإسلام وهديه يقول تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾[(١)].

قال الزمخشري: بطانة الرجل ووليجته: خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشعوره[(٢)] ثقة به شبه ببطانة الثوب **﴿من دونكم﴾** أي من دون أبناء جنسكم..»[(٣)].

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ أكد الله تعالى عن الركون إلى الكفار. ونهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم.

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٨).

(٢) هكذا كتبت ولعل فيه خطأ مطبعيا وأراد بشؤونه.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. جـ١ ص ٤٥٨. دار المعرفة. بيروت. توزيع دار الباز مكة المكرمة.

ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه.

﴿لا يألونكم خبالاً﴾ يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة.

وقال أيضًا ـ رحمه الله ـ : وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان[1] باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء.

ثم قال: روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. فالمعصوم من عصم الله تعالى[2]»[3].**

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: لا يجوز أن يولّى الكتابي شيئًا من ولايات المسلمين على جهات سلطانية ولا أخبار الأمراء ولا غير ذلك من المناصب الهامة ذات المساس بمصالح الأمة وقوتها»[4].

وعن زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود ـ كتابة ـ وقال إني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته فلم يمر

---

(١) قلت هذا في زمانه فكيف في زماننا هذا. فالله المستعان.

(٢) رواه البخاري. كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته جـ ٤/٢٥٥، ٤٠١.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن م ٢ جـ ٤ ص ١٧٩، ١٨٠ باختصار.

دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥١٢.

بي نصف شهر حتى حذقته» قال[1] أبي: «فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كُتب إليه».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا**» فأتوا الحسن فقالوا: إن أنسًا حدثنا اليوم بحديث لاندري ماهو. قال: وما حدثكم فذكروه. قال: نعم أما قوله: «**لا تنقشوا في خواتيمكم عربيًا**». فإنه يقول: لا تنقشوا في خواتيمكم محمدًا. وأما قوله: «**لا تستضيئوا بنار المشركين**» فإنه يقول: لا تستشيروا المشركين في شيء من أموركم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً** ﴾[2] [3].

وعن عياض الأشعري أن أبا موسى رضي الله عنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه كاتب نصراني فأعجب عمر رضي الله عنه ما رأى من حفظه فقال: قل لكاتبك يقرأ لنا كتابًا. قال: إنه نصراني لا يدخل المسجد فانتهره عمر وهم به. وقال: لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ولاتأمنوهم إذ خونهم الله عز وجل[4].

---

(١) القائل خارجة بن زيد بن ثابت يروى عن أبيه.

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨).

(٣) رواهما البيهقى. السنن الكبرى. كتاب آداب القاضى. باب لاينبغى للقاضى ولا للوالى أن يتخذ كاتبًا ذمياً ولا يضع الذمي في موضع يتفضل فيه مسلماً ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) المرجع السابق الجزء والصفحة.

ويروى أنه كتب بعض عمال عمر ﷺ إليه يستشيرونه في استعمال الكفار، فقالوا: إن المال قد كثر ولا يحصيه إلا هم، فاكتب إلينا بما ترى، فكتب إليهم: « لا تدخلوهم في دينكم ولا تسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلموا الكتابة فإنما هي حلية الرجال »[1].

روي أن عمر بن عبد العزيز ﷺ كتب إلى بعض عماله: « أما بعد: فإنه بلغني أن في عمالك كاتبًا نصرانيًا، يتصرف في مصالح المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾[2].

فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان بن زيد ـ يعني ذلك الكاتب ـ إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به، ولا تتخذ أحدًا على غير دين الإسلام في شيء من مصالح المسلمين ا.هـ. فأسلم حسان وحسن إسلامه»[3].

هذه بعض الآثار التي تبين عدم الاستعانة بغير المسلمين في الأمور التي تعني المسلمين وتهمهم وتكشف للعدو أسرارهم لذا ينبغي للمسلمين محاربة هذا المنكر والعمل على تقليصه حتى ينعدم تمامًا.

---

(١) أحكام أهل الذمة. ابن القيم جـ ١ ص ٢١١. تحقيق صبحي الصالح.

(٢) سورة المائدة آية (٥٧).

(٣) أحكام أهل الذمة. ابن القيم جـ ١ ص ٢١١.

ولمزيد من الآثار الواردة في ذلك انظر البداية والنهاية لابن كثير م ٦ جـ ١١ ص ١٠٨، جـ ١٢ص ٣٢٠.

كيفية إزالة هذا المنكر:

- يجب على أفراد المسلمين أن يتعلموا جميع التخصصات التي يحتاج إليها المسلمون في جميع مجالات الحياة، بل تجعلهم لا يحتاجون إليهم في أي أمر من شؤون الحياة.
- على الدولة أن تفتح المجال للمسلمين وتساعدهم على الجانب الأول الذي ذكرناه آنفًا
- على العلماء وطلبة العلم الكتابة إلى ولاة الأمور وإيضاح الحكم الشرعي في ذلك. وتبيين خطر أولئك على الولاة وعلى عموم المسلمين وعدم تقديم غير المسلمين على المسلمين بحال، طالما أن المسلم يستطيع أن يقوم مقامه. والله المستعان.

٤ - العمل على تقوية اقتصاد الكفار:

لقد من الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية والعربية بنعم لا تعد ولا تحصى، وميزهما عن العالم كله بميزات لم تكن موجودة إلا عندهم وإن وجدت عند غيرهم فهي على نطاق ضيق لا يكفيهم.

فالدول العربية والإسلامية تحتل المراكز الأولى في كثير من الجوانب الاقتصادية المهمة في الحياة.

فالعالم كله لا يستطيع أن يستغني عن الدول العربية والإسلامية بحال لما أودع الله فيهما من الكنوز العظيمة والخبرات الوفيرة. ولكن إذا ألقيت نظرة على العالم الإسلامي. وجدت أنه فقير من حيث استغلال تلك الثروات العظيمة الموجودة عنده. ويزداد الأمر سوءًا وتكبر المصيبة أن معظم أموال المسلمين موجودة في بلاد الكفر. فيستفيدون منها ويقرضونها

للدول العربية والإسلامية، ويعطون أصحابها قليلاً من الفائدة.

علمًا أنك تجد كثيرًا من الدول العربية والإسلامية بأمس الحاجة إلى المال لتنمي اقتصادها فلا تجد إلا أن تقترض من الدول الغربية بفائدة ربوية تهد من كاهلها.

فهذه مصيبة كبرى حيث إن العدو الكافر هو الذي يستفيد من أموال المسلمين. والمسلمون ينحدر اقتصادهم كل يوم من سيء إلى أسوأ. بسبب حاجتهم والقروض التي يأخذونها بفائدة.

فهلا انتبه العالم الإسلامي بعضه إلى بعض.

إنه مع سوء الحال وتردي اقتصاد العالم الإسلامي فإن أرصدة العالم الإسلامي في الدول الغربية يتزايد يومًا بعد يوم. والواقع شاهد بذلك[1] وقد بينت الدراسات التي قدمها الخبراء والمختصون لندوة المصارف العربية التي عقدت في نهاية عام ١٩٨٩م أن رؤوس الأموال العربية الموجودة في الخارج تزيد على ٦٧٠ مليارا دولاراً[2].

ولو فرضنا أن هذا الرقم غير دقيق فإنه يوحي بأن هناك أموالاً ضخمة يستفيد منها الاقتصاد الغربي ولا شك أن وجود تلك الأموال عند غير المسلمين له سلبيات كثيرة منها:

١- فالبنوك الدولية ــ نظرًا لضخامة الودائع ــ توسعت في إقراض دول العالم الثالث[3]، ومنها الدول الإسلامية غير النفطية بفوائد تجــاوز

---

(١) انظر مجلة المجتمع عدد ٤٢٢ فى ١٣٩٩/١/٥هـ ص ١٧.

(٢) انظر جريدة الأهرام العدد الصادر فى ١٩٨٩/١٢/١م ص ٧.

(٣) وهدفها فى ذلك أن تضع فى أعناقهم حبلاً وتشدهم وترخيهم فيه متى شاءت

٢٠٪ في السنة، ودون مراعاة لقواعد الإقراض، وانتهى الأمر ببعض الدول المقترضة أنها عجزت عن دفع فوائد القروض فضلاً عن رأس المال، أي أن تلك القروض أصبحت ديونًا مشكوكًا فيها، وقد بلغ الوضع في بعض هذه البنوك وفقاً لإحصائيات المعهد الدولي بواشنطن أنه يلزم أن تستمر تلك البنوك دون دفع أرباح للمساهمين مدة ٢٦٢ سنة حتى تستطيع أن تستهلك هذه الديون المشكوك فيها.

فهذه البنوك مهددة بالإفلاس. وفي حالة إفلاسها فإن المؤسسات التي تضمن الودائع فى أمريكا - وهى أشد الدول ضماناً للودائع - لا تضمن الودائع التى تزيد عن مائة ألف دولار[١] - .

ويصبح موقف تلك الدول ليس فقط كما لو كانت استثمرت أموالها مباشرة في دول العالم الثالث، بل أشد سوءاً؛ لأنها لو كانت استثمرت أموالها في تأسيس مشروعات في الدول النامية الإسلامية لكانت أصبحت شريكة في تلك المشروعات ولها مقاعد في مجالس إدارتها تراقب من خلالها حركة أموالها، ولضمنت أن الأموال استثمرت بالفعل في تأسيس مشروعات في بلاد إسلامية يعود نفعها على الدول العربية والإسلامية[٢].

٢- إن الأموال الموظفة في البنوك الأوربية بفوائد تبلغ ١٠٪ في السنة فإن الشريعة الإسلامية لا تبيح هذا الأسلوب؛ لأنها تعتبر الفوائد رباً خبيثاً

---

(١) البنوك الإسلامية بين التجربة والتطبيق. مقال بمجلة البنوك الإسلامية العدد ٢٤ ص ١٦-٢٣.

انظر البديل الإسلامى للفوائد المصرفية الربوية. د. عاشور عبد الجواد عبدالحميد.

(٢) المرجع السابق ص ٢١.

لايجوز أكله. ويبوء بالإثم المتسبب في ذلك[1].

٣- إن إيداع الأموال الفائضة في بنوك الدول الغربية من شأنه أن يجعل من تلك الأموال سلاحاً موجهاً ضد أصحابها تستخدمه الدول المودع لديها في الوقت المناسب للتأثير على الإرادة السياسية للدولة صاحبة تلك الودائع، يشهد بذلك الماضى القريب والحاضر الراهن على السواء[2].

٤- وحقيقة إذا تأملت في الفوائد العظيمة التى تستفيدها الدول الغربية من الدول الإسلامية فإنها لا حصر لها: من الاستعانة بهذا المال وتقوية اقتصادها واستخدامه ضد الدول الإسلامية . . .

وفي الوقت نفسه لو فكرنا بالخسائر التى تخسرها الدول الإسلامية النفطية فإنها لا حصر لها من كساد لاقتصادها وضرر للدول العربية والإسلامية - التى ليس لديها نفط - وحاجتها المستمرة إلى الدول الغربية الكافرة وتلاعبها بها.

طريقة إزالة هذا المنكر:

- التفكير السليم في كيفية استثمار هذه الأموال في البلد المصدر لها أولاً، وما زاد ففى البلاد الإسلامية والعربية ثانياً.

- تذكير المسؤولين بتحريم الفائدة الربوية التى تؤخذ من هذه الأموال مقابل إيداعها، وأن البركة تكون ممحوقة.

---

(١) انظر كتاب البديل للفوائد المصرفية والربوية . د.عاشور عبدالحميد ص ١٥٣، ١٥٤.

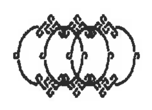
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٦.

- إنشاء - وبكثرة - المشاريع التى تنمى اقتصاد البلاد وتقضى على البطالة التى أخذت تنتشر.

- تذكيرالولاة بسؤال اللّه تعالي لهم عن هذه الأموال كما ورد في الحديث: «**لن تزول قدم امرئ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**» ومنها «**عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**» فإن كان يسأل عن ماله الخاص بهذه الدقة فكيف بالمال العام.

- تذكير المسؤولين بأن إيداع أموال المسلمين في بلاد الكفر فيه تقوية لهم وأنهم يستعينون بتلك الأموال على حرب الإسلام والمسلمين. كما هو مشاهد - الآن من خلال الواقع.

- على العلماء وطلبة العلم المطالبة بتحقيق ذلك.



الفصل الرابع

المنكرات الاقتصادية

إن الحديث عن المنكرات الاقتصادية طويل ومعقد وذلك لكثرتها وتشعبها وغموض بعضها وتساهل كثير من الناس بها.

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن الربا باعتباره أخطر القضايا الاقتصادية التى وقع فيها كثير من الناس، رغم أنه محرم تحريماً صريحاً فى الكتاب والسنة وإجماع المسلمين وهذا أمر خطير يسبب حرب الله وغضبه وسخطه وحلول عذابه.

تعريف الربا في اللغة:

الربا في اللغة: الزيادة على الشئ. يقال «أربى فلان على فلان إذا زاد عليه. ويقال: ربا الشئ إذا عظم ونما. وأربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت **﴿فأخذهم أخذة رابية﴾**[1] أي زائدة ويقال: فلان في ربا قومه أي في رفعة منهم وشرف[2].

وقال النووى في تهذيب الأسماء واللغات: «الربا مقصور وأصله الزيادة. . .»[3].

---

(١) سورة الحاقة الآية (١٠).

(٢) انظر إلى القاموس المحيط جـ٤ ص ٣٢٦ والمصباح المنير جـ١ ص ٢٩٥.

(٣) جـ٣ ص ١١٧. إدارة المطبعة المنيرية.

وجاء في فتح الباري: أصل الربا: الزيادة إما في نفس الشئ. كقوله تعالى ﴿اهتزت وربت﴾[1] وإما في مقابله كدرهم بدرهمين. فقيل هو حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الأول مجاز في الثاني[2].

تعريف الربا في الشرع:

تعريف الأحناف: «الفضل الخالى عن العوض بمعيار شرعى، مشروط لأحد المتعاقدين في المعاوضة»[3].

تعريف الشافعية: «عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد. أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما»[4].

تعريف الحنابلة: هو الزيادة في شئ مخصوص[5].

أو هو «تفاضل في أشياء ونسأ فى أشياء مختص بأشياء»[6].

الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم الربا:

لا خلاف بين المسلمين في تحريم الربا لصراحة النصوص في ذلك والخلاف الذى يحدث في تفاصيله وضابطه.

يقول الله تعالى فى محكم كتابه: **﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا**

---

(١) سورة الحج جزء من الآيـة (٥).

(٢) جـ٤ ص ٣١٣. المطبعة السلفية.

(٣) حاشية ابن عابدين جـ٥ ص ١٦٨، ١٦٩. مصطفى الحلبى مصر.

(٤) نهاية المحتاج. للرملى جـ٣ ص ٤٠٩. المكتبة الإسلامية.

(٥) الروض المربع بحاشية العنقرى جـ ٢ ص ١٠٦ الطبعة الأولى مطبعة الرياض الحديثة.

(٦) كشاف القناع. البهوتى جـ٣ ص ٢٥١. مطبعة الرياض الحديثة.

كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلي الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق اللَّه الربا ويربى الصدقات، واللَّه لا يحب كل كفار أثيم﴾[1].

وقوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾**[2].

يقول القرطبى - رحمه الله - حول هذه الآية **﴿الذين يأكلون الربا﴾** الآية: والمعنى من قبورهم. قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدى. وقال بعضهم: يجعل معه شيطان يخنقه وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر. ويقوي هذا التأويل المجمع عليه أن قراءة ابن مسعود: **﴿لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم﴾** . وقوله **﴿يتخبطه﴾** يتفعله من خبط يخبط، كما تقول تملكه وتعبده فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا؛ وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم؛ فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون. ويقال إنهم يبعثون يوم القيامة قد انتفخت بطونهم كالحبالى...[3].

ويقول محمد رشيد رضا حول معانى بعض الآيات:

---

(١) سورة البقرة آية (٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ٢ جـ ٣ ص٣٥٤ باختصار. دار إحياء التراث العربى.

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ أي لا يقومون من قبورهم للبعث إلا كقيام المجنون.

﴿ومن عاد﴾ إلي أكل الربا بعد تحريمه ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وهذا من نصوص الوعيد، أو هو محمول عليَ من استحله؛ لأن استحلاله كفر. ﴿يمحق الله الربا﴾ أي يمحق بركته.

﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ فحرمانه من محبة الله يستلزم بغضه ومقته له.

وتسميته كفاراً: أى مبالغاً في كفر النعمة بقسوته على العاجز عن القضاء، واستغلاله لما يعرض له من الضرورة بدلاً من إنظاره وتأخير دينه إلي الميسرة، وإسعافه بالصدقة...»[1].

قلت ويستفاد من الآيات ما يأتى:

١- تشبيه الذى يأكل الربا بالذى يتخبطه الشيطان من المس وهذه الآية تنفر منه أشد التنفير.

٢- تصريح الآية الكريمة بإباحة البيع وتحريم الربا ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾.

٣- التهديد الشديد والوعيد الأكيد «بالنار» لمن استمر علي الربا ولم يتب.

---

(١) الربا والمعاملات في الإسلام ص ٧٥، ٧٦. ولمزيد من التفصيل ومعرفة الحكمة من تحريمه. انظر إلى تفسير المنار للمؤلف نفسه جـ٣ص ١٠٦، ١١٤.
دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية.

٤- ان الله يمحق بركة الربا فمهما كثر فإن صاحبه لا يتلذذ به.

٥- أن الله سبحانه وتعالي لا يحب آكل الربا وإذا لم يحب الله المرء فأي أرض تقله وأي سماء تظله.

٦- أمره سبحانه وتعالى بتقواه والتسليم له بفعل الأوامر وترك النواهى وهذه من صفات المؤمن الصادق.

٧- إعلان الحرب من الله تعالى على من لم يستجب لأمر الله تعالى ومَنْ حاربه الله تعالى فأي قوة تمنع أو تدفع عنه؟!!!.

٨- اعتباره - الربا - من الظلم ﴿**لا تظلمون**﴾.

الأدلة من السنة على تحريم الربا:

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاتبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز**»[١].

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، إلاَّ سواءً بسواء عيناً بعين فمن زاد أو ازداد فقد أربى»[٢] الحديث.

---

(١) رواه مسلم انظر إلى صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساقاة. باب الربا م ٦ جـ١١ ص ٨، ٩ دار التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ وصحيح مسلم حديث رقم ١٥٨٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٥.

وفى رواية: «**فهو ربا**»[1].

وعن أبى سعيد رضي الله عنه قال: جاء بلال بتمر برنى فقال له رسول الله ﷺ: «**من أين هذا**»؟ فقال بلال: تمر كان عندنا ردئ فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**أوّه عين الربا لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشترى التمر فبعه ببيع آخر ثم اشتر به**»[2].

وعن عون أبى جحيفة رضي الله عنه قال: «رأيت أبى اشترى حجاماً فأمر بمحاجمه فكسرت، فسألته عن ذلك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب الأمة. ولعن الواشمة، والمستوشمة وآكل الربا وموكله، ولعن المصور»[3].

عقوبـــة آكل الربــــا:

ورد عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا علي نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان. فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ماهذا؟ فقال الذى رأيته في النهر: آكل الربا**»[4].

---

(١) المرجع السابق. (٢) المرجع السابق ص ٢٢.

(٣) رواه البخارى. كتاب البيوع. باب ثمن الكلب حديث ٢٢٣٧ انظر إلى فتح البارى جـ٤ ص ٤٢٦.

(٤) المرجع السابق حديث ٢٠٨٥.

وعن جابر رضي الله عنه قال : « **لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء** »[1].

فهذه الأحاديث الصحيحة تبين الوعيد الشديد لمن يأكل الربا. بل وصل من آثاره أن يلعن كاتبه وشاهديه.

وقبل ذلك ما تقدم من النصوص القرآنيه المتقدمة والتي تحمل نفس المعني بل وأشد منه.

فما يقدم علي الربا ويأكله إلا من ران علي قلبه ما كان يكسبه من الربا والقنوات الموصولة له[2].

حكم الفوائد الربويـــة :

إن معظم البنوك في العالم الإسلامي ترسل أموالها إلي أوروبا وأمريكا وإن شئت فقل كل البنوك، وتأخذ عليها فوائد .

وإذا كان ثمة عقود بينهما فهي عقود شكلية صورية وليست حقيقية. وإذا كانت بعض البنوك تعطي فوائد صريحة فإن البعض الآخر يعطي أرباحاً مختلطة من هنا وهناك .

وإذا كانت شركة الراجحي - بنك الراجحي - أعلن للناس تحويله إلي بنك إسلامي أو شركة استثمارية إسلامية قبل سنوات وكون هيئة شرعية تدرس الطرق التي يسير عليها وتوافق علي ما كان موافقاً للشرع وترفض الآخر أو تعدله .

---

(١) رواه مسلم . انظر إلي صحيح مسلم بشرح النووي م ٦ جـ ١١ ص٢٦ .

(٢) ولمزيد من أدلة الوعيد الشديد لآكل الربا انظر إلي كتاب الكبائر ، للحافظ الذهبي من ص ٦٢، ٦٤ . دار الندوة الجديدة . بيروت، لبنان .

وبعد سنوات من هذا الأسلوب. تبين للناس أنه لا يسير علي فتاوي الهيئة الشرعية . وإنما علي طريقة المرابحة الدولية التي ترفضها الهيئة الشرعية.

ولقد حضرت بنفسي الجمعية العمومية المنعقدة في الرياض في ٢٤/ ١٠/ ١٤١١هـ. وأعلنت الهيئة الشرعية على الملأ أن شركة الراجحي تسير في تعاملها وفقاً لفتاوي الهيئة الشرعية بنسبة ١٦٪، ٨٤٪ لا تقرها الهيئة. ولقد خرجت شركة الراجحي بالنسبة المذكورة ١٦٪ بعد ضغوط عليها إثر انعقاد الجمعية العمومية للعام الماضي[1].

فأقول إذا كان هذا هو واقع شركة الراجحي فما هو إذا واقع البنوك الأخرى.

صحيح أن بنك الراجحي ليس مقياساً لجميع البنوك فقد يكون من البنوك ما هو أفضل ولكن الظروف هُيئت لشركة الراجحي أكثر من غيرها.

ولقد سألت أهل الاختصاص هل يوجد بنك إسلامي بتعامله كله وفق تعاليم الإسلام فقال : إنه بعد دراسة لذلك اتضح أنه ليس هناك بنك واحد يسير في تعاملاته وفقاً لتعاليم الإسلام. فالله المستعان.

---

(١) لقد تابعت التقارير الصادرة عن شركة الراجحي فوجدت أن نسبة التعامل الشرعي تزيد سنة بعد سنة إلى كتابة هذه الأسطر والله أعلم ماذا يحدث في المستقبل ١٤١٣/٣/٣هـ وعند إعادة طبع الكتاب تابعت الشركة عن طريق اللجنة الشرعية ومايرد إليها من تقارير فأفادوا أن نسبة التعامل الشرعي زادت اضعافاً مضاعفة، والله أعلم. ١٤١٦/٧/١٩هـ

ولقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ثلاث فتاوي :

الأولي : في حكم الفوائد الربوية.

الثانيـة : في حكم العمل في البنوك الربوية.

الثالثة : في حكم الإيداع في البنوك الربوية.

أولاً : حكم الفوائد الربوية:

فتوى رقم ٧١٣٣ وتاريخ ٦/ ٧/ ١٤٠٤هـ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على السؤال المقدم من عبد اللطيف جمال الدين إلى سماحة الرئيس العام والمحال إليها برقم ١٢٥٥ في ٣/ ٦/ ١٤٠٤هـ ونصه: (فإن بعض البنوك تعطي أرباحاً بالمبالغ التي توضع لديها من قبل المودعين، ونحن لا ندري حكم هذه الفوائد هل هي ربا أم هي ربح جائز يجوز للمسلم اخذه؟ وهل يوجد في العالم العربي بنوك تتعامل مع الناس طبق الشريعة الإسلامية ؟) وأجابت بما يلي:

أولاً: الأرباح التي يدفعها البنك للمودعين علي المبالغ التي أودعوها فيه تعتبر ربا. ولا يحل له أن ينتفع بهذه الأرباح. وعليه أن يتوب إلي الله من الإيداع في البنوك الربوية، وأن يسحب المبلغ الذي أودعه وربحه ويحتفظ بأصل المبلغ وينفق ما زاد عليه في وجوه البر من فقراء ومساكين وإصلاح مرافق عامة ونحو ذلك.

ثانيا: ابحث عن محل لا يتعامل بالربا ولو كان دكاناً، وضع مبلغك فيه على طريق التجارة مضاربة علي أن يكون لك جزء مشاع معلوم من

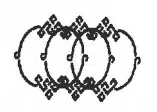
الربح كالثلث مثلاً. وإن شئت فضع مبلغك فيه أمانة دون فائدة وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضواً	نائب رئيس اللجنة
عبد الله بن قعود	عبد الرازق عفيفي

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



ثانياً : حكم العمل في البنوك الربوية

فتوى رقم ٢١٩٩ وتاريخ ١٣/ ١١/ ١٣٩٨هـ.

الحمد لله وحده والصلاة علي من لا نبي بعده . . . وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العملية والإفتاء علي ما ورد إلي سماحة الرئيس العام من المستفتي إبراهيم سعيد مساعد، والمحال إلي اللجنة من الأمانة العامة لهيئةكبار العلماء برقم ١٩٣٥/ ٢ تاريخ ٢٦/ ٦/ ١٣٩٨هـ والسؤال مضمونه :

موظف مسلم يعمل بالبنوك الحالية في المملكة، وبعض هذه البنوك تتعامل بالربا، فهذا الموظف يعمل بهذه البنوك التي يوجد بها ربا وله مرتب يقبضه شهرياً.

فهل هذا المرتب الذي يقبضه فيه من الربا شيء أم أن أكله حرام عليه ؟

كما قال رسول الله ﷺ : **«لعن الله كاتبه وشاهديه وآكله ومؤكله»**(١) .

لأن هذا الموظف يكتب في البنك وهل تجزز صلاته وصيامه ما دام يعمل في الربا لأن الربا من الكبائر.

والجواب: صلاته صحيحة وكذلك صيامه. أما حكم مرتبه فقد صدر فيه فتوي من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء هذا نصها :

أكثر المعاملات في البنوك المصرفية الحالية يشتمل على الربا وهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. وقد حكم النبي ﷺ بأن من أعان آكل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ٣/ ١٢١٨ حديث ١٥٩٧

الربا وموكله بكتابة له أو شهادة عليه وما أشبه ذلك كان شريكاً لآكله وموكله في اللعنة والطرد من رحمة الله.

ففي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر رضي الله عنه لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: (**هم سواء**) والذين يعملون في البنوك المصرفية أعوان لأرباب البنوك في إدارة أعمالها، كتابة أو نقداً أو شهادة أو نقلاً للأوراق أو تسلماً للنقود أو تسليماً لها، إلي غير ذلك مما فيه إعانة للمرابين.

وبهذا يعرف أن عمل الإنسان بالمصارف الحالية حرام، فعلى المسلم أن يتجنب ذلك، وأن يتلقي الكسب من الطرق التي أحلها الله وهي كثيرة، وليتق الله ربه ولا يعرض نفسه للعنة الله ورسوله ،،،،

وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو	نائب رئيس اللجنة
عبد الله بن قعود	عبد الرزاق عفيفي

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



ثالثاً : حكم الإيداع في البنوك الربَّوية

فتوي رقم ٢٧٥٥ وتاريخ ٩/ ١/ ١٤٠٠هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده . . وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ماورد إلى سماحة الرئيس العام من المستفتي حاج وان علي اليعقوبي والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم ٢/١٩٦٨ في ١١/ ١٠/ ١٣٩٩هـ والسؤال نصه : ما قولكم في رأي الشرع فيمن أودع ووضع أمواله في البنوك، ولم يعقد مع صاحب البنوك القرض الذي يجري فيه الزبا (**كل قرض جر نفعاً فهو رباً**) أو كما قال. والحكم يدور مع العلة والهدف من وضع الأموال في البنك حفظها من التعرض للضياع وليس المقصود منه الإتجار والربح، ثم كانت هيئة البنوك تستثمر تلك الأموال في عمليات تحقق لها ربحاً أو لا تستثمرها. فهل يجوز للمسلم أن يتقاضي جزءاً معيناً حددته هيئة البنوك مقابل ما أودع عند سحب الأموال وعدمه ؟

أفيدونا أثابكم الله.

الجواب: لا يجوز للمسلم أن يودع أمواله في البنوك التي تتعامل بالربا، إلا إذا كان يخشي عليها من الضياع، ولا يجوز له أن يدفعها للبنك بناء على أنه يأخذ فائدة من البنك. وقد صدر من اللجنة فتوى في ذلك هذا نصها :

إذا كان الشخص يخشى على نقوده من السرقة ونحو ذلك فله أن يودعها في البنك دون فائدة لأنه مضطر إلى ذلك، أما أخذ الفائدة من

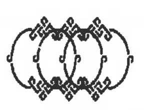
البنك فهو تعامل بالربا وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع، أما قول الزملاء ترك الفائدة للبنوك الكافرة عون لهم علينا فليس الأمر كذلك وإنما تركها تعفف من المسلم عما حرم الله عليه، كما يترك لهم قيمة ما حرم الله من الخمر والخنزير، وكما يجوز له الصدقة على فقرائهم إذا كانوا غير حربيين. وأما قولهم إن أمريكا بلاد حرب فهو محل نظر لعدم وجود حرب بيننا وبينهم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو	نائب رئيس اللجنة
عبد الله بن قعود	عبد الرزاق عفيفي

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



وإذا كانت معظم البنوك اليوم أو كلها تتعامل بالربا أو بطرق ملتوية فيها شبه وشكوك.

إذاً الفوائد والأرباح التي عن طريقها محرمة، وكذلك الحال بالنسبة للعمل والإيداع إلا عند الضرورة. وذلك بناءً علي الفتوي المرفقة.

وإذا علم ذلك عرفنا أن كثيراً من البنوك معلنة محادة الله ورسوله، وترتكب منكراً من أعظم المنكرات. ولذا كان لزاماً على المسلمين السعي لإزالة هذا المنكر العظيم.

كيفية إزالة هذا المنكر:

إن الذي لديه إيمان قوي وثقة بالله تعالى وتوكل عليه ويعلم أن الله سبحانه وتعالي لا يشرع لعباده أمراً مستحيلاً فعله أو لا يستطيع الناس تطبيقه أو يكون فيه صعوبة ومشقة عليهم، كلا ، فكل ما شرع الله تعالى ممكن وسهل التطبيق في الوقت نفسه.

فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بهم وما يصلح شأنهم فكيف يشرع لهم أموراً يستحيل تطبيقها أو يكون فيها عسر ومشقة؟- تعالى الله عن ذلك -.

ولكن ضعفاء الإيمان الذين لم يعرفوا حقيقة الدين أو من في قلوبهم مرض أو أشربت نفوسهم بالأنظمة الغربية هم الذين يقولون : إن الربا ضرورة اقتصادية لا يمكن أن تسير عجلة الحياة بدونه. نعم يكون ضرورة إذا أُبعد الناس عن منهج الله تعالى ولو طبق شرع الله تعالى ما كان الربا ضرورة اقتصادية .

إن الذي يقول إن الربا ضرورة اقتصادية يعارض الله تعالى في علمه وحكمه وحكمته فهذا الكلام يعني أن الله شرع لعباده أموراً لا يستطيعون تطبيقها.

ولا شك أن كثيراً من أولئك تأثروا بالاقتصاد الغربي أكثر من تأثرهم بالاقتصاد الإسلامي.

إن من لديه معرفة بشرع الله تعالي واطلاع واسع في الفقه الإسلامي يعرف بحق أن هناك أبواباً واسعة كثيرة تغني عن الربا.

ولكن هذا الأمر يحتاج إلي جدّ وإخلاص وتقوي وقناعة. فمتي نوفرت هذه الشروط تفتحت الأبواب المشروعة الكثيرة . فالله المستعان.

ولكن مع الأسف أن معظم الدول الإسلامية تحارب كل شيء اسمه بنك أو مصرف إسلامي ولا تسمح بفتح أي بنك اتجاهه إسلامي اللّهم إلا إذا عرفت القائمين عليه، وأنهم يجيزون الخلط بين الحلال والمشتبه ونحو ذلك إلا ما رحم ربك.



الفصل الخامس

في المنكرات الاجتماعية

إن المنكرات الاجتماعية كثيرة جداً وقد تحدثنا عن كثير منها في الفصل الأول من الباب الخامس[1]. وحيث إن منهجنا في هذا الباب الحديث عن بعضها فقط فإننا نضيف إلي ما ذكرنا من المنكرات :

المسكرات والمخدرات:

وذلكم لأنها من أخطر الأمراض التي تهدد المجتمع بالفساد والدمار.

وما فشا هذا المرض في مجتمع «ما» إلا وتدهور ذلكم المجتمع وذاق الويلات في جميع جوانب الحياة.

ولهذا فضلنا الحديث عن هذا المنكر على غيره من المنكرات وأصل هذه المسكرات الخمر.

تعريف الخمر في اللغة :

قال ابن الأثير في النهاية تحت مادة (خمر) : (فيه خمّروا الإناء وأوكوا السقاء، التخمير : التغطية. ثم ساق الأحاديث على ذلك. وقال: وفيه أنه كان يمسح على الخف والخمار، أراد به العمامة، لأن الرجل يغطي معها رأسه كما أن المرأة تغطيه بخمارها . . .)[2].

---

(١) انظر من صفحة {٣} إلى صفحة {٤٧} من هذا المجلد.

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ١/٣٥٥ الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية. عمر حسن الخشاب القاهرة.

وجاء في لسان العرب تحت مادة خمر : خامر الشيء قاربه وخالطه، ورجل خَمِرٌ خالطه داء.

والتخمير التغطية . يقال : « خمروا وجهه. وخمر إناءك والمخامرة المخالطة. والخمر ما خامر العقل - وهو المسكر من الشراب وسمي الخمر خمراً لأنه يغطي العقل. ويقال لكل ما يستتر من شجر أو غيره خمر . . »[1] .

وجاء به معجم مقاييس اللغة تحت مادة « خمر » الخاء والميم والراء أصل واحد يدل علي التغطية والمخالطة في ستر، فالخمر الشراب المعروف.

قال الخليل : (الخمر معروفة واختمارها إدراكها وغليانها . . .)[2] .

ومما تقدم وغيره نعرف أن أصل مادة الخمر عند العرب تدور حول معان هي التغطية والستر والمخالطة. وهذه المعاني موجودة في كل مسكر حيث إنه يخامر العقل ويخالطه ويستره.

إذاً فكل ما خامر العقل من مأكول أو مشروب أو مشموم أو حقن فإنه ينطبق عليه حكم الخمر.

جاء في كتاب حكمة تحريم الخمر في الإسلام :

الخمر « هي كل ما كان مسكراً سواء متخذاً من الفواكه كالعنب والرطب والتين و الزبيب أو من الحبوب كالحنطة أو الشعير أو الذرة أو من

---

(١) انظر لسان العرب ٥/ ٣٣٩.

(٢) انظر مقاييس اللغة ٢/ ٢١٥. الطبعة الأولى. عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

الحلويات كالعسل وسواء أكان مطبوخاً. أي عولج بالنار أو نيئاً من دون معالجة بالنار.. وسواء كان معروفا باسم قديم كالخمر والطلا أو باسم مستحدث كالعَرَق والكونياك، والويسكي والبراندي، والبيرة، والشمبانيا والكينا وغيرها »[1].

أدلة تحريم الخمر :

يقول تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾**[2].

قال الشوكاني رحمه الله : قال في الكشاف: أكد تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد.

منها تصدير الجملة بإنما، ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام، ومنها أنه جعلهما رجساً كما قال تعالى : **﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾**[3].

ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خيبة ومحقاً. ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال .. هذه الآية دليل على تحريم الخمر لما تضمنه الأمر بالاجتناب .. ولما تقرر في الشريعة من تحريم قربان الرجس فضلاً عن

---

(١) انظر كتاب حكمة تحريم الخمر في الإسلام. سعيد بن عبد الرحمن الأحمري. ص ١٣. مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) سورة المائدة الآيتان [٩٠، ٩١]. (٣) سورة الحج جزء من الآية [٣٠].

جعله شراباً يشرب.. ثم قال: (وقد أجمع علي ذلك - تحريم الخمر - علماء المسلمين إجماعاً لاشك فيه ولا شبهة وأجمعوا أيضاً علي تحريم بيعها والانتفاع بها..)[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه - قال: كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة: قم يا أنس فاهرقها، فهرقتها »[٢].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: « **نزل تحريم الخمر وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب** »[٣] قوله « وإن في المدينة ...» يريد بذلك أن الخمر لا يختص بماء العنب. وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنت ساقي القوم في بيت أبي طلحة وما شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر فإذا منادٍ ينادي. فقال: اخرج فانظر فخرجت فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت قال: فجرت سكك المدينة فقال لي أبو طلحة اخرج فاهرقها فهرقتها ... »[٤]

وعن عائشة رضي الله عنها - قالت سئل رسول الله ﷺ عن البتع[٥]

---

(١) فتح القدير الشوكاني جـ ٢ - ص ٧٣, ٧٤.

وانظر تفسير كلام المنان. عبد الرحمن السعدي. جـ ٢ ص ٣٣٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الأشربـ. باب تحريم الخمر وهى من البسر. حديث رقم ٥٥٨٢. انظر فتح البارى جـ ١٠ - ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق حديث ٤٦١٦ انظر الفتح جـ ٨ - ص ٧٢٦، ٢٧٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة. باب تحريم الخمر... جـ ٣ - ص ١٥٧٠ حديث ١٩٨٠. تحقيق محمد عبد الباقي - دار إحياء التراث.

(٥) البتع نبيذ العسل. انظر حاشية المرجع السابق.

فقال : « **كل شراب أسكر فهو حرام** ».

وفي رواية أخرى « **كل مسكر حرام** » وفي رواية ثالثة: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، ولم يتب لم يشربها في الآخرة** ».

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « **من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب** »[1].

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **ما أسكر كثيره فقليله حرام** »[2].

فهذه الأحاديث تدل علي أن جميع المسكرات من أي نوع محرم قليلها وكثيرها شربا أو أكلاً أو شماً أو حقناً أو غير ذلك .

وقد أجمع المسلمون على تحريم الخمر وكل مسكر **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** - رحمه الله-:

أما الأشربة المسكرة فمذاهب جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر العلماء أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام »[3].

---

(١) روى هذه الأحاديث كلها مسلم في صحيحه. كتاب الأشربة جـ ٣- ص ١٥٨٧، ١٥٨٨ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث.

(٢) رواه الترمذي في سننه. كتاب الأشربة. باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام ٤/ ٢٩٢ حديث ١٨٦٥ والنسائي. الأشربة. باب تحريم كل شراب أسكر كثيره ك ٨/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٣) انظر فتاوى الخمر والمسكرات ابن تيمية. تحقيق وتعليق د. محمد إبراهيم الحفناوي ص «٩».

إذا عرفنا حكم ذلك وهو تحريم كل المسكرات والمخدرات فإننا نقول:

إن الإسلام حينما حرم هذه الأشياء فإنه حرمها للأضرار الموجودة فيها.

والحديث عن أضرار المخدرات طويل حيث إن فيها أضراراً جسمية، ودينية، وعقلية واجتماعية. وللفائدة والاختصار أذكر فقط ما قاله محمد شرف حول مضاعفات تعاطي المخدرات حيث يقول:

١ - مضاعفات بالرئة.

- التهاب رئوي.
- خراج بالرئة.
- تمدد الشعب الهوائية.
- تليف الرئتين.

٢ - مضاعفات الكبد.

- التهاب كبدي وبائي.
- هبوط كبدي.

٣ - مضاعفات بالعضلات.

- تسوس العظام وخاصه العمود الفقري
- التهاب عضلي تكلسي.

٤ - مضاعفات بأجهزة المناعة.

- تضخم الطحال.
- التهاب المفصل.

- تضخم الغدد الليمفاوية .

- التهاب الكليتين .

٥ - مضاعفات الجهاز العصبي .

- العمى .

- الشلل النصفي .

- التهاب الأعصاب الطرفية .

- خراج بالمخ

- الإغماء .

- الالتهاب السحائي .

- الالتهاب المخي .

- الملاريا المخية .

٦ - مضعفات أخرى .

- خراريج تحت الجلد .

- التهاب الأوعية الليمفاوية

- تسمم الدم.

- التهاب عضلة القلب.

٧ - مضاعفات الحوامل .

- ينتقل الإدمان للجنين وهو في بطن أمه .

- الإجهاض المبكر[1].

هذا قليل من كثير من أضرار المسكرات والمخدرات والمفترات .

ورغم أن هذه أضرارها فقد انتشرت هذه الأشياء في العالم الإسلامي حتي أصبح بعضها أمراً مشروعًا لدي كثير من الدول كالخمور والدخان. فهذه مصيبة عظمي وبلية كبرى يقول أحمد طاحون : انتشرت بين أهل الإسلام في كثير من البقاع السموم البيضاء، وهاجمتهم المخدرات القاتلة والمكيفات الفاتكة، وراجت سوقها بين كثير من أبناء المسلمين وغيرهم في سائر الأقطار، ولقد كثر صرعاها، وإنها لأشد خطرًا من الحروب المدمّرة والأوبئة الفتاكة. وبعد أن كان الناس لا يعرفون من الخبائث إلا الخمر تقدموا في الشر فعرفوا : الحشيش والأفيون، والكوكايين والهيروين والمتزول وغير ذلك مما تفتق عنه ذهن أعوان الشيطان. وبعد أن كان الأمر مقصوراً على تلويث الفم وحده أشرك الناس معه الأنف، وبعد أن كانوا يتعاطون هذا السم بالفم زادت الطرق بتزيين الشيطان وجنده فصارت تعاطياً بالفم، وشماً بالأنف وحقناً تحت الجلد، ومضغاً بالأسنان، وكثرت السموم وتنوعت. وافتتن الإنسان فيما يضره وتعددت أصناف المخدرات وزين للناس ما يهلكهم...[2].

ومن هنا نعلم أن المسكرات والمخدرات من أعظم المنكرات التي يجب محاربتها بكل الوسائل والإمكانيات لما لها من الأضرار الخطيرة على الفرد والمجتمع.

---

(١) انظر كتاب مدمنون وضحايا. فيصل عراقي ص ١٠٧، ١٠٨ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مطابع شركة العلم للطباعة والنشر. جدة.

(٢) المخدرات شر مستطير. أحمد محمد طاحون ص ٧ إلى ٩.

خلاصة ما جاء في المؤتمر الإسلامي الإعلامي لمكافحة المسكرات والمخدرات .

انعقد في المدينة المنورة المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات في الجامعة الإسلامية في الفترة من٢٧ - ٣٠ / ٥ / ١٤٠٢هـ بدعوة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتعاون مع وزارة الداخلية ومشاركة الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية والذي دعي إليه ممثلون لسبع عشرة دولة إسلامية . ويحسن بنا أن ننقل للقاريء الكريم خلاصة العناصر والتوصيات التي تم بحثها في المؤتمر وأوصي بها المؤتمرون للذكري والذكري تنفع المؤمنين :

١- المملكة تحارب المسكرات والمخدرات لتطهير المجتمع البشري منها.

٢- يجب أن تتصدي المجتمعات الحديثة لمكافحة خطر المسكرات والمخدرات .

٣- آفة المسكرات والمخدرات تعوق مسيرة المسلمين وتقيد حركاتهم .

٤- الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمي البشرية من الآفات والشرور، ولذا حرم كل مسكر وكل مخدر ومفتر.

٥- الفراغ الروحي وإهمال الأسرة لوظائفها يساعد على انتشار المسكرات .

٦- يجب تربية الناشئة على منهج الإسلام وتقوية الوازع الديني في نفوسهم .

٧- ضرورة التوعية الإسلامية لكل فئات المجتمع الإسلامي بأضرار المخدرات والمسكرات وتحريمها شرعاً.

٨- لا بد أن ينهض المسجد برسالته عن طريق خطبة الجمعة والدروس الدينية والإرشاد الإجتماعي.

٩- يجب حظر إنتاج الخمور وزراعة المخدرات والدخان وتصنيعها واستيرادها في الدول الإسلامية.

١٠- يجب إغلاق دور اللهو والفساد لما لها من أثر كبير في انتشار المسكرا ت والمخدرات وشيوع الرذائل والمنكرات.

١١- توقيع أقصي العقوبات الشرعية الرادعة علي المهربين والمروجين والمتاجرين في المسكرات والمخدرات .

١٢- إحكام الرقابة علي صرف الدواء المخدر والمنوم والمنبه حتى لا يتسرب إلي المدمنين بحيل مختلفة.

١٣-يقرر المؤتمر بعد استعراض ما قدم إليه من بحوث حول أضرار القات الصحية والنفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية أنه من المخدرات المحرمة شرعاً ولذلك فإنه يوصي الدول الإسلامية بتطبيق العقوبة الشرعية الرادعة على من يزرع أو يروج أو يتناول هذا النبات الخبيث .

١٤- دعوة الحكومات والمنظمات العالمية التي تحارب المخدرات وتبيح المسكرات إلى معاملة المسكرات معاملة المخدرات، لأن ضررها لا يقل عن ضرر المخدرات واعتبار صنعها وبيعها وشربها جريمة.

١٥- تأييد الفتاوى الصادرة من العديد من كبار فقهاء المسلمين بتحريم التدخين بجميع صوره وأشكاله نظراً لضرره علي الصحة والمال ودعوة

الحكومات الإسلامية إلى منع زراعته وتصنيعه واستيراده وتداوله، وحتى يتم تنفيذ هذه التوصية يجب :

(أ) منع الدعاية للدخان في وسائل الإعلام كافة في المجتمعات الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

(ب) حظر التدخين في أماكن العمل ودور التعليم والمواصلات والأماكن التي يرتادها الجمهور بصفة عامة .

(جـ) يراعي في اختيار المعلمين والموجهين والدعاة في المجتمع المسلم أن يكونوا ممن يتنزهون عن هذه العادة القبيحة .

١٦- إن التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية في كل المجالات هو العلاج الناجح لكل الآفات ومن بينها آفه المسكرات والمخدرات والتدخين .

١٧- إصلاح نظام التعليم والتربية في المجتمعا ت الإسلامية وفقاً لتعاليم الإسلام الحنيف وتعبيراً عن قِيَمِه ومُثُله في إعداد الفرد المسلم الذي هو أساس البناء للأسرة والمجتمع والعناية باختيار المعلم المسلم الملتزم بأحكام الإسلام وقيمه .

١٨- إصلاح أجهزة الإعلام في المجتمعات الإسلامية حفاظاً على الدين والخلق وتطهيرها من نشر الرذائل ومطالبتها بمنع نشر الصحف والمجلات والأفلام والمسلسلات والبرامج التي تروج المسكرات والمخدرات والتدخين بطريق مباشر أو غير مباشر[١] .

---

(١) مجلة التضامن الإسلامي الصادرة في رجب عام ١٤٠٢هـ تصدرها وزارة الحج والأوقاف - مكة المكرمة .

ولقد أحس بهذا الخطر كل من لديه غيرة علي الإسلام والمسلمين فسعي لمحاربة ذلك.

فقد انعقد في المدينة المنورة المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات في الجامعة الإسلامية في الفترة من ٢٧-٣٠/ ٥/ ١٤٠٢هـ بدعوة من الجامعة العملاقة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتعاون مع وزارة الداخلية والحرس الوطني.

وقد دعي ممثلون لسبع عشرة دولة إسلامية لعمل التوصيات اللازمة حيال هذا الموضوع.

حيث إن ما ذكر فيه له علاقة ماسة بمبحثنا فسوف ننقل خلاصة العناصر والتوصيات التي تم بحثها في المؤتمر :

١- المملكة تحارب المسكرات والمخدرات لتطهير المجتمع البشري منها.

٢- وهذه التوصيات تبقي نظرية ليس لها أي دور إذا لم يكن وراءها من يطالب بتنفيذ ما جاء فيها وهذا الدور يتحمل النصيب الأكبر منه العلماء وطلبة العلم الراغبون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عقوبة المتعاطي والمروج للمخدرات في المملكة العربية السعودية :

صدر الأمر السامي الكريم بالموافقة علي نظام منع الاتجار بالمواد المخدرة برقم ٣٣١٨ تاريخ ٩/ ٤/ ١٣٥٣هـ.. ونشر بجريدة أم القري بالعدد رقم ١٥٤١ الصادر بتاريخ ٣/ ٣/ ١٣٧٤هـ. وتضمن التعديل ما يلي :

١- كل من يثبت عليه لدي المحاكم المختصة تهريب المواد المخدرة إلى

المملكة بطريق مباشر أو غير مباشر يعاقب بالعقوبات التالية:

أ - يسجن مدة خمسة عشر عاماً.

ب -تصادر المواد المهربة وتتلف .

جـ - يغرم بغرامة مالية قدرها عشرون ألف ريال عربي سعودي .

وبعد تطبيق العقوبات السابقة يجازي أيضًا بحرمانه من السفر إلى الخارج . .إن كان سعوديا . ويبعد من المملكة ويحرم من الدخول إليها إن كان أجنبياً وتعطى صورته إلى خفر الموانيء والحدود والممثليات.

٢- كل من يثبت عليه لدي المحاكم المختصة الاشتراك في تهريب المخدرات. .أو تسهيل دخولها إلي المملكة يعاقب :

أ - بالسجن مدة سبع سنوات .

ب- يفصل من وظيفته إن كان موظفاً .

٣- كل شخص من غير الصيادلة والمرخص لهم بالاتجار بالمواد المخدرة. . تثبت حيازته لشيء من المخدرات أو توسطه في تصريفها بالبيع أو الإرسال أو النقل من جهة إلى أخري يعاقب بالسجن مدة خمس سنوات. . ويغرم بغرامة مالية قدرها عشرة آلاف ريال عربي سعودي.

٤- كل من يثبت عليه لدي المحاكم المختصة تعاطي شيءمن المخدرات يعاقب بما يلي.

١- بالسجن لمدة سنتين . ٢- يعزر بنظر الحاكم الشرعي .

٣- بعد تطبيق أحكام الفقرتين «١ ، ٢» عليه يجازي أيضا بإبعاده عن البلاد إن كان أجنبياً.

وصدر الأمر السامي الكريم رقم ٤/ب/٩٦٦٦ بتاريخ ١٤٠٧/٧/١٠هـ لكل من وزارة العدل ووزارة الداخلية باعتماد العمل بقرار مجلس هيئة كبار العلماء الذي صدر بالإجماع برقم ١٣٨ وتاريخ ١٤٠٧/٦/٣٠هـ وفيما يلي نص القرار:

أولاً: بالنسبة لمهرب المخدرات فإن عقوبته القتل .. لما يسببه تهريب المخدرات وإدخالها البلاد من فساد عظيم... لا يقتصر علي المهرب نفسه.. وأضرار جسيمة وأخطار بليغة علي الأمة بمجموعها .. ويلحق بالمهرب الشخص الذي يستورد أو يتلقي المخدرات من الخارج يُمَوِّن بها المروجين.

ثانياً: أما بالنسبة لمروجي المخدرات فقد أكد المجلس قراره رقم ٨٥ وتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ الذي نص علي أن من يروج المخدرات فإن كان للمرة الأولي فيعزر تعزيراً بليغاً بالحبس أو الجلد أو الغرامة المالية أو بها جميعًا بحسب ما يقتضية النظر القضائي .. وإن تكرر منه ذلك فيعزر بما يقطع شره عن المجتمع.. ولو كان بالقتل .. لأنه بفعله يعتبر من المفسدين في الأرض وممن تأصل الإجرام في نفوسهم.

وقد صدر الأمر السامي البرقي رقم ٣٠١٧ وتاريخ ١٣٩١/٤/١٩هـ بأن يطبق علي أصحاب القات ما يطبق علي غيرهم من أصحاب المخدرات.

وقد نص قرار مجلس الوزراء رقم ١٩٧٨ وتاريخ ١٣٩٤/٩/٢٧هـ على أن تدرج المواد والمركبات الواردة ضمن تعميم وزارة الصحة رقم ٢٤٣/١٤٣٣/٢٧ وتاريخ ١٣٩٢/٥/١٣هـ تحت طائلة التحريم والعقوبات

الواردة في قرار مجلس الوزراء رقم ١١ تاريخ ١/ ٢/ ١٣٧٤هـ وبأن يعلن ذلك بواسطة الأجهزة الإعلامية. . وقد نشر بالجريدة الرسمية بالعدد رقم ٢٥٩٤ الصادر بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٣٩٤هـ والمواد التي عناها تعميم وزارة الصحة تضمنت أربعة جداول وضحت بها تلك المواد وأضيفت مادة (إل. إس . دي) ضمن المركبات التي تحدث عنها تعميم ،وزارة الصحة. . ثم صدر تعميم وزارة الصحة رقم ١٩٦/ ٢٥٨١ تاريخ ١٠/ ٨/ ١٣٩٤هـ بإعادة تنسيق تنظيم الأدوية النسية متضمناً أربعة جداول ومواد عامة . . ثم صدرت عدة تعميمات من وزارة الصحة ملحقة بالتعميم السابق.

وصدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٧٠بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٤٠٠هـ بتخويل صاحب السمو الملكي وزير الداخلية صلاحية منح مكافأة لمن يرشد عن زراعة نباتاتها إذا تم ضبطها نتيجة لإرشاده. وكذلك لمن يبذل مجهوداً متميزاً في ضبطها.

وصدر قرار مجلس الوزراء رقم ١١٠ وتاريخ ١٧/ ٥/ ١٤٠٠هـ بإدراج حبوب «الكبتاجون» ضمن قائمة المخدرات لتقع تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في قرار مجلس الوزراء رقم ١١ وتاريخ ١/ ٢/ ١٣٧٤هـ.

وهذا الحكم أخذ من قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا..**﴾[١] الآية.

وهذا القرار بحاجة إلي تعميمه وتطبيقه على كل من تسول له نفسه إفساد المجتمع المسلم.

---

(١) سورة المائدة جزء من الآية [٣٣].

دور الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعد ذلك: لاشك أن هذا القرار فيه خدمة للإسلام والمسلمين ومساعدة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لأن فيه الردع القوى للفاسدين والمفسدين. ولكن هل يعنى ذلك أن دور الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر انتهى عند هذا الحد؟ نقول لا إن دورهم فى محاربة هذا المنكر لايزال كما هو . فعليهم أن يلاحقوا أصحاب تلك الجرائم - المسكرات والمخدرات - ولا يتركوا لهم متنفساً. وإذا اكتشفوا شيئاً من ذلك فعليهم إخطار السلطات المعنية بذلك.

كيف تكون محاربة هذا المنكر:

١- على كل من لديه إحساس بالمسؤولية تجاه هذا الدين أن يسعى للحيلولة بين الشباب خاصة وإزاء المجتمع عامة والمسكرات والمخدرات.

٢- يجب على القائمين على وسائل الإعلام بشتى أنواعها أن يركزوا على محاربتهم لها أكثر من غيرها وذلك بإيضاح أضرارها ومساوئها والفساد المترتب على ذلك دنيا وأخرى ثم العقوبة الشديدة لمن فعل ذلك.

٣- كل من أعطاه الله قلماً أو لسانًا وجب عليه أن يسهم فى ذلك ويقدم مالديه عبر الوسائل المقروءة والمشاهدة والمسموعة.

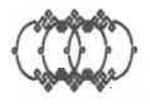
٤- على جميع المصلحين والمربين محاربة البذرة الأولى لهذه المسكرات والمخدرات من خمر ودخان وقات ونحو ذلك.

٥- على المسؤولين عن دور التربية والتعليم من بنين وبنات أن يتابعوا الطلاب والطالبات ويتأكدوا من نقاوة الجو عندهم.

ثم إن عليهم أن يذكروهم بخطر ذلك والعقوبة الشديدة لمن فعل ذلك.

٦- من عرفنا أنه مدمن - نسأل الله العافية - فعلينا نصحه بالاتجاه إلى الله وسؤاله إنقاذه ثم الذهاب إلى المستشفيات المتخصصة في ذلك.

وعلى كل حال الأمر يحتاج إلي عناية كبيرة، ولكن مع الإخلاص وبذل الجهد يكتب الله للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر النجاح. والله المستعان.



الباب الخامس
فى أمور متفرقة

الفصل الأول

حكم من نهى عن المنكر وهو متلبس به

مما لا شك فيه أن الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقوله يوافق فعله أفضل من الذى على خلاف ذلك. إذ الأصل أن يكون الإنسان مستقيماً بنفسه وممتثلاً لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ مجتنباً لما نهى عنه الله ومانهى عنه رسول الله ﷺ فهذا شأن رسل الله تعالى:

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾(1).

وعلى رأسهم وفى مقدمتهم محمد بن عبدالله رسول الله ﷺ.

ولكن هل يلزم أن تكون هذه قاعدة عامة لا يجوز الخروج عنها بحيث إن الذى يفعل المنكرات لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟.

لأن نفسه تحتاج إلى إصلاح؟

لأنه كيف يصلح الناس وهو بحاجة إلى من يصلحه؟

وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

لا يجوز للإنسان أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر «ما» وهو متلبس به وقد استدل أصحاب هذا القول بالأدلة التالية:

١- قول الله تعالى:

---

(١) سورة هود جزء من الآية [٨٨].

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[1].

(البر) فى هذه الآية الطاعة والعمل الصالح أو هو جماع الخير.[2]

وقال الفخر الرازى:

واختلفوا في المراد بالبر في هذا الموضع على وجوه:

أحدها: وهو قول السدى: أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وينهون عن معصية الله، وهم كانوا يتركون الطاعة ويقومون على المعصية.

وثانيها: قول ابن جريج أنهم كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم كانوا يتركونها.

وثالثها: أنه إذا جاء أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد ﷺ قالوا: هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه، وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلات التى كانت تصل إليهم من أتباعهم.

رابعها: أن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول ﷺ يخبرون مشركى العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمداً حسدوه وكفروا به. فبكتهم الله تعالى بسبب أنهم كانوا يأمرون باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عن دينه وهذا اختيار أبى مسلم.

---

(١) سورة البقرة آية [٤٤].

(٢) انظر في أحكام القرآن. القرطبي م١ جـ١ ص ٣٦٨ دار إحياء التراث العربي والتفسير الواضح د. محمد حجازي جـ١ ص ٣٤. دار الجيل الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ بيروت.

وخامسها: وهو قول الزجاج: أنهم كانوا يأمرون الناس ببذل الصدقة،، وكانوا يشحون بها لأن الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت.

وسادسها: لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباع محمد ﷺ في الظاهر، ثم إنهم في قلوبهم كانوا منكرون له فوبخهم الله تعالى عليه»[1].

ولايمنع أن تشمل الآية جميع الوجوه المذكورة؟ لأن هذه الوجوه معاتبة الذين يأمرون بفعل الطاعات وترك المعاصي وإتباع الرسول وصدق رسالته[2] وهم على خلاف ذلك.

أقوال المفسرين في معناها:

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

فيه شدة عذاب من هذه صفته. ثم ساق أحاديث الوعيد الواردة في ذلك ثم قال:

دلت الأحاديث وألفاظ الآية: على أن عقوبة من كان عالمًا بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه، وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى ومستخف بأحكامه، وهو ممن لا

---

(١) انظر التفسير الكبير. الفخر الرازي. م٢ جـ ٣ ص٤٥، ٤٦ دار إحياء التراث العربي ببيروت . ط.٣.

(٢) هذا بالنسبة لليهود والمنافقين أما المسلمون فهم يصدقون برسالة الرسول لكنهم لايفعلون ما يأمرهم به رغم أنه يحثون الناسَ على فعل الطاعة والخير.

ينتفع بعلمه»[1] وسيأتي للقرطبي ذكر الوجه الثامن إن شاء الله.

وقال أبو حيان:

الهمزة للاستفهام وضعًا وشابها التوبيخ والتقريع لأن المعنى الإنكار عليهم وتوبيخهم على أن يأمر الشخص بخير ويترك نفسه. ونظيره في النهي قول أبي الأسود:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

فيقبح في العقول أن يأمر الإنسان بخير وهو لا يأتيه وأن ينهى عن سوء وهو يفعله[2].

وقال محمد رشيد رضا: «.. يعني ألا يوجد فيكم عقل يحبسكم عن هذا السفه؟ فإن من له مسكة من العقل لا يدعي كمال العلم بالكتاب والإيمان اليقين به والقيام بالإرشاد إليه: هذا كتاب الله، هذه وصايا الله، هذا أمر الله قد وعد العامل به السعادة في الدنيا أو الآخرة أو كليهما، فخذوا واستمسكوا بعراه وحافظوا عليه ثم هو لا يعمل ولا يستمسك»[3].

فخلاصة هذه الأقوال:

أن الله سبحانه وتعالى ذم ووبخ الذين يأمرون بالخير والمعروف والبر ولايفعلونه وينهون عن الشر والمنكر ويفعلونه فهذا الفعل ينكره الشرع والعقل.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن م١ جـ١ ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) تفسير البحر المحيط جـ١ ص١٨٢ دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

(٣) تفسير القرآن الحكيم - المنار - جـ١ ص٢٩٦، ٢٩٧ دار المعرفة بيروت.

٢ - وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾[(١)] .

«أي لم تقولون الخير وتحثون عليه وربما تمدحتم به وأنتم لاتفعلونه وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه وأنتم متلوثون متصفون به. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة أم من أكبر المقت عندالله أن يقول العبد ما لا يفعل؟

ولهذا ينبغي للآ ر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه والناهي عن الشر، أن يكون أبعد الناس عنه»[(٢)] .

٣- وقوله تعالى حكاية عن شعيب:

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾[(٣)] .

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن نبيه شعيب عليه وعلى نبينا - الصلاة والسلام - أنه أخبر قومه أنه إذا نهاهم عن شيء انتهى هو عنه، وأن فعله لايخالف قوله.

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهيًا عمًّا ينهى عنه غيره مؤتمرًا بما يأمر به غيره»[(٤)] .

---

(١) سورة الصف آية (٢, ٣).

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله جـ٧ ص ٣٦٥، ٣٦٦، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤١٠هـ.

(٣) سورة هود آية [٨٨].

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي جـ ٣ ص ٤٠. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

فمن النصوص القرآنية استندوا بهذه الآيات، ومن السنة استدلوا بما يأتي:

١- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ قال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته فيما بيني وبينه. ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه ولا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا: إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقول: يا فلان! مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر فيقول: بلى. كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[1].

فهذا الحديث الصحيح فيه الوعيد الشديد لمن يأمر بالمعروف ولايفعله وينهى عن المنكر ويفعله.

وورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت: من هؤلاء ياجبريل قال: الخطباء من أمتك الذي يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم**

(١) رواه مسلم. كتاب الزهد والرقائق. باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله جـ ٤ ص ٢٩٩٠ - ٢٩٩١ حديث ٢٩٨٩. دار إحياء التراث العربي بيروت. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية ١٩٧٢م، ورواه البخاري في صحيحه قريبًا من هذا اللفظ. كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر. حديث ٧٠٩٨. انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٨.

وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»[1].

وقد ورد بعض الآثار في ذلك.

قال إبراهيم النخعي:

إني لأكره القصص لثلاث آيات: قول الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر**﴾[2] الآية.

وقوله: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾[3].

وقوله: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾[4][5].

وقال سلْم بن عمرو:

ما أقبح التزهيد من واعـــظ يزهـــد الناس ولا يزهـــد

لو كان في تزهيـده صـــادقًا أضحى وأمسى بيته المسجد[6]

فهذه الآيات والأحاديث والآثار تدل على أن الإنسان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا إذا كان فاعلاً للمعروف تاركًا للمنكر.

---

(١) قال المنذري. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وابن حبان في صحيحه واللفظ له والبيهقي. ومسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٢٠.

(٢) سورة البقرة صدر آية (٤٤)

(٣) سورة الصف آية (٢).

(٤) سورة هود جزء من الآية (٨٨).

(٥) انظر أحكام القرآن. القرطبي م١ جـ ١ ص ٣٦٧.

(٦) المرجع السابق.

القول الثاني: الذين يقولون إنه يجب على الإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولو كان على خلاف ذلك:

وقد استدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عموم الآيات الواردة في ذلك. مثل قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾**[١].

فهذه الآية فيها مدح للأمة بسبب أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وهو لفظ عام[٢].

٢- وقوله تعالى: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان دواد وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾**[٣].

في هذا التوبيخ الإخبار بأمرين قبيحين:

أحدهما: بأنهم كانوا يفعلون المناكر. والآخر: أنهم كانوا تاركين للنهي عنها: أي عن أمثالها في المستقبل..[٤]

فالله سبحانه وتعالى وبخهم وأنبهم بسبب فعلهم للمنكرات وترك

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٠).

(٢) وتقدم الحديث عن هذه الآية في الباب الأول. فضل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(٣) سورة المائدة الآيتان: (٧٨ - ٧٩).

(٤) ذكرهذا الإمام أحمد ونسبه إليه الجرجانى في حاشيته على الكشاف. للزمخشرى. انظر الكشاف جـ١ص ٦٣٦. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت. توزيع مكتبة الباز مكة المكرمة.

التناهي عنها[1].

٣- قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

فهذا الحديث عام لكل من رأى منكراً من أمة محمد ﷺ أيّاً كانت حاله، إذا كان يقدر على تغييره ولا يحصل بذلك ضرر، فعليه أن يغيره.

ومن الآثـــار:

ماورد أن الحسن قال لمطرّف بن عبدالله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل قال: يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول !! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر»[3].

وقال مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

قال مالك: «وصدق من ذا ليس فيه شيء»[4].

فهذه الآيات والأحاديث والآثار توجب على جميع المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبصرف النظر عن استقامتهم وعدمها.

وقد أجابوا عن أدلة القول الأول بما يأتي:

---

(١) تقدم الحديث عنها في الباب الأول من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكر ذلك القرطبى في تفسير أحكام القرآن م ١ جـ ١ ص٣٦٧.

(٤) المرجع السابق ص ٣٦٨.

قول الألوسي:

«.. لا حجة فيها[1] لمن زعم أنه ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لأن التوبيخ على جمع الأمرين بالنظر للثاني فقط لا منع الفاسق عن الوعظ فإن النهى عن المنكر لازم، ولو لمرتكبه، فإن ترك النهي ذنب وارتكابه ذنب آخر، وإخلاله بأحدهما لا يلزم منه الإخلال بالآخر»[2].

قول القرطبي:

اعلم - وفقك الله تعالى - أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قومًا كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبخهم توبيخًا يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة[3].

وقال أبو حيان:

ولا دليل في الآية لمن استدل بها على أنه ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ولا في قوله:

﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾[4] ...[5].

---

(١) الآية التى سبق ذكرها **﴿أتأمرون الناس بالبر﴾**.

(٢) انظر روح المعاني. الألوسى م ١ جـ ١ ص ٢٤٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ١جـ١ ص ٣٦٦.

(٤) سورة الصف آية (٢).

(٥) انظر البحر المحيط جـ ١ ص ١٨٤.

وقال الفخر الرازي:

قال بعضهم: ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. واحتجوا بالآية والمعقول، أما الآية فقوله: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾**[1].

ولا شك أنه تعالى ذكر ذلك في معرض الذم.

وقال أيضًا: **﴿لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[2].

وأما المعقول فهو أنه لو جاز ذلك لجاز لمن يزني بامرأة أن ينكر عليها في أثناء الزنا على كشفها عن وجهها، ومعلوم أن ذلك مستنكر. والجواب: أن المكلف مأمور بشيئين: أحدهما: ترك المعصية. والثاني. منع الغير عن فعل المعصية. والإخلال بأحد التكليفين لا يقتضي الإخلال بالآخر. أما قوله: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾** فهو نهي عن الجمع بينهما. والنهي عن الجمع بين الشيئين يصح حمله على وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد هو النهي عن نسيان النفس مطلقًا.

والآخر: أن يكون المراد هو النهي عن ترغيب الناس في البر حال كونه ناسيًا للنفس، وعندنا المراد من الآية هو الأول لا الثاني، وعلى هذا التقدير يسقط قول هذا الخصم وأما المعقول الذي ذكروه فيلزمهم»[3].

---

(١) سورة البقرة آية (٤٤).

(٢) سورة الصف آية (٢، ٣).

(٣) التفسير الكبير. الفخر الرازى م ٢ جـ ٣ ص ٥٠.

وأما بالنسبة للحديث. فقال ابن حجر في الفتح: قال غيره[1]: يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه ولم يخف على نفسه منه ضررًا ولو كان الآمر ملتبسًا بالمعصية: لأنه في الجملة يؤجر على الأمر بالمعروف ولا سيما إن كان مطاعًا. وأما إثمه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به، وأما من قال: لا يأمر من ليست فيه وصمة. فإن أراد أنه الأولى فجيد، وإلا فيستلزم سد باب الأمر إذا لم يكن هناك غيره»[2].

رأى الباحث:

من خلال استقرائي للنصوص رأيت أن المسألة تحتاج إلى شيء من التقسيم على النحو التالى:

القسم الأول: وهم الذين يأمرون بالمعروف ويفعلونه وينهون عن المنكر ويجتنبونه. فهؤلاء من أعلى المراتب فلهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر مطلقًا.

القسم الثاني: قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهم يفعلون معظم المعروف، ويأتون بعض المنهيات وأمورهم مستورة فهؤلاء أقل مرتبة من القسم الأول ولكن لهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

القسم الثالث: وهم الذين يفعلون المنكرات ويتركون المعروف وهؤلاء لا تخلوا حالهم من أمرين:

أحدهما: أن يكونوا مشهورين بين الناس بفعل المنكرات وترك

---

(١) يقصد بذلك ابن جرير الطبرى حيث نقل كلامه من قبل..

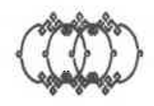
(٢) انظر فتح البارى. شرح صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٥٢. نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث.

المعروف، فهؤلاء لهم أن يأمر بعضهم بعضًا فقط ولا يأمرون غيرهم من الناس لئلا يكون الأمر والنهي محلاً للسخرية والاستهزاء.

وثانيهما: أن يكونوا مستورين عند الناس فلا يعلم بحالهم إلا الله، فهؤلاء لهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

وبهذه الأقسام يشترك كل الناس في هذا الباب العظيم، باب الأمر والنهي بالحدود التي تتناسب مع حالهم.

والعلم عند الله.



الفصـل الثانـي

في حكم التجسس على المنكرات

تعريف التجسس في اللغة:

التجسس: من الجس، والجس: اللمس باليد وموضعه المجسة يجسه جسًا، واجتسه أي: مسه ولمسه.

وجس الشخص بعينيه إذا أحدّ النظر إليه ليستبينه ويتثبته، وهو مجاز حيث إن الجس هو اللمس باليد باعتبار ما فيه من معنى الطلب باللمس، فإن من يطلب شيئاً يجسه ويلمسه، فأريد ما يلزمه، واستعمل التفعل للمبالغة ومنه جس الأرض جساً: وطئها[1].

ومنه الجساس وهو وصف للمبالغة، والجسّاس: الأسد؛ لأنه يؤثر في الفريسة ببراثنه[2].

وقيـل:

التجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر مايقال في الشر والجاسوس صاحب سر الشر. والحاء المهملة: ما أدركه الإنسان ببعض حواسه ويستعمل في الخير، والناموس صاحب سر الخير[3].

---

(١) انظر تاج العروس جـ٤ ص ١١٩، تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهري. تحقيق عبد السلام هارون. الدار المصرية للتأليف والترجمة. ولسان العرب جـ ٧ ص ٣٣٧. المعجم الوسيط ١/ ١٢٣.

(٢) لسان العرب ٧ جـ٧ ص ٣٣٧. وتاج العروس جـ٤ ص ١١٩.

(٣) تاج العروس ٤/ ١٩ وتهذيب اللغة ٩/ ٤٤٨. لسان العرب جـ ٧/ ٣٣٧.

والتجسس بالجيم: تتبع الظواهر وبالحاء تتبع البواطن[1].

والتجسس بالجيم: البحث عن العورات وبالحاء الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون[2]

وقيل التجسس بالجيم المعجمة أن يطلب لغيره وبالحاء أن يطلب لنفسه[2].

وعند النظر والتأمل في هذه الأقوال السابقة نجد أن التجسس والتحسس بمعنى واحد أو بينهما عامل مشترك وهو:

البحث عن الأخبار والأمور والأحوال وتتبعها وطلبها بصورة خفية.

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك مثل قوله تعالى:

﴿ولا تجسسوا﴾[3] أي لاتبحثوا عن عورات المسلمين وتستكشفوا عما ستره الله.

وقوله: ﴿ يا بَنِيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾[4] ففيها معنى طلب الأخبار عنه.

المعنى الاصطلاحي للتجسس:

لم يورد الفقهاء والمفسرون معنى اصطلاحياً متفقاً عليه حسب علمي، ولعلهم اكتفوا بمعناه اللغوي حيث أنه يغني عن معناه الاصطلاحي.

---

(١) لسان العرب ٧/ ٣٣٧. المرجع السابق ٣٧٣.

(٢) المعجم الوسيط ١/ ١٢٣ ولسان العرب ٧/ ٤٥٩.

(٣) سورة الحجرات جزء من الآية (١٢).

(٤) سورة يوسف جزء من الآية (٨٧).

فقد ذكر القرطبي - رحمه الله - أن التجسس بالجيم هو: «البحث عما يكتم عنك»[1]

وجاء في تفسير الكشاف والنسفي: «أن التجسس بالجيم والتحسس بالحاء متقاربان في المعنى. يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن «تفعل» من الجس، كما أن التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب»[2].

وذكر ابن حجر في الفتح: أن «التجسس» هو البحث. ثم قال: «هكذا فسره أبو عبيدة»[3].

وجاء في عمدة القاري: «الجاسوس على وزن فاعول من التجسس والتبحث من باب التفعل من البحث وهو التفتيش. ومنه بحث الفقيه؛ لأنه يفتش عن أصل المسائل»[4].

فالمعنى الاصطلاحي واللغوي متقاربان كما أن معنى التجسس والتحسس متقاربان. والله أعلم.

التجسس المشروع:

إذا كان الإسلام قد نهى عن التجسس، فإنه أقره في بعض الجوانب وذلكم إذا اقتضت مصلحة الأمة الإسلامية ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن م ٨ جـ ١٦ ص ٣٣٣.

(٢) تفسير الكشاف. الزمخشري ٣/٥٦٨، النسفى ٤/١٧٢.

(٣) فتح البارى ٦/١٤٣.

(٤) انظر عمدة القاري. العيني. جـ١٤ص ٢٥٣. الناشر محمد أمين دمج بيروت.

فقد يكون لدولة الإسلام أعداء يخططون ويكيدون لها وهم يتحينون الفرص لغفلتها حتى يعتدوا عليها.

فهؤلاء قد لا يمكن معرفة أحوالهم وتحركاتهم ومتى إقدامهم وغير ذلك إلا عن طريق العيون والمخبرين، فهم الذين يستطيعون الوصول إليهم والتحسس عن المؤيدين لهم، ومن ثم معرفة أخبارهم.

وأيضاً إذا أرادت الدولة الإسلامية أن تفتح بلاد الكفر فلابد من معرفة أحوال تلك البلاد ومدى قدرتها على مقاومة الجهاد، وكم لديها من الاستعدادات البشرية والمعدات الحربية، وهكذا . . فكلما اقتضت مصلحة الأمة الإسلامية العامة الوصول إلى هدف نبيل إلى مافيه خيرها عن طريق خفي فلها ذلك.

ولنا في رسول الله ﷺ والسلف الصالح الأسوة الحسنة.

لما هاجر رسول الله ﷺ ودخل في الغار ومكث فيه أياماً كان عبدالله ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يأتيهما بخبر القوم بالليل، ثم يصبح بين أظهرهم كأنه بات بمكة، وأمر الرسول ﷺ عامر بن فهيرة - راعي أبي بكر ومولاه - أن يرعى غنمه نهاراً، ثم يأتيهما بها ليلاً.

وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تأتيهما بالطعام مساءً، وفي الصباح تزيل الغنم آثار أسماء وعبدالله حتى لاتراه قريش[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «بعث يعني النبي ﷺ بُسيسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان»[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٣٣ والكامل في التاريخ ٢/ ١٠٤.

(١) رواه أبو داود في سننه. كتاب الجهاد، باب بعث العيون جـ ٣ ص ٤٢٠ حديث =

وعن ثابت رضي الله عنه عن أنس بن مالك. قال: بعث رسول الله ﷺ - بُسَيْسَةَ[1] عيناً[2] ينظر ما صنعت عير أبي سفيان فجاء - وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ - (قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثته الحديث. قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال «**إن لنا طلبة**[3]**، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا**»[4] الحديث.

وعن ابن المنكدر قال: سمعت جابراً يقول:

قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**»: فقال الزبير: أنا. ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «**إن لكل نبي حوارياً، وإنَّ حواريي الزبير**»[5]

٢٥٠٥، مختصر سنن أبى داود للمنذرى ومعالم السنن لأبى سليمان الخطابى وتهذيب ابن القيم الجوزية. تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقى. دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ.

(١) بُسَيْسَة: وفي كتب السيرة بسبس وهو بسبس بن عمرو ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج.

(٢) عيناً: أى متجسساً ورقيباً.

(٣) طلبة: أي شيئاً تطلبه، انظر في ذلك كله صحيح مسلم بشرح النووي م ٧ جـ١٣ ص ٤٤، ٤٥.

(٤) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الإماوة. باب ثبوت الجنة للشهيد جـ٣ ص ١٥١٠ حديث ١٩٠١. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. دار إحياء التراث بيروت.

(٥) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المغازى. حديث ٤١١٣ انظر فتح البارى. شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٤٠٦ نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

وعن إبراهيم عن أبيه قال: كنا عند حذيفة. فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ[1] فقال رسول الله ﷺ: **«ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»** فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال: **«ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»** فسكتنا. فلم يجبه منا أحد. ثم قال: **«ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»** فسكتنا. فلم يجبه منا أحد. فقال: **«قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم»** فلم أجد بدأ، إذ دعاني باسمي، أن أقوم. قال: **«اذهب. فأتني بخبر القوم ولاتذعرهم علي[2]»** فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام[3] حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهر بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ: **«ولاتذعرهم علي»** ولو رميته لأصبته. فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: **«قم يا نومان»**[4].

---

(١) القرّ: البرد.

(٢) ولا تذعرهم على: أي لا تفزعهم أولا تنفرهم.

(٣) يعنى أنه لم يجد البرد الذى يجده الناس ولا الريح الشديدة.

انظر حاشية صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤١٤ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى دار إحياء التراث بيروت.

(٤) رواه مسلم في صحيحه. كتاب الجهاد. باب غزوة الأحزاب جـ٣ ص ١٤١٤ حديث ١٧٨٨. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربى بيروت.

فهذه الأحاديث تثبت أن الرسول ﷺ كان يستعمل العيون ليأتوا بالأخبار وذلك لمصلحة الجهاد ونصرة الإسلام والمسلمين.

وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ﷺ.

فقد أوصى أبو بكر إلى عمرو بن العاص وقال له: «وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة، فإن كان ظافراً بعدوه، فكن أنت لقتال من في فلسطين، وإن كان يريد عسكراً فأنفذ إليه جيشاً إثر جيش»[1].

ويؤكد الخليفة لقائده يزيد بن أبي سفيان ضرورة بث الحراسات وترتيب النوبات ومعرفة الأخبار: «واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عنك الأشياء وأكثر من حرسك ويددهم في عسكرك، وأكثر من مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، واجعل النوبة الأولى أطول من الآخرة فإنها أيسرها لقربها من النهار»[2].

فهذا يدل على اهتمام خليفة الرسول ﷺ بمتابعة قواده وتوصيتهم بما يعينهم على نجاحهم في حربهم مع عدوهم.

ولقد طبق هذا المبدأ على نفسه فهو دائماً يأخذ بمبدأ الحذر والحيطة وفعل الأسباب التي يراها نافعة. ولاشك أن احتكاكه بالرسول ﷺ أكسبه الشيء الكثير.

---

(١) فتوح الشام. أبو عبدالله الواقدى جـ١ ص ١٥. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة. بيروت.

(٢) الكامل في التاريخ. ابن الأثير ٢/ ٤٠٤.

ففي حروب الردة جمع في المسجد أصحابه يستشيرهم وأرسل العيون على الطرقات من كل سبيل، فجاؤوا بنبأ القوم ومواضع جماعتهم المختلفة، وإذا قرر أن يخرج بالليل ليضربهم من حيث لا يتوقعون، فدهم من منهم بذي «القصة» فذعروا لهذه البغتة التي لم يتوقعوها وهكذا، ففي فترة حروب الردة كانت القبائل مشغولة بالهجوم أو الدفاع وكانت رسل أبي بكر تأتيه بالأخبار من كل مكان فيعمل وهو بصير..»[1].

وهكذا فعل بقية الخلفاء والقواد. فكان خالد بن الوليد في حروبه مع الروم يأخذ الجواسيس معه من كل إقليم، وقد أصفاهم لنفسه، وكان يحسن إليهم ويأتون له بالأخبار ولم يكن اعتماده في ذلك على العرب فقط وخاصة في جمع المعلومات واستعمال الجواسيس»[2].

فهذه الأحداث دليل على أن التجسس يكون مشروعاً إذا كان فيه مصلحة يعود نفعها على الإسلام والمسلمين.

وما ذكرناه عبارة عن إشارة بسيطة لمعرفة جواز هذا النوع من التجسس وإلا فالتاريخ الإسلامي مملوء بذلك.

ومن التجسس المشروع التعرف على الرجال الأكفاء:

مما لا شك فيه أن الدولة الإسلامية بحاجة إلى التعرف على رجالها الأكفاء أصحاب القدرات والطاقات العالية لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

---

(١) عبقرية أبي بكر لعباس محمود العقاد. ص ١٥ إلي ١٥٢. دار المعارف. القاهرة.

(٢) انظر فتوح الشام ٢/٧٢.

وهؤلاء ليس عليهم علامة يعرفون بها. وفي الوقت نفسه فهم لن يبرزوا أنفسهم أو يرشحوها للمهمات.

فمن هنا نقول إنه لا مانع من التجسس والتحسس على الرجال لمعرفة أحوالهم والوقوف على قدراتهم.

ومن واجب الدولة أن تتعرف على المواطنين وطاقاتهم، فتحسن استغلالها لتضع الرجل المناسب في المكان المناسب. ولذلك فلا بد من التعرف على أصحاب القدرات والطاقات ومعرفة سيرة حياتهم ومستوياتهم الأخلاقية والفكرية وخبراتهم والتأكد من ذلك ليختار الأحيد من يستعين بهم من ذوي الأخلاق الكريمة والمخلصين للبلاد والمحبين لها...»[1].

وأهم شيء في هذا الباب أن يبدأ الأحيد في التعرف على من يكون بطانة له ومستشاراً له. حتى يهدونه بعد ذلك لكل خير.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «**مابعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله**»[2].

لذا فإن عليه أن يختار لنفسه وللأمة الأكفاء الذين توثق عن أحوالهم بالمصادر والأخبار الموثقة.

يقول الجويني:

«كان منصب الإمام القوام على طبقات الأنام مقتضياً أن يتحرى

---

(١) الرسول ﷺ سعيد حوى ص ١٩٤. الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ ٢ ص ٧٩.

الأصلح فالأصلح»[1].

ويقول الأسدي:

«ينبغي للملك أن يتخير الرئيس الفاضل لبطانته وتدبير أمر دولته»[2].

ويقول الماوردي:

«حق عليك أيها الوزير أن تكون لأعوانك مختبراً ولأحوالهم متطلعاً..»[3].

فمعرفة الأكفاء من الرجال عن طريق التجسس لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب ليس من التجسس المحذور بل من التجسس المباح أو المشروع. والله أعلم.

ومن التجسس المشروع التجسس على العدو:

إن التجسس على الدولة المعادية والمحاربة أمر جائز شرعاً بل هو واجب على إمام المسلمين في حالة قيام حرب بينهم لأن مصلحة ذلك ظاهرة وعدمه قد ينتج عنه هزيمة المسلمين.

---

(١) غياث الأمم. الجويني ص ١٨٥ نشر الدعوة الإسلامية. الإسكندرية ١٩٧٩م.

(٢) التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف. محمد ابن محمد بن خليل الأسدى. تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات. دار الفكر العربى. مطبعة مخيمر. الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

(٣) الوزارة. الماوردي. ص ١٤٤ دار الجامعات المصرية الإسكندرية. مطبعة الشاعر. الطبعة الأولى. ١٣٩٦هـ.

قال في حديث صلح الحديبية الطويل «وفيه استحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش، والأخذ بالحزم في أمر العدو لئلا ينالوا غرة بالمسلمين»[1].

وجاء في عيون الأخبار «ومن الأمور الهامة لدى كل دولة إرسال الجواسيس وأخذ الحذر، ومعرفة تحصينات الأعداء، ومواقع كتائبه وعدته وعتاده. وأن هذه من الأمور من الحزم، والحازم يحذر عدوه على كل حال. بحذر المواثبة إن قرب، والغارة إن بعد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولى، والمكر إن رآه وحيداً»[2].

وجاء في لامع الدراري «وإن التجسس ضرورة من ضرورات الحرب وكثيراً ما تلجأ إليه الدول. وقد كان رسول الله ﷺ يستعمل الجواسيس في الحرب من الصحابة فإنهم رضي الله عنهم قد ذهبوا للتجسس في الطلائع في مواضع كثيرة، ومن الصحابة الذين بعثهم الرسول ﷺ للتجسس والاستكشاف: حذيفة ونعيم بن مسعود وعبدالله بن أنيس وفوات بن جبير وعمرو بن أمية وسالم بن عمير وبُسَيْسَة»[1].

فأقوال العلماء المستنبطة من هدي الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين ـ تفيد جواز، بل مشروعية التجسس على العدو، لأخذ الحذر والحيطة منه وكي يأخذه المسلمون على غرة.

---

(١) لامع الدراري على جامع البخاري: ٧/٢٢٨ أبو مسعود رشيد أحمد الكنكوهي. المكتبة الإمدادية. مكة المكرمة. ومطبعة عزيز لاهور باكستان. ١٣٩٦هـ.

(٢) عيون الأخبار. ابن قتيبة الدينوري ص ١١٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

التجسس المحذور:

إن الأصل في المسلم الطهارة والعفة والبراءة والسلامة من كل شيء مشين. ولذا كان الأصل في الإسلام النهي عن التجسس بجميع صوره وأشكاله سواء كان تجسس الفرد على الفرد أو الدولة على الفرد أو الفرد على الدولة أو الدولة على الدولة.

لأن التجسس فيه انتهاك لحرمة المسلم وكشف ستره وقد يسبب الحقد والبغض بين أفراد المجتمع المسلم، وهذا ما يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً.

لذا فإن الإسلام حرم التجسس عدا الصور التي أشرنا إليها في المبحث السابق وما سنضيفه في هذا المبحث إن شاء الله.

الأدلة على تحريم التجسس:

يقول تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾**[1].

ففي هذه الآية الخطاب العام للمؤمنين بنهيهم عن أمور كثيرة، ومنها:

التجسس: والتجسس لفظ عام يشمل جميع أنواع التجسس دون استثناء.

والنهي في الآية للتحريم بدليل الأحاديث الورادة في ذلك منها:

١- ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة الحجرات آية (١٢).

«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولاتحسسوا، ولاتجسسوا، ولا تحاسدوا، ولاتباغضوا»[1] الحديث.

ففي هذا الحديث الصحيح نهي صريح عن التجسس والتحسس. ولفظ الحديث ـ أيضاً ـ عام يشمل النهي عن جميع ألوان التجسس.

٢- وجاء في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال. **«لاتحاسدوا ولاتباغضوا، ولاتدابروا، ولايبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولايحقره. التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ـ ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»**[2]

ففي هذا الحديث أمر عام من النبي ﷺ باحترام المسلمين بعضهم بعضاً وعدم اعتداء بعضهم على بعض، وتحريم دم المسلم وماله وعرضه.

ولا شك أن التجسس من أسوأ الاعتداءات على المسلم فهو يتضمن عدم احترام حقوق المسلمين وانتهاكاً لأعراضهم.

٣- وأخرج أبو دواد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»**[3].

---

(١) رواه البخارى حديث «٦٠٦٤».

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي م ٨ جـ١٦ ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) رواه أبو داود في سننه جـ ٢ ص ٥٦٨. الطبعة الأولى.

٤- وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»**[١] الحديث.

يقول صاحب بذل المجهود في حل أبي داود: «عورات الناس أي معايبهم الخفية، أي إذا بحثت عن معايبهم وجاهرتهم بذلك فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم عنك، فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة.

وقيل: أفسدتهم لأن ذلك يحمل على التباغض والتنافر وغير ذلك من مفاسد لا تخفى[٢].

٥- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود. قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمنّاه وقربناه، وليس لنا في سريرته شيء. الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا شراً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة»[٣].

٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن خالد بن الوليد رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل رجل فقال: **«لعلّه أن يكون يصلي»**. فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال صلى الله عليه وسلم: **«إني لم أومر أن**

---

(١) المرجع السابق جـ٢ ص ٥٧٠، وسنن البيهقى ٨/ ٣٣٣.

(٢) بذل المجهود في حل أبي داود. السهارنفورى جـ١٩ ص ١٢٨.

(٣) صحيح البخارى م١ جـ ٢. كتاب الشهادات. باب الشهداء العدول ص ٩٩، ١٠٠.

أنقب عن قلوب الناس وألا أشق بطونهم»[1] .

وبعد ذكر هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تبين لنا أن التجسس بشتى صوره وأشكاله منكر، قد حرمه الشارع الحكيم تحريماً صريحاً. فيجب محاربته وإنكاره والابتعاد عنه.

عقوبة الجاسوس:

ولأن التجسس مشين وخطير، كانت عقوبته شديدة، فأحياناً تصل إلى فقء العين، وأحياناً تصل إلى القتل وأحياناً دون ذلك، وهذا الأمر يرجع تقديره إلى إمام المسلمين. فهو الذي يرى الجرم ويقدر العقوبة.

ونورد في هذا الموضوع حديثين ومن خلالهما يتضح لنا شناعة الجاسوسية وحكم الجاسوس:

ورد عن علي ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ**[2] **فإن بها ظعينة**[3] **ومعها كتاب فخذوه منها**». فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، فإذا نحن بالظعينة

---

(١) المرجع السابق م٢ جـ ٣ كتاب المغازي. بعث علي بن أبى طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع. ص ٧٣-٧٤.

(٢) مكان بين مكة والمدينة.

(٣) الظعينة: المرأة في الهودج ولا يقال ظعينة إلا وهي كذلك وقيل أصلها الهودج. انظر المصباح المنير ٣٨٥. والمقصود بالظعينة هنا هى أم سارة مولاة لقريش أو لعمران بن صيفى. كانت تغنى بمكة وقدمت المدينة وأعلنت إسلامها ثم ارتدت عن الإسلام ووضع لها حاطب عشرة دنانير، وطلب منها حفظ الكتاب ماستطاعت..

انظر السيرة الحلبية جـ ٣ ص ١٠، ١١.

فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«ياحاطب[1] ما هذا؟»** قال: يارسول الله، لاتعجل عليَّ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم، وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ومافعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضيً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: **«قد صدقكم»** فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: **«إنه شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** فأنزل الله **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء[2]﴾**[3].

فلم يكن المانع من قتله إلا المزية التي حصل عليها من قبل وهي شهوده لغزوة بدر. فهذا دليل على شناعة التجسس وأن عقوبته قد تصل إلى القتل.

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة اللخمى. حليف قريش وهو حليف للزبير بن العوام، شهد بدراً والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة وصلي عليه عثمان رضى الله عنه وقد شهد الله لحاطب بالإيمان في سورة الممتحنة. انظر إلى الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبى عمر بن عبدالبر. جـ١ص ٣٤٨. الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بمصر.

(٢) سورة الممتحنة جزء من الآية (١).

(٣) رواه البخارى في صحيحه. كتاب التفسير. تفسير سورة الممتحنة جـ٨ ص ٦٣٣ حديث ٤٨٩٠.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : يؤخذ من هذه القصة جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً لأن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قتل حاطب ابن أبي بلتعة فلم يقل رسول الله ﷺ لايحل قتله إنه مسلم بل قال: «وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر». وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع..»[1].

وعن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ - إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً من حقبه فقيد به الجمل، ثم تقدم يتغدّى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة إذ خرج يشتد فأتى الجمل فأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأثاره فاشتد به الجمل فأتبعه رجل على ناقة ورقاء، قال سلمة: وخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عن ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته فلما وضع ركبته على الأرض، اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فندر، ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه. فقال: «من قتل الرجل؟» قالوا: ابن الأكوع، قال: «له سلبُه أجمع»[2].

فهذا الرجل لما اطلع على أحوال المسلمين وعرف شيئاً من نقاط الضعف فيهم، وذهب مسرعاً ليخبر قومه بذلك. أمر رسول الله ﷺ بقتله.

---

(١) انظر زاد المعاد جـ ٣ ص ٤٢٢. تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٦٥. والبخارى جـ ٤ ص ٨٤.

فقُتِل. ففي هذين الحديثين يتبين لنا شناعة التجسس وحكم الجاسوس مسلماً كان أو كافراً.

حكم التجسس على المنكرات:

وأما حكم التجسس على المنكرات فما ذكرناه من قبل يوضح جانباً من ذلك إضافة إلى ما في الشرط الثالث من شروط تغيير المنكر[1].

ونزيد الأمر وضوحاً فنقول:

ليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجسس على المنكرات ويبحث عنها حيث إن ذلك جزء من التجسس المنهي عنه.

وهناك حالة واحدة يجوز له أن يتجسس فيها: وهي إذا خاف وقوع المنكر وفواته.

مثل أن يخبره أحد بأن فلاناً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها ونحو ذلك.

ففي هذه الحالة يجوز له التجسس؛ لأن الأمر إذا وقع حصلت مفسدة مؤكدة لايمكن تداركها فيما بعد.

يقول الماوردي:

. . . أن يكون في ترك التجسس انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث

---

(١) انظر صفحة «٢١٥ إلى ٢١٧» من المجلد الأول في هذا البحث.

حذراً من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات»[1].

ويقول الجويني ـ رحمه الله ـ في حق من تكرر فعله للمنكرات ولم ينته بعد تأديبه:

«..ثم يكل به موثوقاً به حيث لا يشعر به ولايراه، فإن عاد إلى ما عنه نهاه بالغ في تعزيره وراعى حد الشرع وتحراه، ثم يثني عليه الوعيد والتهديد ويبالغ في مراقبته من حيث لا يشعر ويرشح مجهولين يجلسون إليه على هيئات متفاوتات ويعتزون إلى مذهبه ويسترشدونه، ويتدرجون إلى التعلم والتلقي منه، فإن أبدى شيئاً أطلعوا السلطان عليه فيتسارع إلى تأديبه والتنكيل به»[2].

فهو بكلامه هذا يشير إلى التجسس المباح الذي لا بد منه لإزالة المنكرات وإصلاح الرعية.

ويقول الطبري موضحاً هذا الجانب:

..وإن من التجسس الذي لابد منه للوقوف على حال الرعية ودفع الشر عنهم ليطمئن الناس، وتنتظم الأمور وتصفو الحياة، ويأمن المقيم والمسافر من كلّ خطر وظلم، ويعرف المظلوم والمحتاج، ويقف المسؤول على دقائق الأمور فيما يتعلق بأحوال الرعية.

فمن ذلك سهر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يعس بنفسه ويرتاد

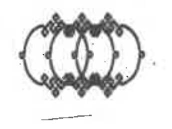
---

(١) الأحكام السلطانية: ص ٢٥٣. الطبعة الثانية. وانظر الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى ص ٢٨٠ الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

(٢) غياث الأمم. الجويني ص ١٦٩.

منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم بيديه»[1].

وبهذا يتضح أنه ليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجسس على المنكرات إلا ما استثناه العلماء من الصور التي أشرنا إليها. والله أعلم.



(١) تاريخ الأمم والملوك. الطبري. ٥/ ٢٠ الطبعة الأولى. المطبعة الحسينية.

الفصل الثالث

حكم التستر على مرتكب المنكرات

جاء الترغيب في الإسلام على ستر عورات المسلمين وعدم تتبع معايبهم، ورتب الفضل الكبير على من ستر على المسلمين عيوبهم وقد ورد بذلك أحاديث كثيرة وآيات كريمات تحث على ذلك.

يقول تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة..﴾[1] .

قال بعض المفسرين: أن يستر عليه خلته ولا يهتك ستره[2] .

١- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[3]

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[4] . . . الحديث.

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٦٣).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن. القرطبي م١ جـ٢.

(٣) رواه البخارى في ضحيحه. كتاب المظالم. باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ورواه مسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم.

(٤) رواه مسلم في الجامع الصحيح. كتاب الذكر والدعاء. باب فضل الاجتماع على =

٣- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً:

«لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[1].

٤- وفي رواية: **« لا يستر الله علي عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة»**[1].

فهذه نصوص تفيد بمجموعها ترغيب المسلمين في أن يستر بعضهم على بعض، وألا يتصيد بعضهم لبعض الهفوات والزلات. بل إن مضمونها يفيد إيجاب ذلك فمن هو الذي لا يرغب فى أن يستره الله يوم القيامة. فمن يبحث عن هذه المنزلة فليسع إليها.

ويوضح هذا الأمر جلياً، ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **«من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتي يفضحه الله بها في بيته»**[2].

فكل هذه النصوص تدل على مشروعية الستر على المسلمين وعدم تتبع عوراتهم.

= تلاوة القرآن وعلى الذكر. ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٢ ص ٢٥٢، ٢٩٦.
وراوه الترمذي في سننه. أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الستر على المسلمين حديث ١٩٩٥.

(١) رواه مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب بشارة من ستر الله تعالى عليه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة. (٢) المرجع السابق.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه. كتاب الحدود. باب الستر على المومن جـ ٢ ص ٢٠ حديث ٢٥٤٦.
الإمام أحمد في مسنده ٤/١٥٣.

وأما حكم التستر علي مرتكب المنكرات فنقول:

قد تحدثنا فيما سبق عن مشروعية الستر على عورات المسلمين فهل يعتبر ذلك قاعدة مطردة بحيث إن كل من فعل منكراً وجب علينا أن نستره؟

كلا فهذه النصوص قصد بها الشخص الذي حصل له زلة من غير قصد أو أغواه الشيطان فأوقعه في معصية وهي الأولى والأخيرة ونحو ذلك. . .

وأما من كانت حاله فعل المنكرات والاستمرار عليها، وأما من كانت حاله المجاهرة بالمعصية وعدم المبالاة، فإنه لا يجوز أن يستره ولا يتستر عليه، بل عليه أن يرفع أمره للسلطان؛ لأن تركه على هذه الحال مدعاة لأن يجر غيره إلى فعله.

ورد عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«... ولعن الله من آوى محدثاً»[1]

قال السندي في شرحه على النسائي: قوله:

«من آوى محدثاً» روي بكسر الدال أي نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه. وبفتحها فالمراد المبتدع الذي هو خلاف السنة. وإيواؤه الرضي به والصبر عليه، فإنه إذا رضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه»[2].

---

(١) رواه مسلم. انظر شرح النووي ١٣/ ١٥٠ حديث ١٩٧٨. والنسائي ٧/ ٢٣٢ حديث ٤٤٢٢.

(٢) انظر شرح السندى على النسائي ٧/ ٢٣٢.

وقال النووي في شرح مسلم: هذا وعيد شديد لمن فعل هذا. قال القاضي: «واستدلوا بهذا علي أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة. ومعناه أن الله تعالى يلعنه...»[1].

فهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز التستر علي أصحاب المعاصى والبدع، ويدخل في ذلك التستر علي أصحاب الأفكار الهدامة من علمانيين وماسونيين وشيوعيين. فيجب على كل مسلم عرف أحداً من أولئك أن يفضحه ولا يستره حتي يتوقى المسلمون شره.

ومن فعل ذلك فإنه يستحق ما وعده به المصطفي ﷺ من اللعن.

وروى ابن ماجة في سننه. عن ابن عمر-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعان علي خصومة بظلم، أو يعين على ظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع»**[2]

فيؤخذ من هذا الحديث النهي عن الظلم بشتي صوره، ومنه التستر على أصحاب البدع والمعاصي، ومن فعل ذلك فهو في سخط الله تعالي حتى ينزع.

قال الحليمي:

«إن كل الناس إذا تركوا التعاون على الإثم والعدوان فلم يوجد ذلك الإثم، صار كل واحد منهم كأنه ترك إثما: لأنه لم يأثم بنفسه، وقال بترك المعاونة بين أصحابه وبين الإثم؛ لأنه وافق غيره من أهل الدين على

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٥٠. حديث ١٩٧٨.

(٢) سنن ابن ماجة. كتاب الأحكام باب من ادعى ماليس له وخاصم فيه ٢/ ٥٢.

ما رواه من حسم مادة الإثم من وخامة العاقبة، فقعد عنه ولم يشرع فيه؛ ولأنهم إذا لم يتعاونوا على الإثم والعدوان فقد خالفوا بين الإثم والبر، بأن صانوا الدين عن أن يشيع فى أهله ما يخالفه، كما إذا تعاونوا على البر والتقوى فقد ظاهروا الدين. . »[1].

فكأنه يشير إلى محاربة المعصية وعدم السماح لها بالظهور أو التساهل فيها، وأن ذلك يعتبر من باب التعاون على البر والتقوى.

وروى البخاري عن أنس ﷺ قال: قال النبيﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله هذا نصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه**»[2].

ولا شك أن منعه من المعاصي والأخذ على يديه وردعه نصرة له؛ لأنك منعته من السعي على نفسه بزيادة السيئات وذهاب الحسنات.

وخلاصة القول في ذلك:

أنه يجب محاربة المعاصي والعاصين وعدم التستر عليهم للآثار السلبية التي تحصل من جراء ذلك. كما أوضحنا ذلك سابقاً.

والله أعلم.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان لأبى عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى ص ٢٢٥ دار الفكر الطبعة الأولى. حلمى فودة.

(٢) صحيح البخارى ٩٨/٥ حديث ٢٤٤٣.

الباب السادس

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الأمة

لا شك أن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم وخيرها على الإطلاق. وقد جاءت لهم هذه الشهادة من الله تعالى وهو خالقهم والأمم قبلهم. يقول تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾**[١].

ولكن الله سبحانه وتعالي بين السبب الذي فضلوا فيه على غيرهم وهو قيامهم بأمر مهم، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فتبقى هذه الخيرية لها ما دامت قائمة بهذه المهمة، وأما إذا تركت هذا الواجب فإنه لا يكون لها ميزة أقوى على بقية الأمم.

ويقول الغزالي:. . . وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال : **﴿وأولئك هم المفلحون﴾**. . واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة، فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتي أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبين أنهم استفادوا الفلاح بالنهي عن المنكر»[٢].

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية (١١٠).

(٢) انظر إحياء علوم الدين الغزالى ٧/ ٥ دار الغد بتصرف بسيط.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-:

«فبين الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمة خير الأمم، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا علي ذلك بل منهم من لم يجاهد، والذين جاهدوا- كبني إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم كما يقاتل الصائل الظالم. لا لدعوة المجاهدين إلي الهدي والخير ولا لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر»[1].

كما أن امنها ورخاءها وسعادتها وعزها ونصرها مرتبط بطاعة الله تعالي وطاعة رسوله، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر. وأما إذا أخلت بذلك فهي على خطر.

لذا كان عليها دائماً أن تسعى إلى المحافظة على أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ كي لا تعرض نفسها لعذاب الله وتدوم النعمة لها.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩ تحقيق محمد ابن سعيد رسلان. مكتبة الإيمان.

الفصــــل الأول

من أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيق شريعة الله

إن من الأمور الأساسية في الإسلام أن تطبق شرائع الله فحيث طبقت أحكام الإسلام كان في ذلك مصلحة للعباد والبلاد. وحيث ترك ذلك كان في ذلك فساد للبلاد والعباد.

ولقد كان الرسول ﷺ وكذلك صحابته من بعده يهتمون بهذا الجانب فيطبقون شرع الله بكامله ودون تفريق بين أفراد المجتمع، فالقريب والبعيد عند الحاكم سواء «**وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**»[(١)] وحاشها ﵂ تفعل ولكن الرسول ﷺ أراد أن يبين للأمة عظمة أحكام الله وأن الناس فيها سواسية.

ولذلك سعدت البشرية آنذاك ومرت بهم مرحلة لم يشهدها التاريخ إلى يومنا هذا.

وما ذاك إلا بسبب تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والذي ينتج عنه تطبيق شرائع الله فحيث وجد وقام الأمر والنهي فإن ذلك يعني أن تطبق العقوبات الشرعية علي كل من ارتكب منكراً فإن استحق حداً أقيم عليه- كائناً ما كان- وإن ارتكب معصية أقل من الحد طبق عليه عقوبة التعزير.

---

(١) رواه مسلم. كتاب الحدود. باب قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة في الحدود ١١/١٩٨ حديث ١٦٨٨.

فالزنا يعتبر منكراً فمن ارتكب جريمة الزنا أقيم عليه الحد وعقوبته محددة شرعاً. الجلد للبكر والرجم للثيب.

يقول تعالى: **﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتي يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾**[1].

وقال الرسول ﷺ: «**خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»[2].

يقول السيد سابق: «إن الزنا جريمة من أفحش الجرائم وأشنعها وعدوان على الخلق والشرف والكرامة، ومقوض لنظام الأسر والبيوت، ومروج لكثير من الشرور والمفاسد التي تقضي على مقومات الأفراد والجماعات وتذهب بكيان الأمة. ومع ذلك فقد احتاط الإسلام في إثبات هذه الجريمة فاشترط شروطاً يكاد يكون من المستحيل توفرها...»[3].

فإذا أنكر هذا المنكر كما أمر الله بجد وحزم لا هوادة فيهما سعد المجتمع وأمن الفساد من هذا الجانب واطمأن الناس على أسرهم.

وقذف المحصنين والمحصنات من الجرائم والمنكرات التي تحل روابط الأسرة وتهدمها وتفرق بين الزوج وزوجه وبالتالي فهو تهديد للمجتمع وعقوبته ثمانون جلدة.

---

(١) سورة النساء آية (١٥).

(٢) رواه مسلم. كتاب الحدود. باب حد الزانى ١١/٢٠١ حديث ١٦٩٠.

(٣) فقه السنة. سيد سابق جـ ٢ ص ٣١٩ دار الريان للتراث.

يقول تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾[1].

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً نفذ هذا الحد على من أراد الإفساد فى المجتمع.

ومحاربة الله ورسوله والفساد فى الأرض: منكر وجريمة، وعقوبة المفسدين: القتل أوالصلب، أو النفي أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.

يقول تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيدهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[2].

فإذا طبق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفذت تلك الحدود وردع المفسدون.

والسرقة منكر: وعقوبتها محددة.

يقول تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾.

«والسرقة ما هي إلا اعتداء على أموال الناس وعبث بها. والأموال أحب الأشياء إلى النفوس، فتقرير عقوبة القطع لمرتكب هذه الجريمة حتى

---

(١) سورة النور آية (٤). (٢) سورة المائدة آية (٣٣).

يكف غيره عن اقتراف جريمة السرقة، فيأمن كل فرد على ماله، ويطمئن على أحب الأشياء لديه وأعزها على نفسه مما يعد من مفاخر هذه الشريعة»[1].

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمًا نفذ هذا الحد وأمن الناس على أموالهم.

وقل مثل ذلك في جميع أوامر الله تعالى. فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً فإنك ترى شرائع الله مطبقة. فعلى المسلمين أن يسعوا جادين في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن في ذلك صلاح المجتمع وسعادته وفلاحه وقمعاً للمعصية وتقليلاً لها.

يقول يوسف سباتين: ولا بد من المحافظة على ذلك المجتمع المسلم ليبقى سلوك الناس راقياً يرضى الله ورسوله، ولا بد لصد كل منحرف عن الطريق المستقيم أو زائغ عن الحق أو خارج عن الخلق الحسن وحتي لايتسع هذا الانحراف ويزداد ذلك الزيغ أوجب الله تعالى على المسلمين أن يتعاونوا أفراداً وجماعات على منع الفساد من أن ينتشر فجاءت النصوص الشرعية تحض المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجعل ذلك وظيفة للأمة وواجباً عليها جميعاً، وذلك أن المجتمع الواحد أشبه مايكون بالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[2]. ويقول أيضاً: «. . . وإذا كان في إقامة الحد الواحد من حدود الله من الخير ما يعادل مطرَ أربعين صباحاً فإنه في تركه خسارة لكل هذا الخير، فكيف فى ترك حدود الله جميعها؟. بل فكيف فى هجر القرآن

---

(١) فقه السنة. السيد سابق. جـ ٢ ص ٣١٩.

(٢) طريق العزة، يوسف سباتين الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

وإسقاط نظام الإسلام...؟ وإذا كان في إقامة أحكام الإسلام ورعاية شؤون المسلمين بها في المجتمع صون للمجتمع من انتشار الرذيلة وحفظ له من ضياع أمواله وثرواته وتوحيد أفكاره وآرائه، فإنه في تعطيل الإسلام وأحكامه ظهور للفواحش وانتشار المفاسد التي حرمها الله...» فقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذ لأحكام الإسلام وشرائعه ومحافظة على أوامر الإسلام ونواهيه.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- «..وتحريم الخبائث في معنى النهي عن المنكر كما أن إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف، لأن تحريم الطيبات هو مما نهى الله عنه وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا لرسول الله ﷺ الذي تمم مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف»[1].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماع لكل خير فإذا ما قام تحقق كل خير واندفع كل شر.

ومن أهم الخيرات التي تحصل تطبيق أوامر الله تعالى في حياة الناس.



(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٨.

الفصل الثاني

من أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تطبيق شعائر الله

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بتعظيم شعائره والقيام بها وبين أن ذلك من تقوى القلوب

يقول سبحانه: **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾**[1].

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير **﴿ ومن يعظم شعائر الله﴾** أي أوامره[2].

إن الأثر الكبير الذي ينتج عن تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تقام شعائر الله تعالى من صلاة وزكاة وصيام وحج... وغير ذلك.

يقول تعالى: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾**[3].

وقال تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه **﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾**[4].

---

(١) سورة الحج الآية (٣٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن اكثير ٣/ ٢١٩.

(٣) سورة ا لحج آية (٤١). (٤) سروة لقمان آية (١٧).

فتأمل كيف قرن هذه الشعائر وربطها بعضها إلى بعض. وهذا يدل على وجوب القيام بهذه الشعائر من صلاة وزكاة... أمر كل من قصر بذلك بفعل هذه الشعائر.

ومع الأسف أنك إذا ألقيت نظرة على واقع العالم الإسلامي وجدت أنهم قد أهملوا تلك الشعائر رغم أنها من أركان الإسلام.

فالصلاة من أهم أركان الإسلام ولكن مع الأسف لا قيمة لها عند كثير من المسلمين. فأنت تسمع المنادي ينادي حي على الصلاة حي على الفلاح، والناس سادرون في أكلهم وشربهم وبيعهم وشرائهم ولهوهم وغفلتهم وكأن ترك الصلاة هو المطلوب وفعلها هو المحذور إذا ما قارنت المصلين بغير المصلين.

وإنك لتعجب حينما تمر علي المساجد فى صلاة الفجر فما تشاهد بالمسجد إلا مجموعة قليلة من المصلين رغم أن الحي مكتظ بالسكان.

وحينما نريد أن نعرف أن هذا الكلام حقيقة فإننا لا نقصر نظرتنا على قرية أو مدينة بل نمد النظر إلى هناك لنرى تلك الحقائق.

ومع الأسف أننا لم نسمع في يوم من الأيام منذ سنين طويلة أن فلاناً من الناس أدب أو أقيم عليه الحد بتركه للصلاة.

وهذا دليل على أن المسلمين فعلاً أهملوا هذا الركن العظيم من الإسلام. وهو يدل أيضاً على ضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلا لما حصل ذلك.

وقل مثل ذلك في بقية الشعائر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يُصَلِّ بالضرب والحبس، وأما القتل فإلى غيره. ويتعهد الأئمة والمؤمنين فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الأمانة أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والحكم وكل مطاع يعين على ذلك، وذلك أن الصلاة هي أعرف المعروف من الأعمال، وهي عمود الإسلام، وأعظم شرائعه، وهي قرينة الشهادتين وإنما فرضها الله ليلة المعراج وخاطب بها رسوله بلا وساطة، لم يبعث بها رسولاً من الملائكة، وهي آخر ماوصى به النبيﷺ أمته وهي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تعالى كقوله تعالى: **﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة﴾**[1] وقوله: **﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة﴾**[2] وهي المقرونة بالصبر وبالزكاة وبالنسك وبالجهاد في مواضع من كتاب الله كقوله تعالى: **﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة﴾**[3] وقوله: **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[4] وقوله: **﴿إن صلاتي ونسكي﴾**[5] وقوله: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾**[6] واستطرد في ذكر الآيات ثم قال: «فاعتناء ولاة الأمر بها يجب أن يكون فوق اعتنائهم بجميع الأعمال.

---

(١) سورة الأعراف آية (٧٠).

(٢) سورة العنكبوت جزء من الآية (٤٥).

(٣) سورة البقرة جزء من الآية (٤٥).

(٤) سورة البقرة جزء من الآية (٤٣).

(٥) سورة الأنعام جزء من الآية (١٦٢).

(٦) سورة الفتح جزء من الآية (٢٩).

ولهذا كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه يكتب إلى عماله «إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع» رواه مالك. «ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات..»[1].

فقد أدرك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إقامة الشعائر. فقد ربط إقامة الشعائر كلها من صلاة وإمامة وأذان... بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا ما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائما، فإن شعائر الله كلها تطبق ولا يحصل لها تضييع كما هو الحاصل في عصرنا هذا، لقدضيعت جميع شعائر الله أو معظمها. والأدهى والأمر أنك لا تجد من يعاقب الناس في تقصيرهم في ذلك وهذا دليل على ضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويقول الماوردي: «..فأما صلاة الجماعة في المساجدوإقامة الأذان فيها للصلوات فمن شعائر الاسلام وعلامات التعبد التي فرق بها رسول الله ﷺ بين دار الإسلام ودار الشرك، فإذا اجتمع أهل بلد أو محلة على تعطيل الجماعة في مساجدهم وترك الأذان في أوقات صلواتهم كان المحتسب مندوباً إلى أمرهم بالأذان والجماعة في الصلوات»[2].

إن دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إقامة الشعائر دور أساسي فحيث وجد الأمر والنهي، وكان للقائمين به صلاحية وتشجيع في محاسبة

---

(١) الحسبة في الإسلام. ابن تيمية تحقيق أبو المنذر سامي أنور ص ١٨.

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢٤٣. باختصار وتصرف بسيط. دار المكتبة العلمية ١٣٩٨هـ.

المقصر فإن شعائر الله تعالى ستحظى بالتطبيق وحيث أهمل هذا الجانب ولم يحصل للقائمين فيه دعم ولا تشجيع فإن ذلك ينتج عنه التفريط والتقصير في شعائر الله. والله المستعان.

الفصل الثالث

من أثرهما الأمن من عقوبة الله "الكوارث الكونية والاقتصادية":

إننا إذا تأملنا النصوص القرآنية وجدنا أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل بأسه وعذابه على قوم إلا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم وبعدهم عن منهجه ومخالفتهم لرسله.

فسنة الله تعالى في خلقه أن نعمه وأمنه ورخاءه ورحمته، كل ذلك يحصل بسبب طاعته واتباع منهجه. وأن سخطه وعذابه ونقمته كل ذلك يحصل بسبب معصيته.

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً وله صولته وجولته في محاربة الفساد وإقامة شرائع وشعائر الله. فإن السعادة تحصل والنعمة تزداد والخير يكثر والرحمة تنزل... وهكذا والعكس بالعكس تماماً.

ولنضرب لذلك أمثلة من كتاب الله تعالى حيث يقول تعالى: **﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾**[1].

---

(١) سورة الأنعام (٦).

فتأمل في هذه الآية الكريمة كيف أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم من النعم الكثيرة الوفيرة سماء مدرارًا وأنهاراً تجري من تحتهم. والخير كل الخير مرتبط بالماء. فلما لم يشكروا هذه النعم العظيمة فعصوا خالقهم أهلكهم بذنوبهم. ويقول سبحانه وتعالى: **﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً. قالوا معذرة إلي ربكم ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾**[١] .

فانظر كيف عاقبهم الله سبحانه وتعالى بسبب مخالفتهم لأمره وكيف كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً في نجاة القائمين به[٢] .

ويقول تعالى: **﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم. تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين. ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾**[٣] .

---

(١) سورة الأعراف من الآية (١٦٣ إلي ١٦٥).

(٢) سبق أن تحدثنا عن هذه الآية بالتفصيل في فضل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من هذا البحث.

(٣) سورة الأحقاف من آية (٢٤ إلى ٢٦).

فكم في هذه الآيات من العبر في تغير سنن الله الكونية وحلول الكوارث المختلفة بالناس عند كفرهم بنعم الله تعالى وعدم شكرهم ومخالفتهم لأمره وأمر رسله. فهلا ينتبه الناس لذلك.

وكم يضرب الله لنا من الأمثال التي تبين كيف تتغير النعم وتتحول إلى نقم بين عشية وضحاها عند مخالفة أمر الله تعالى والكفر بنعمته.

يقول تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾[١] ففي هذه الآية أكبر العبر والدروس والمواعظ لأمة محمد ﷺ حيث أخبر سبحانه وتعالى أن هناك قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بتلك النعم فلم تستجب لأمره ولم تنته عن نهيه فبدل الله تعالى هذا الرزق الذى أعطاهم بالفقر الملازم لهم والملاصق لهم والأمن بالخوف[٢] وسبحان العليم الخبير فإذا كان مر على ضرب ذلك المثل أكثر من أربعة عشر قرناً فإن أمثاله تتكرر في كل وقت وحين. فكم حصل لبعض الدول الغنية الآمنة المطمئنة والتي يأتيها الناس من كل مكان لأمنها والاطمئنان فيها وكثرت الخيرات فيها فحصل لها من المفاجآت ما لم تحسب حسابه فتحولت النعمة إلى نقمة والرزق إلي فقر والأمن إلى خوف والاستقرار إلى تشرد... كل ذلك حصل لها بسبب بعدها عن منهج الله تعالى وكثرة معاصيها.

---

(١) سورة النحل الآية (١١٢).

(٢) انظر جامع البيان. الطبرى جـ ٨ ص ١٨٥. دار الفكر.

ويقول سبحانه ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ﴾ [1] الآية

فحصل بسبب الإعراض عن ذكره الضنك وهو الضيق في العيش وذهاب البركة منه، وفي الوقت نفسه يخبر تعالى أن طاعته وتقواه واتباع أمره ينتج عنه فتح أبواب الرزق والبركة فيه بقوله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾[2].

فقد وعد الله سبحانه وتعالى بفتح البركات من السماء والأرض عند تقواه والإيمان به.

ويقول سبحانه ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[3].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض. وقوله: ﴿إلا قليلا﴾ أي قد وجد منهم في هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيراً وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون منها من يأمربالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمه يدعون

---

(١) سورة طه جزء من الآية (١٢٤).

(٢) سورة الأعراف (٩٦).

(٣) سورة هود (١١٦، ١١٧)

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[1].

وقوله ﴿**واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه**﴾ أي استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار ذلك حتى فاجأهم العذاب. ثم أخبر سبحانه أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها، ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين...»[2].

والآيات في هذا الموضوع كثيرة جداً والمهم أن نعرف أن الرخاء والأمن والنعمة والخير بشتى أنواعه كل ذلك لا يحصل إلا عند قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عندما يكون هناك أمة تحارب الرذيلة والجريمة والفساد بشتى أنواعه وأساليبه وطرقه. عندما يكون هناك أمة تحكم شرع الله تعالى وتحتكم إليه في جميع شؤون حياتها. عندما يعلو صوت الحق والحاملون له.

وأخيراً عندما تكون كلمة الله هي العليا وكلمة المجرمين والمفسدين والفاسدين هي السفلى.

عند ذلك كله يحصل للأمة كل خير ويندفع عنها كل شر. عند ذلك ينصرها الله وينتصر لها وتكون لها العزة في الأرض ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾[3] أما إذا خالفت المنهج الرباني وأهملت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركت الحبل على الغارب للمجرمين والمفسدين فعليها أن تتوقع أن يحل بها عذاب الله في أية ساعة من ليل أو نهار.

---

(١) سورة آل عمران (١٠٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير.

(٣) سورة المنافقون جزء من الآية (٨).

قال تعالى : ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾[1].

ويقول سبحانه : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾[2]. فإذا ما غير الناس مابأنفسهم من تركهم لأمره وفعلهم لنهيه فلا يأمنوا أن تنقلب عليهم حياتهم رأسًا على عقب في أية ساعة من ليل أو نهار.

ولقد تغير في هذه الأزمنة ما فى الأنفس وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحلَّ بالناس ما حلّ من الذلة والهوان فهلا ينتبه المسلمون لذلك قبل حلول ما هو أكبر من ذلك. نسأل الله لطفه ورحمته.

الفصل الرابع

من أثرهما استقامة أمور الناس بالعدل

إن الناس لا يهنأ لهم عيش ولا يرتاح لهم بال ولا يأمنون على أنفسهم وأهلهم وأموالهم إلا إذا كان مبدأ العدل بينهم وحكم بينهم به.

ولذلك جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تأمر به وتحث عليه وتنهى عن المضاد له ألا وهو الظلم يقول تعالى :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً. يا أيها

---

(١) سورة الأعراف من الآية (٩٧ إلى ٩٩).

(٢) سورة الأنفال آية (٥٣).

الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1].

قال ابن كثير- رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس وفى الحديث: «إن الله مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكله إلى نفسه»[2][3].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله:

ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بتولية ولاة أمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل..»[4].

معنى هذه الآية الكريمة التوجيهات التالية:

- رد الأمانات إلى أهلها وهذا مقتضى العدل.

- الحكم بين الناس بالعدل ويلزم من ذلك البعد عن الظلم.

- وجوب طاعة الله ورسوله والله لا يأمر إلا بالعدل. وكذلك رسوله ﷺ وطاعة ولي الأمر إذا لم يكن في أمره مخالفة لله ولرسوله.

---

(١) سورة النساء الآيتان (٥٨ إلي ٥٩).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه: كتاب الأحكام. باب التغليظ في الحيف والرشوة حديث رقم ٢٣١٢. وذكره الألبانى في صحيح الجامع وقال حسن رقم (١٨٢٢).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم. ابن كثير جـ١ ص ٥١٦ مكتبة الدعوة الإسلامية. شباب الأزهر ١٤٠٠هـ.

(٤) الحسبة في الإسلام ص ١٤٨١ باختصار.

- رد ما تنازع الناس فيه إلى الكتاب والسنة فقط وليس فيهما إلا العدل.

- الكفر بالطاغوت.

- إن الذي يصد عما أنزل الله ولا يرضى بأمر رسوله فهو من المنافقين.

ولقد رغب الله سبحانه وتعالى في كتابه لمن يلتزم حدوده - وكلها عدل - ورتب الوعيد والتهديد لمن حاد عن حدوده لأن فيها ظلماً.

يقول تعالى: ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**﴾[1].

يقول ابن كثير-رحمه الله- في قوله ﴿**وله عذاب مهين**﴾ أي لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضى بما قسم الله وحكم به ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم»[2].

وقال تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[3] وهذا أمر صريح من الله سبحانه وتعالى بالعدل والإحسان...

فترك العدل مخالفة لأمر الله تعالى.

---

(١) سورة النساء الآيتان (١٣، ١٤).

(٢) المرجع السابق ص ٤٦١.

(٣) سورة النحل آية (٩٠).

ولقد ضرب الله لنا أحسن الأمثال برجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه ولا يستطيع أن يقدم خيراً ألبتة ورجل يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم كم من الفرق بينهما.

يقول تعالى **﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾**[1].

يقول خليل محمد خليل: لقد ضرب تعالى مثلاً للكافر والمؤمن فمثل الكافر بالعبد المملوك المعدوم الحرية المشلول التصرف الممنوع الإرادة لا يقدر على شيء فيفعله الأبكم الذى لا ينطق فهو عديم المنفعة عالة على سيده في أي مكان يرسله لجلب المنفعة ولقضاء المصلحة لا يعود بنفع ولا يأتي بخير فهو كل عليه أينما يكون. ثم مثل المؤمن بالحر التام التصرف المكتمل العقل والإرادة الرشيد فى التصرفات ينعم الله تعالى عليه من نعمه ويغدق عليه من فضله وإحسانه، فينفق منه في السر والعلن ويامر بالعدل وهو على كفاية فى امره وعدالته واستقامته في طريقه ووعي وإدراك لما يؤدي من مصالح. فالكافر عطل حواسه كلها وحجز بينه وبين الهدي بحجز منيعة وحجب متينة وأبى إلا أن يتقلد الموروث من مخلفات الأفكار وعفن العقائد وبالي العبادات. هو في هذا كهذا العبد الذي منع من كل شيء والعبد المأمور الذي لا حول له ولاقوة. أما المؤمن الذي حرر نفسه من عبودية العقائد البالية واستكمل قواه العقلية ففكر بها وآمن بها عن صدق ويقين واستقامة على هدى وبصيرة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

(١) سورة النحل الآية (٧٦).

فروق وأبعاد ومسافات بينهما . . »[1] .

إذاً فهنالك فرق كبير بين من يأمر بالعدل ومن يأمر بالظلم وليس بينهما وجه شبه فهذه النصوص القرآنية تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم .

وأما الأحاديث فمنها :

ما ورد عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . .** »[2] .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « **اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** »[3] . وصح عنه أنه قال : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** »[4] الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[5] .

---

(١) انظر التمثيل فى القرآن للأستاذ خليل محمد خليل ص (٤٨) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم جـ ٤ ص ١٩٩٤ . حديث ٢٥٧٧ . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٣) المرجع السابق حديث ٢٥٧٨ .

(٤) المرجع السابق حديث ٢٥٨٠ .

(٥) المرجع السابق حديث ٢٥٨٢ .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**»[1][2].

هذه بعض الأحاديث التى تنهى عن الظلم بشتى أنواعه وصوره وفيها الوعيد الشديد فى الدنيا والآخرة للظالمين.

فقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني تحقيق العدل بين الناس في جميع شؤون الحياة والإنكار على الظالمين والأخذ على أيديهم.

ففى حديث أبي عبيدة الطويل وفيه قال: وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال: «**حتى تأخذوا على يدى الظالم فتأطروه على الحق أطراً**»[3].

فمهمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر محاربة الظالمين والأخذ على أيديهم حتى يسعد الناس بالعدل تحت ظل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والله المستعان.

الفصل الخامس

من أثرهما انحسار المنكر وذلة أهله

عرفنا من خلال النصوص المتقدمة مايكفي في معرفة أنه إذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قائماً وعزيزاً وله صولة وجولة وأنصار. فإن المنكر يقل ويختفي وأهله يصابون بالذل والصغار. والعكس بالعكس تماماً.

---

(١) المرجع السابق حديث ٢٥٨٣.

(٢) سورة هود آية (١٠٢).

(٣) رواه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جـ ٢ ص ١٣٢٨.

فإذا ما ألقينا نظرة على القرون المتقدمة ولاسيما الأول منها فإننا نجد أن المنكرات مختفية وأهلها أذلة. فالأسواق والشوارع نظيفة من المنكرات والمساجد والبيوت خالية من المنكرات. والمعاملات خالية من المنكرات لماذا؟ لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوى جانبه والأمة كلها واقفة بجانبه. صحيح يوجد بعض المنكرات فى ذلك المجتمع لكنها قليلة، لكنها الشذوذ، بخلاف عصرنا هذا فالرذيلة أكثر من الفضيلة والمنكر أكثر من المعروف.

فإذا ألقينا نظرة على الواقع فى هذا العصر فإننا نشاهد المنكرات علناً دون خوف ولا خجل. وهذه الأمثلة على ذلك:

فالبنوك الربوية تعلن تعاملها بالربا وتدعو الناس صراحة عبر وسائل الإعلام المختلفة للتعامل فيها وكذلك العاملون في البنوك يعلنون انتسابهم إليها ويفتخرون بذلك.

- النساء المتبرجات يخرجن إلى الشوارع وماعليهن إلا ماستر فروجهن فقط وباقى الجسم مكشوف وتفعل ذلك المنكر وهى مفتخرة بذلك ودون حياء أو خجل.

- المغنون والمغنيات والعاملون معهم على آلات اللهو يعلنون عملهم مفتخرين به. ويخرجون في الوسائل المختلفة المشاهدة والمسموعة والمقروءة ويعرفون أن الناس يشاهدونهم وهم يفعلون ذلك المنكر علناً ولا يبالون بذلك، بل لو لم تخرج صورهم وذواتهم في هذه الأجهزة لحزنوا حزناً شديداً.

نسأل الله العافية، وصدق الله حيث يقول: ﴿**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً**﴾[1] الآية.

- وكذلك الحال بالنسبة للمستمع أو المشاهد يستمع إلى الغناء والموسيقى في الشارع وفى مكتبه ومتجره ولا يبالى بذلك وكأنه بذلك يفعل معروفاً.

- المدخنون والمدخنات يدخنون ذلك علناً أمام أعين الناس وفي كل مكان وكذلك الحال بمن يبيعه ويشتريه وكأنه يشترى أو يبيع نوعاً من الطيبات التى أحلها الله.

- الكفرة وحريتهم المتناهية في الديار الإسلامية فكأنهم أهل البلد وغيرهم غريب عنها.

وقل مثل ذلك فى جميع المنكرات المعلنة في الأسواق والمساجد والمقابر والضيافة وغير ذلك.

فنقول إن الذي يحدث في العالم الإسلامى من أقصاه إلى أدناه يحدث لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ضعيف جانبه فلم يجد مناصراً لا من العامة ولا من الخاصة. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن على المسلمين عموماً ومن لديه سلطة منهم علي حرمات الله خصوصاً أن يسعوا جادين لإعادة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

عليهم إعادته إلي مكانته الأولى ليكبت الرذيلة والمنكر وينشر الفضيلة والمعروف.

---

(١) سورة فاطر جزء من الآية (٨).

إن على الناس عموماً والغيورين على الدين خصوصاً أن يقوموا بهذا الجانب للأمور التالية:

إما لرجاء ماعند الله أو الخوف من العقوبة عن تركه.

وإما للغضب لانتهاك محارم الله أو رحمة للمؤمنين الضالين وهدايتهم إلى الطريق المستقيم.

فالذي لا يفعله لجانب يفعله لجانب آخر وهكذا المهم المساهمة في إصلاح المجتمع بتغيير المنكرات.

يقول ابن رجب - رحمه الله -: «واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه وتارة خوفاً من العقاب في تركه، وتارة الغضب على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال»[(١)].

إن على المسلمين أن يعرفوا أن المنكرات كالأمراض الفتاكة المعدية تماماً.

إن المرض المعدى إذا لم يحاصر ويلاحق بالعلاج والمضادات فإنه سرعان ماينتشر ويقتل آلاف الناس أو ملايين منهم.

لكنه إذا حوصر ذلك المرض وحجر على المصابين به ومنعوا من الزيارة والاختلاط بالناس... وهكذا فسرعان مايتلاشى هذا المرض وينتهى.

---

(١) جامع العلوم والحكم. ابن رجب ص ٣٠٧. دار المعرفة بيروت.

فكذلك الحال بالنسبة للمنكرات فإذا حصّنّا أولادنا وطعّمناهم بالإيمان القوي وطاعة الله وطاعة رسوله، فإنه لا تضرهم تلك المنكرات ولا حتى تؤثر عليهم هذا من جانب، ومن جانب آخر إذا حوربت المنكرات وكثفت الجهود فإنها تتلاشى وتختفى وتقل.

والله المسؤول أن يسدد الخطا ويكتب النجاح للعاملين المخلصين المقتدين بالرسول ﷺ . والله أعلم.





أولاً النتائج:

الحمد لله الذي جعل أمة محمد خير أمة أخرجت للناس بسبب أمرها المعروف ونهيها عن المنكر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. القائل ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾[1].

والصلاة والسلام على خير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر محمد بن عبدالله والقائل «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2] وعليه ﷺ وآله وصحبه إلي يوم الدين أما بعد:

فلقد عرفت من خلال هذا البحث أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الموضوعات الجديرة بالبحث

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية {١١٠}

(٢) تقدم تخريجه. ص {٦٦} من المجلد الأول.

والدراسة والتأليف حيث إنني تعبت كثيراً وكثيراً للحصول على مراجع متخصصة في هذا البحث تصلح لأن تكون مرجعاً يغنى الباحث ويرويه اللهم إلا النزر القليل.

لذا فإنه من الضرورى أن يعنى علماء الإسلام بهذا الموضوع ويدرسوه ويكتبوا فيه في جميع جوانبه.

كما أنني عرفت من خلال البحث أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين على كل مسلم مستطيع على مافصلناه في موضعه لمفهوم الاستطاعة.

وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم الوسائل، إن لم يكن هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على المنكرات وفى الوقت نفسه فإنه لا سعادة ولا فلاح للناس في أمور دينهم ودنياهم إلا بقيام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

لذا كان لزاماً على كل المسلمين؛ أفراداً وجماعات رؤساء ومرؤوسين، أن يسهموا في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن الأمة إن لم تفعل فإنها بهذا تكون قد عرضت نفسها لعذاب الله تعالى.

عرضت نفسها للكوارث والأزمات في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وأنَّ أمنها سيبدله الله خوفاً، وغناها فقراً، وشبعها جوعاً، واستقرارها واجتماعها تفرقاً وتشريداً. وأدلة ذلك موجودة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. كما بينا ذلك في موضعه. وأما إذا قامت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإنها ستسعد في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

وتأمن من عذاب الله تعالى في الدارين الدنيا والآخرة.

ولا شك أن ولاة الأمر في أي بلد يتحملون الجانب الأكبر من المسؤولية عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهم الذين يستطيعون أن يرفعوا من شأنه ويمنحوا الصلاحيات للقائمين به ويشجعوا كل من ساهم فيه.

وهم الذين يستطيعون توفير جميع الإمكانات التى تسهم في إنجاحه... وفى الوقت نفسه هم الذين يستطيعون أن يحدوا منه ويقلصوا من صلاحيات الآمرين ويمنعوا المساهمين فيه.

بل وهم الذين يستطيعون أن يحطموا القائمين به والمساهمين فيه ويبخلوا فى الإمكانات حتى تنشل حركتهم... ولكن عليهم أن يعرفوا جيداً أن عزهم وأمنهم واستقرارهم واستمرارهم في مسؤولياتهم يكمن في مناصرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فإذا ماتخلوا عنه فهذا إيذان وإعلان بزوالهم. والله المستعان.

ثانياً: المقترحات:

لم أتطرق فى بحثى لكثير من الجوانب ذات العلاقة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لالتزامى بالخطة من ناحية وصعوبة الإلمام بكل الجوانب من ناحية أخرى.

كما أنني لم أتحدث عن كل مايدور فى نفسى من أشياء جديدة أراها مهمة فى الموضوع للأسباب نفسها.

ولذا فإننى أحببت أن أشير إليها على شكل اقتراحات فلعلها تجد قبولاً من المسؤولين والعلماء وطلبة العلم. وهى كالتالى:

١- على العلماء في العالم الإسلامى مطالبة الحكام مطالبة جادة بإنشاء هيئات للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والسماح لها بممارسة دورها وخاصة الدول التى ليس فيها هيئات وهى كثيرة جداً بل الدول التى

فيها هيئات تعد على أطراف الأصابع.

يُفعل ذلك استجابة لأمر الله تعالى حيث يقول **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[1].

والعلماء في هذا البلد هم أولى من غيرهم - باعتبار مركزهم وسبقهم في مثل ذلك - لاقتراح عقد مؤتمر يحضره العلماء في العالم الإسلامى لمناقشة هذا المشروع، وكتابة التوصيات ورفعها لولاة الأمر في العالم الإسلامى والمطالبة بتنفيذها.

٢- تربية النشء تربية إسلامية وإعداداهم لتحمل مسؤولية الأمر والنهى. وتعريفهم بالمعروف وتحبيبه إليهم وتعريفهم بالمنكر وتنفيرهم منه.

٣- إعداد دورات تدريبية وتعليمية لعامة الناس يحضرها من يرغب يعلَّمُون فيها أصول الأمر بالمعروف

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية [١٠٤].

والنهى عن المنكر. كقاعدة المصالح والمفاسد عند تزاحمها أو تعارضها.

٤- إعداد معاهد خاصة للمنتسبين أو من يرغب الانتساب إلى هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقبول فيها يكون بعد المرحلة الجامعية أو على الأقل بعد المرحلة الثانوية.

٥- عمل دارسات ميدانية على كافة الناس بمستوياتهم المختلفة تتضمن الأسئلة الكثيرة ويكون من نتائجها معرفة المنكرات الموجودة وسبب كثرتها وإصرار الناس عليها ومعرفة طرق إنكارها والأسلوب المحبب لهم...

٦- الإكثار من كتابة النشرات والكتيبات التى توضح الجوانب الأساسية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وتكون قليلة الصفحات وواضحة الخط وسهلة

الأسلوب لكي تتناسب مع معظم الناس.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل هذا الجهد

وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه

وأن ينفع به المسلمين إنه ولي ذلك

والقادر عليه وصلى الله على

نبينا محمد وعلى أله وصحبه

إلى يوم الدين والله تعالى

أعلى وأعلم.

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات.
- ثانيًا : فهرس الأحاديث.
- ثالثًا : فهرس المصادر والمراجع.
- رابعًا : فهرس الموضوعات .



فهرس الايات

الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل.. شديداً	٩-١١	الأحزاب	٤٥٦	١
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون .. عاكفين	٧٠ ، ٧١	الشعراء	٣٩٣	١
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون .. عاكفين	٧٠ ، ٧١	الشعراء	٤٠٥	١
إذ قال لأبيه وقومه ما هذه .. مبين	٥٢ : ٥٤	الأنبياء	٤٠٤	١
أربابًا من دون الله والمسيح بن مريم	٣١	التوبة	٩٦	٢
أشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٩	الفتح	٣٩	١
أشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٩	الفتح	٢٦١	٢
اعملوا ما شئتم	٤٠	فصلت	٣٦	١
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا. الخاسرون	٩٧ : ٩٩	الأعراف	٢٦٨	٢
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	المائدة	١٠٠	٢
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	المائدة	١٣٤	٢
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	المائدة	١٣٧	٢
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	المائدة	١٤٦	٢
أفحكم الجاهلية يبغون	٥٠	المائدة	١٤٧	٢
أفغير الله أبتغي حكمًا	١١٤	الأنعام	١٥٢	٢
أف لكم ولما تعبدون ..	٦٧	الأنبياء	٥٢٤	١
أفمن زين له سوء عمله ..	٨	فاطر	٢٧٥	٢
أقيموا الصلاة	جزء من الآية (٤٢)	البقرة	٣٦	١
ألا إلى الله تصير الأمور	٥٣	الشورى	٣٤	١
ألا إنهم هم المفسدون	١٢	البقرة	١٤٤	٢
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	٢٨	الرعد	٣٥٣	١
إلا تنصروه فقد نصره الله	٤٠	التوبة	٤٦٢	١
ألا لله الدين الخالص	٣	الزمر	١٧٣	١

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين	٦٢	الأنعام	١٨٨	١٢٣
إلى المسجد الأقصى	١	الإسراء	٤٣١	١
ألقوا ما أنتم ملقون	٤٣	الشعراء	٣٧	١
الله ولي الذين آمنوا	٢٥٧	البقرة	١٥٧	٢
ألم أعهد إليكم يا بني آدم	٦٠	يس	٣٦٦	١
ألم أعهد إليكم يا بني آدم	٦٠	يس	١٥٠	٢
ألم تر إلى الذين حاج	٢٥٨	البقرة	٤٠٦	١
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب	٤٤	النساء	١٦١	٢
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	٦٠	النساء	٩٧	٢
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	٦٠	النساء	١٣٦	٢
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	٦٠	النساء	١٤٤	٢
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	٦٠	النساء	١٥٢	٢
ألم تر أن الله يعلم ما في السموات	٧	المجادلة	٢١٤	١
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن	٦	الأنعام	٢٦٣	٢
إلى الله مرجعكم فينبئكم	١٠٥	المائدة	٥٠٦	١
أليس الله بأحكم الحاكمين	٨	التين	١٢١	٢
أم لهم شركاء شرعوا لهم	٢١	الشورى	٩٨	٢
أم لهم شركاء شرعوا لهم	٢١	الشورى	١٢١	٢
أم لهم شركاء شرعوا لهم	٢١	الشورى	١٥١	٢
أمن هو قانت ..	٩	الزمر	٢٧١	١
أم يقولون افتراه	٣٥	هود	٣٨٣	١
إنا أرسلناك شاهدًا	٨	الفتح	٦٤	٢
إنا أرسلنا نوحًا .. وأطيعون	١-٣	نوح	٣٧١	١

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
إنا أرسلنا نوحًا .. وأطيعون	١-٣	نوح	٣٧٤	١
إن الأبرار لفي نعيم	١٣	الانفطار	٤٨٩	١
إنا جعلنا ما على الأرض	٧	الكهف	٢٥٢	١
إنا جعلنا ما على الأرض	٧	الكهف	٢٧	٢
إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا	٦٢	النساء	١٤٣	٢
إن الله كان غفورًا رحيمًا	٢٣	النساء	١١٣	١
إن الله لا يغفر أن يشرك به	١١٦	النساء	٦٢	٢
إن الله مع الصابرين	١٥٣	البقرة	٣٢٢	١
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	النحل	١٣١	١
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	النحل	٢٧٠	٢
إن الله يأمركم ... وأحسن تأويلاً	٥٨ ، ٥٩	النساء	٢٦٨	٢
إن أنت إلا نذير	٢٣	فاطر	١٠٢	١
إن أنكر الأصوات لصوت الحمير	١٩	لقمان	٤٨	١
إن وجدناه صابرًا	٤٤	ص	٣١٩	١
إن تعذبهم فإنهم عبادك	١١٨	المائدة	١٦٠	١
إن الحكم إلا الله	٦٧	يوسف	٢١٣	١
إن الحكم إلا الله	٥٧	الأنعام	١٢٢	٢
إن الذين أجرموا كانوا .. لضالون	٢٩-٣٢	المطففين	١٦٠	٢
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٣٠	الكهف	٢٥٢	١
إن الذين جاؤوا بالإفك	١١	النور	٤٥	١
إن الذين فتنوا المؤمنين	١٠	البروج	٤	٢
إن الذين يؤذون الله .. إثمًا مبينًا	٥٧,٥٨	الأحزاب	٤٥٧	١
إن الشيطان لكم عدو	٦	فاطر	٣٦٧	١

الآيــــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
إن الشيطان لكم عدو	٦	فاطر	٤٧٢	١
إن الشيطان لكم عدو	٦	فاطر	١٧٧	٢
إنك لا تهدي من أحببت	٥٦	القصص	١٠٢	١
إن صلاتي ونسكي	١٦٢	الأنعام	٢٦١	٢
انفروا خفافًا وثقالاً	٤١	التوبة	٧٩	١
إنك ميت وإنهم ميتون	٣٠	الزمر	٤٧١	١
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر	٥٩	النساء	١٤٣	٢
إنما تجزون ما كنتم تعملون	١٦	الطور	٣٣٤	١
إنما تعبدون من دون الله	١٧	العنكبوت	٣٩٤	١
إنما جزاء الذين يحاربون الله	٣٣	المائدة	٢١٠	٢
إنما نحن مصلحون	١١	البقرة	١٤٣	٢
إنما كان قول المؤمنين .. الفائزون	٥١, ٥٢	النور	١٢٤	٢
إنما نطعمكم لوجه الله	٩٠	الإنسان	٢٦٠	١
إنما يخشى الله من عباده العلماءُ	٢٨	فاطر	٢٧١	١
إنما يوفى الصابرون أجرهم	١٠	الزمر	٣٢١	١
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٩	الإسراء	١٥٢	٢
إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم	٢٨	يوسف	٣٤	٢
إنه من يشرك بالله	٧٢	المائدة	٦٢	٢
إن هو إلا رجل	٢٥	المؤمنون	٣٨١	١
إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم	٢٦	هود	٣٧٤	١
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم	٥٩	الأعراف	٣٧٤	١
إني جزيتهم اليوم	١١١	المؤمنون	٣٢٠	١
إن يدعون من دونه إلا إناثًا	١١٧	النساء	١٥٠	٢

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
إن يريدا إصلاحًا	٣٥	النساء	١٧٤	١
اهتزت وربت	٥	الحج	١٨١	٢
أولئك سيرحمهم الله	٧١	التوبة	١٢٢	١
أولئك هم الكافرون حقًا	١٥١	النساء	١٤٦	٢
أولئك يجزون أجرهم مرتين	٥٤	القصص	٣٢١	١
أولئك يجزون الغرفة بما صبروا	٧٥	الفرقان	٣٢١	١
أينما تولوا فثم وجه الله	١١٥	البقرة	٤٩٣	١
براءة من الله ورسوله	١	التوبة	١٥٧	٢
التائبون العابدون الحامدون السائحون ..	١١٢	التوبة	١٢٦	١
تبارك الذي نزل الفرقان	١	الفرقان	٦٩	٢
تبت يدا أبي لهب وتب .. مسد	١-٥	المسد	٤٥٠	١
تتجافى جنوبهم	١٦	السجدة	٢٦٥	١
تلك حدود الله فلا تعتدوها	٢٢٩	البقرة	١٢٥	٢
تلك حدود الله ومن يطع الله	١٣	النساء	١٢٤	٢
تلك حدود الله ومن يطع الله.....	١٣ , ١٤	النساء	٢٧٠	٢
ثم إني دعوتهم جهاراً .. إسرارًا	٨ , ٩	نوح	٣٧٨	١
ثم جعلناك على شريعة من الأمر .. المتقين	١٨، ١٩	الجاثية	١٠٨	٢
ثم جعلناك على شريعة من الأمر	١٨	الجاثية	١٢١	٢
ثم كان من الذين آمنوا ... الميمنة	١٧، ١٨	البلد	٣٢١	١
ثم لايجدوا في أنفسهم حرجًا	٦٥	النساء	١٤٢	٢
جاء الحق وزهق الباطل	٨١	الإسراء	٦٦	١
جاء الحق وزهق الباطل	٨١	الإسراء	٤٤٠	١
حتى إذا جاء أمرنا	٤٠	هود	٣٨٦	١

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
قال أراغب أنت	٤٦	مريم	٤١٨	١
قال بل فعله كبيرهم	٦٣	الأنبياء	٤٢١	١
قالت لهم رسلهم إن نحن	١١, ١٢	إبراهيم	٣١٩	١
قال ربي إن أعوذ بك	٤٧	هود	٣٨٧	١
قال ربي إن قومي كذبون ... المؤمنين	١١٧، ١١٨	الشعراء	٣٨٤	١
قال رب إني دعوتي قومي ... فرارا	٥, ٦	نوح	٣٧٨	١
قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك	٦٦	الأعراف	١٥٩	٢
قال موسى لقومه استعينوا	١٢٨	الأعراف	٣١٧	١
قالوا أأنت فعلت	٦٢	الأنبياء	٤١٩	١
قالوا ابنوا له بنيانا ... الأسفلين	٩٧, ٩٨	الصافات	٣٣٣	١
قالوا حرقوه	٦٨	الأنبياء	٤١٩	١
قال يا نوح	٤٦	هود	٣٨٧	١
قد كانت لكم أسوة	٤	الممتحنة	٣٩٦	١
قل الله أعبد مخلصا له ديني	١٤	الزمر	١٧٣	١
قال إني أمرت أن أعبد الله	١١	الزمر	١٧٣	١
قال إني أمرت أن أعبد الله .... ديني	١١ : ١٤	الزمر	٢٥٠	١
قال إني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً	٢١ ; ٢٢	الجن	٦٩	٢
قال لا أقول لكم	٥٠	الأنعام	٦٨	٢
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا	٤٩	يونس	٦٩	٢
قل لا أملك لنفسي نفعا	١٨٨	الأعراف	٦٩	٢
قل للمؤمنات يغضضن	٣١	النور	٨	٢
قل من حرم زينة الله	٣٢	الأعراف	٢٧	٢
قلوبنا في أكنة	٥	فصلت	٢٨٩	١

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
من كان يريد الحياة الدنيا .... يعملون	١٥، ١٦	هود	٢٥٩	١
منها خلقناكم	٥٥	طه	٤٩٣	١
من يهد الله فهو المهتد	١٧	الكهف	٤٧١	١
نرفع درجات من نشاء	٨٣	الأنعام		١
نكروا لها عرشها	٤١	النمل	٤٩	١
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٩	الصف	١٦٩	٢
هو الذي بعث في الأميين	٢	الجمعة	١٦٠	١
هو الذي خلقكم من نفس	١٨٩	الأعراف	٤	٢
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم	١٨	هود	١١٦	١
وإبراهيم إذ قال لقومه	١٦, ١٧	العنكبوت	٤٠٥	١
وإبراهيم الذي وفى	٣٧	النجم	٤٣٠	١
واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله	١٠٩	يونس	١٢٢	٢
واتقوا فتنة لا تصيبن	٢٥	الأنفال	٥٣٢	١
وأحسن تأويلاً	٥٩	النساء	١٤١	٢
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات	٧٢	الحج	٤٥١	١
وإذا تتلى عليهم آياتنا .. أليم	٣١, ٣٢	الأنفال	٤٥١	١
وإذا ذكر الله وحده	٤٥	الزمر	٣٦٥	١
وإذا رأيت الذين يخوضون	٦٨	الأنعام	٥٣١	١
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله	٦١	النساء	٩٩	٢
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض	١٢	البقرة	٩٩	٢
وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر	٧٤	الأنعام	٣٩٦	١
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا	٥٠	الكهف	٤٧١	١
واذكر في الكتاب إبراهيم ... شقيًا	٤١-٤٨	مريم	٣٩٧	١

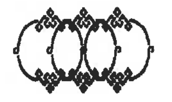
الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
وقولوا للناس حسناً	٨٣	البقرة	٢٨٥	١
وقيل يا أرض ابلعي	٤٤	هود	٣٨٨	١
والكاظمين الغيظ	١٣٤	آل عمران	٢٩٧	١
والكاظمين الغيظ	١٣٤	آل عمران	٣٣٩	١
والكاظمين الغيظ	١٣٤	آل عمران	٣٥١	١
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى	١٠٢	هود	٢٧٣	٢
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	١٤٣	البقرة	١١٠	١
وكذلك زين لكثير من المشركين	١٣٧	الأنعام	١٥٠	٢
وكل إنسان ألزمناه...حسيباً	١٣،١٤	الإسراء	٢٣٤	١
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	١٢١	الأنعام	١٢١	٢
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	١٢١	الأنعام	١٢٤	٢
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	١٢١	الأنعام	١٥٠	٢
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى	٣٣	الأحزاب	٣٧	٢
ولا تتبع سبيل المفسدين	١٤٢	الأعراف	١٠٩	٢
ولا تتبعوا خطوات الشيطان...تعلمون	١٦٨، ١٦٩	البقرة	٣٦٦	١
ولا تجسسوا	١٢	الحجرات	٢٢٨	٢
ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون	٤٢	إبراهيم	٤٠	١
ولا تستوي الحسنة	٣٤، ٣٥	فصلت	٢٨٩	١
ولا تكن مع الكافرين	٤٢	هود	٣٨٧	١
ولا تمدن عينك إلي ما متعنا به أزواجاً منهم	١٣١	طه	٤٠	١
ولا تنسوا الفضل بينكم	٢٣٧	البقرة	٤٠	١
واللاتي تخافون	٣٤	النساء	٥٣٧	١
واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم	١٥	النساء	٢٥٥	٢

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة	الجزء
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون	٥٠	المائدة	١٤٨	٢
ومن أعرض عن ذكري فإن له	١٢٤	طه	٢٦٦	٢
ومن بيننا وبينك حجاب	٥	فصلت	٧	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون	٤٥	المائدة	١٢٥	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	٤٧	المائدة	١٢٥، ١٤٩	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	٤٤	المائدة	١٢٥	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	٤٤	المائدة	١٣٦	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	٤٤	المائدة	١٤٨	٢
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	٤٤	المائدة	١٥٠	٢
ومن الليل فتهجد به	٧٩	الإسراء	٢٦٥	١
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً	٨٥	آل عمران	١٦٨	٢
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له	١١٥	النساء	١٢٤	٢
ومن يشرك بالله فكأنما	٣١	الحج	٢٣٨	١
ومن يعتصم بالله فقد هدي	١٠١	آل عمران	١٤	١
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده	١٤	النساء	١٢٤	٢
ومن يعظم حرمات الله	٣٠	الحج	٣٠٦	١
ومن يعظم حرمات الله	٣٠	الحج	٣٤٧	١



فهرس الأحاديث

الحـــــديـــث	الصفحة	الجزء
استأخرن	٤٠	٢
أغد عالماً أو متعلماً	٢٧٩	١
اقرأ القرآن في شهر	٢٧٠	١
أفضل الجهاد كلمة حق	٥٠٩	١
أفلا أكون عبداً شكوراً	٢٦٦	١
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ	٥١٥	١
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ	٨٢	٢
ألا أخبركم بأحبكم إلى	٣٤١	١
ألا أخبركم بمن يحرم	٢٩٤	١
ألا تعمل بما أمرك الله	٢٥٨	١
ألا وإن في الجسد مضغة	٢٨٣	١
ألا وخيرهم بطئ الغضب	٣٤٧	١
ألحقوا الفرائض بأهلها	١٥٨	٢
اللهم أحسنت خلقي	٣٤٢	١
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون	٣٠٢	١
اللهم أمتي أمتي وبكى	١٦٠	١
اللهم عليك بقريش	٣٣١	١
اللهم عليك بقريش	٤٤٨	١
أليس يحلون لكم ما حرم الله	٩٦	٢
أما صاحبكم فقد غامر فسلم	٤٦٣	١
أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ	٤٥٦	١
أمرت أن أقاتل الناس	٤٦٨	١
أمرني رسول الله(ﷺ) أن آتيه بمدية	٥١٤	١



فهرس الموضوعات

الفصل الثاني:

الفصل الرابع

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الباب السادس

توزيــــع :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥

☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

التنفيذ الطباعي دار أولي النهى. بيروت. ص. ب. ١١/٤٤٥٦ ت: ٦٣١٥٥٢ ـــ ف:٦٣١٥٥٣ خليوي: ٠٣/٨٧٥٠٥٨